

مقدمة في التفسير التربوي

(أصول التفسير التربوي)

أصول التفسير التربوي

تأليف :

هاشم عبدالنبي (أبو خمسين)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

بين يديك الرحيمتين

أيها المصطفى من الأنبياء

عرفانا بحقك على هذه الأمة

واعترافاً بجميلك على البشرية المعذبة

أقدم هذا القليل علني أفد عليك في عرصات الآخرة بهذه البضاعة اليسيرة.

إليك يا صاحب الخلق العظيم أهدي هذا الجهد، وأنت جدير بالقبول.

المُقَرَّرَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على الحبيب محمد وعلى آله الطيبين.
إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْمَهْمَاتِ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ
سَعَادَتَهُمْ وَكَمَالَهُمْ، وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ
سَعَادَتَهُمْ وَكَمَالَهُمُ الدُّنْيَوِيَّ وَالدِّينِيَّ، فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ وَالْجَنَّةِ. وَمَا
نَزَلَ الْقُرْآنَ إِلَّا لِذَلِكَ الْهَدْفِ النَّبِيلِ.
وَأَوَّلُ مَا نَادَى بِهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ - هُوَ
أَنْ قَالَ: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا».

والأساس في كل ذلك - إذا أراد الإنسان
تحقيق ذلك الهدف- هو النهج أو الطريقة
التي يعيش عليها، أو القانون الحاكم
على شخصيته وانفعالاته، وبتعبير أدق ذلك
الشيء المسمى اليوم بتربية الفرد، فإن
نوع تلك التربية والتقنين يؤثر تمام
التأثير على كمال الإنسان وسعادته في
الدنيا والآخرة.

ولمَّا نهض علماء المسلمين والمفسرين
إلى بيان القرآن وتفسيره، كانت جميع
الاتجاهات مفتوحة أمامهم وتنوعت
التفاسير الأدبية والفقهية والعرفانية

والاجتهادية وغيرها، حتى تطورت الأفكار بظهور السيد جمال الدين الاسترآبادي ووضع أسس وأفكار التفسير الاجتماعي الأخلاقي فسار على نهجه تلامذته الكبار. وبقيت الساحة خالية من تفسير تربوي تخصصي يعتمد علم التربية الإسلامي الأكاديمي لكي يوضح أهم هدف للقرآن ويتبنى النظام التربوي الإسلامي، مهمة كبرى قصرت أمامها الجهود، ولما كانت هذه المهمة لا تتحقق اليوم ووفقاً للمناهج العلمية للبحث إلاً بخطوات منظمة، ارتأيت أن أكتب هذه السطور في مقدمات هذا التفسير واخترت أن أجعل هذه السطور محاولة في كشف هذا النحو الجديد من التفسير وإبراز أهم معالمه ومحاوره.

لأنني أن القرآن الكريم ذو هدف سام وعظيم وهو الهداية التي قد ترادف معنى التربية وتماشى معها إلى مدي معين، نرى أن التفاسير التي أنجبتها الأمة وجادت بها أنامل علمائنا تتراوح بين التفسير الفقهية والقرآنية والروائية والبلاغية وغيرها من الاتجاهات التي لا نقلل من أهمتها، إلاً أن التفسير الأهم الذي ينسجم وروح القرآن وهدفه، والغاية منه هو التفسير التربوي.

التفسير التربوي: هو التفسير الذي يحاول أن يبرز الروح الحقيقية والغاية الأساسية للقرآن والطرق والأساليب التي ربى بها الأمة وفحولها من عشائر متناثرة إلى أمة عظيمة ومجتمع مهذب تسوده الأخلاق

النبيلة والتضحية والإيثار والكرم
والغيرة ونصرة المظلوم.
نعم تحول المجتمع العربي إلى أسمى
مجتمع إنساني بفضل القرآن وبفضل
التفسير التربوي الذي يقدمه النبي -
للأمة .

ومن هنا تظهر الحاجة لأهم التفاسير
اتجاهاً وأقربهم إلى القرآن مغزىً
وأقواهم في مساعدة القرآن لتحقيق هدفه،
ذلك الاتجاه الذي يهتم بقضايا وأهداف
ومواضيع القرآن الذي يعتبر الامتداد
الطبيعي للقرآن وفهمه وتفسيره والعمل
به وصياغته بأسلوب آخر، ذلك الاتجاه
الذي يسعى أن ينزل المفاهيم القرآنية
إلى ساحة العمل ويحول الآيات القرآنية
إلى حلول تربوية وعملية لصنع الإنسان
المسلم، ذاك هو الاتجاه التربوي لتفسير
القرآن الكريم .

محاولات في مجال التفسير التربوي

لا بد أن أشير إلى أن موضع التفسير
التربوي إنما هو اتجاه جديد ومعاصر ولم
يكتب به إلا القليل من الجولات
التفسيرية، نذكر منها:

١. التفسير التربوي، السيد محمد حسين
ميرزاخاني. لقد كانت هنالك تجارب سابقة
قد خاضت في غمار التفسير التربوي
ولكنها لم تلامس الموضوع بالعمق الذي
كنت انشده في هذه الدراسة، فقد كانت
تجربة السيد محمد حسين ميرزاخاني قد
شملت على السلوك العرفاني والتفسير

- الباطني والنكات الأخلاقية وهي بعيدة عن مصطلح التفسير التربوي واصوله.
٢. التفسير التربوي، أنور الباز، ولكنّه كتاب ملخّص من تفسير "في ظلال القرآن" ولم يكتب بقلم متخصص بالتفسير والتربية ولم يوضح منهجه وغير شامل وإن كان جديد في مجاله.
٣. مجلة قرآن وعلم العدد الخاص بالتفسير التربوي.
- ولكن موضوع الرسالة هو الأصول التي يقوم عليها ذلك التفسير وهو موضوع خارج عن علم التفسير وداخل في علوم القرآن الكريم، وقد كتب بعض المتخصصون في أصول التفسير بصورة عامة - إلاّ أنّه لم يكتب أحدهم في أصول التفسير التربوي - ومن أولئك الذين كتبوا في أصول التفسير:
١. التيسير في أصول التفسير، عماد علي عبدالسميع.
٢. مباني وروشهاي تفسيري، محمد كاظم شاکر.
٣. أصول التفسير، عبدالرحمن العك.
٤. منطق تفسير قرآن (١) أصول وقواعد تفسير قرآن، د. محمد علي رضائي أصفهاني.

الفوائد المتوخاة من التعرف على أشكال التفاسير والمدارس التفسيرية (١)

١- التعرف على مراحل تطور هذا العلم والتحويلات التي مر بها منذ بدايته حتى اليوم.

٢- التعرف على المذاهب الإسلامية ومذاهب المفسرين ورؤاهم العقائدية والكلامية.

٣- التعرف على مناهج التفسير المختلفة، وأساليب دخول وخروج المفسر، أو أسلوب فهم القرآن واستنباط مفاهيمه، وإتاحة الفرصة امام القارئ لاختيار أفضل السبل.

٤- يهيئ أرضية تحليل التفاسير والموازنة بينها، لوضوح ارتباط المفسر الوثيق باتجاهه العقائدي والفكري، وانعكاس وجهته المذهبية على التفسير. و هذا أمر طبيعي، لأن كل الذين يعيشون مع اتجاه عقائدي سيرتهنون إليه ويدافعون حينما يفسرون القرآن، لكن الأمر الشاذ وغير الطبيعي هو أن يضيق الإنسان ذرعاً بالفكر والاعتقاد المخالف، ويهاجم خصومه بتعصب وعناد، مستخدماً لغة دانية، ويمكن ملاحظة هذا الشذوذ مع الأسف في بعض التفاسير.

من هنا فالتعرف على الأفكار والعقائد المختلفة يساعد على تصحيح الرؤى وتبادل الاحترام، ويقتضي أن يتابع الإنسان خصمه

(١) استل هذا المبحث من كتاب المفسرون حياتهم

ومنهجهم، السيد علي ايازي، ص ١٨.

الفكري في ضوء أدلته قبل أن يتناول شخصه وينظر إليه نظرة الباحث المحقق.

٥- يفضي التعرف على التفاسير وحيثياتها إلى معرفة قيمة الأعمال الأساسية في قضية التفسير، فرغم ان بعض المفسرين قاموا بمهمتهم على قاعدة الصدق والإخلاص وبدافع إبلاغ كلام الوحي، لكن الأعمال التكرارية في مجال التفسير كثيرة، فمثلاً تجد تفسير حرره شخص، فقام الآخر بتلخيصه، ثم يأتي شخص ثالث ليشرح ويفصل هذا التلخيص، ويقوم رابع فيلخص هذا الشرح.

نعم تأتي الأعمال التكرارية أحياناً لعدم الاطلاع على أعمال الآخرين، خصوصاً في السالف من الأيام، حيث لم تنتشر الطباعة، ولم تتح الفرصة للاطلاع على أعمال الآخرين.

والحق لا بدّ من الاعتراف بأنّ الأعمال التكرارية جميعها لم تأت على هذا النحو.

فالبعض حرر تفسيره قاصداً الثواب، أو الفن، أو تأليف تفسير في جنب تأليفات أخرى للمؤلف، ومقدمة بعض التفاسير تثير التأمل، وقد أشار بعضهم لهذه الدوافع في مقدمة تفسيره. وقد سعينا في هذا الكتاب لتثبيت هدف المؤلف في ضوء ما حرره.

على أية حال، فالتعرف على التفاسير يفضي إلى فهم الدوافع وظروف المفسر الزمنية وحاجات عصره، ويشخص الابتكار والإبداع.

٦- التعرف على التفاسير يوقفنا على الثغرات والحاجات، فننتعرف على الحقول التي نشط فيها التفسير والحقول التي لم يتناولها ونتعرف على طبيعة المخاطب الذي كتب له التفسير، وكيفية تجسيد مهمة هداية المخاطب وتوجيهه قرآنيًا. وفي هذا الضوء يقلع عن الأعمال التكرارية والفجة وغير الهادفة، ويعالج ثغرات التفسير.

٧- الوقوف على إنجازات العلماء الأفاضل الذين سعوا في مختلف المذاهب إلى رفع لواء الإسلام عبر تحريرهم التفسير.

و التعريف بالتفاسير في حقيقة الأمر ثناء على جهود هؤلاء الأفاضل، فالتعرف على التفاسير، تعرف على هؤلاء الأفاضل، وإيضاح نهج كل مفسر، إنّما هو ثناء على هذا المفسر، ومن هنا لا يصح أن نحسب نقد أي مفسر، نقداً لشخصه. بل هو نقد لنهج، ولا ينقص من منزلة أي مفسر تقويم نهجه ونقده، فنحن مدينون لجهود السلف، ونقد المناهج إنّما يستهدف الكشف عن الحقيقة. ثم إنّ التعرف على التفاسير يثبت هذه الحقيقة وهي: أنّ القرآن موضع اهتمام المسلمين عبر جميع الأجيال والعصور، ويوضح الإعجاز الوجودي لهذا الكتاب السماوي في حياة الفرد المسلم وسلوك الجماعة الإسلامية.

صورة إجمالية عن المناهج التفسيرية عند الشيخ جعفر السبحاني

يقول الشيخ جعفر السبحاني في مقدمة كتابه (المناهج التفسيرية) أمّا بعد؛ فهذه رسالة موجزة تتكفل ببيان المناهج التفسيرية صحيحها وسقيمها، وتبيّن الفرق بين المنهج التفسيري والاهتمام التفسيري، فأصول المنهج لا تتعدى عن أصليين:

أ. التفسير بالعقل.

ب. التفسير بالنقل.

لكن لكلّ صوراً:

أمّا الأول فصوره عبارة عن:

١. التفسير بالعقل الصريح.

٢. التفسير على ضوء المدارس الكلامية.

٣. التفسير على ضوء السنن الاجتماعية.

٤. التفسير على ضوء العلم الحديث.

٥. التفسير حسب تأويلات الباطنية.

٦. التفسير حسب تأويلات الصوفية.

أمّا الثاني فصوره عبارة عن:

أ. تفسير القرآن بالقرآن.

ب. التفسير البياني للقرآن.

ج. تفسير القرآن باللغة والقواعد

العربية.

د. تفسير القرآن بالمأثور عن النبي -

والأئمة).

فهذه الصور العشر من فروع المنهجين الأصليين، وفي ثنايا البحث نشير إلى ما لا غنى للباحث المفسر عنه، وأرجو منه سبحانه أن تكون الرسالة بإجازها نافعة لقارئها الكريم بإذن منه.

وما ذكرناه من تقسيم منهج التفسير إلى التفسير بالعقل والنقل أمر ذائع. وفي مقدمة معالم التنزيل للإمام البغوي (المتوفى عام ٥١٦هـ) ما هذا لفظه:

التفسير بالمنقول: هو التفسير بالمأثور الذي رواه الصحابة والتابعون عن النبي -، أو ما روى علماء الأثر عن الصحابة والتابعين أيضاً مما يتعلق بالقرآن الكريم من كل الوجوه، هو من التفسير بالأمور.

ومصادره القراءات القرآنية سواء منها المتواتر والمشهور والشاذ، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين.

التفسير بالمعقول: هو التفسير العقلي الذي يعتمد فيه علم الفهم العميق، والإدراك المركب لمعاني الألفاظ القرآنية، بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنظم في سلكها تلك الألفاظ الكريمة وفهم دلالاتها فهماً دقيقاً.

وهذا القسم من التفسير يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية وإدراك مقاصدها ومعرفتها مدلولها، عن طريق معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول وأساليبهم في التعبير، ومعرفتها دلالة الألفاظ ووجوهها، وآلة هذا النوع من التفسير علوم الاستنباط وأصول التشريع. وقبل أن ندخل في صلب الموضوع نقدم مباحث تمهيدية لها أهميتها الخاصة في

عالم التفسير، كما أنّ لها صلة وثيقة بالمناهج التفسيرية^(١).

صورة إجمالية عن المناهج التفسيرية عند الدكتور الرضائي الأصفهاني

تقسيم المناهج التفسيرية عند الدكتور الرضائي الأصفهاني:

يمكن تقسيم مناهج تفسير القرآن إلى قسمين رئيسيين وأقسام فرعية أخرى علي أساس كَيْفِيَّة استخراج معاني ومقاصد القرآن وكذلك المصدر المستخدم في التفسير.

ألف) المناهج التفسيرية الناقصة:

١. منهج تفسير القرآن بالقرآن.
٢. منهج التفسير الروائي (التفسير علي أساس السنّة).
٣. منهج التفسير العلمي (باستخدام العلوم التجريبية في فهم القرآن).
٤. منهج التفسير الإشاري (العرفاني، الصوفي، الباطني، الرمزي، الشهودي).
٥. منهج التفسير العقلي والاجتهادي.
٦. منهج التفسير بالرأي (المنهج الممنوع في تفسير القرآن).

ب) المنهج الكامل في التفسير:

المقصود بذلك هو المنهج الذي يستفيد من جميع هذه الطرق (المناهج المذكورة سابقاً) لكي يتبين مقصود الآيات بصورة

(١) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية، المقدمة،

كاملة من جميع الجوانب^(١).
 كما أنّ هناك اتجاهات مهمة بالتفسير
 ظهرت عبر المسيرة القرآنية العلمية
 والتفسيرية الزاخرة والمتنوعة مثل
 الاتجاه الفقهي والاتجاه الفلسفي والاتجاه
 الكلامي والاجتماعي والأدبي، واليوم في
 العصر الحاضر نلاحظ ولادة الاتجاه الجديد
 في التفسير وهو الاتجاه التربوي.

أسباب نشوء الاتجاهات والمناهج التفسيرية

يمكن الإشارة إلى أهم أسباب التي أدت
 إلى التنوع التفسيري على صعيد المناهج
 أو الاتجاهات، وقد تكون هي السبب في
 تمرحل ولادة هذه المناهج والاتجاهات،
 ومنها:

ألف) طبيعة القرآن

نزل القرآن الكريم بمسائل متنوعة خلال
 ثلاث وعشرين سنة مشتتلاً على مجموعة من
 الآيات المرتبط بعضها مع البعض الآخر؛
 أي أنّ بعض الآيات يفسّر ويوضح الآيات
 الأخرى فلا يكون التفسير كاملاً وصحيحاً ما
 لم تؤخذ بنظر الاعتبار الآيات والقرائن
 الأخرى «الناسخ، الخاص، المقيّد». ومن
 ثمّ فإنّ فهم وتفسير الآيات والكلمات
 القرآنية يقتضي مراجعة الآيات الأخرى -
 شأن أيّ كتاب آخر يُراد فهمه - ومن هنا
 ظهر هذا المنهج في التفسير (تفسير

(١) د. الرضائي الاصفهاني، محمدعلي، دروس في

المنهج والاتجاهات التفسيرية، ص ٢٥.

القرآن بالقرآن) وقد استخدم الرسول- وأهل البيت (هذه الطريقة في التفسير وأرشدونا إلي استخدامها.

(ب) الأمر القرآني

لقد جاء في الذكر الحكيم أنّ النبي الأكرم- هو المبيّن والمفسّر للقرآن؛ أي أن كلام وأعمال النبي- فيما يتعلق بالآيات يعتبر تفسيراً للقرآن وحجة علي الناس، ويمكن أن يكون أساساً لفهم الآيات والعمل بها. إنّ هذا الأمر القرآني هو السبب في نشوء المنهج والطريقة الروائية في التفسير؛ أي أن المسلمين أخذوا يعتنون كثيراً بالروايات الصادرة عن الرسول- وأهل البيت) من بعده وجمعوها في كتب الروايات التفسيرية واستخدموها في فهم وتفسير القرآن.

(ج) اعتقادات وآراء المفسرين (نشوء المذاهب والمدارس)

ظهرت بعد وفاة النبي- الفرق والمذاهب المختلفة كالشيعة والسنة، ومن بين أهل السنة ظهرت المذاهب الفقهية (الحنفية، الحنبلية، المالكية والشافعية) ونشأت المدارس الكلامية المشهورة كالمعتزلة والأشعرية، إضافة إلي ظهور فرق أخرى كالمتصوفة مثلاً وقد امتد الاختلاف إلي ساحة القرآن وتفسيره وقد سعت كل فرقة ومذهب إلي تفسير آيات القرآن بما يُثبت عقائدها وآراءها، وقامت بتأويل الآيات

المخالفة وإبعاد الطرف الآخر بنفس هذه الطريقة. نرى ذلك في تفسير الآيات المرتبطة ببحث الجبر والتفويض في مذهب الاشاعرة والمعتزلة (مثال ذلك التفسير الكلامي في التفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير ابن كثير، وتفسير البيضاوي).

د) الاعتماد على الرأي والعقائد الشخصية

اتجه بعض الأفراد إلى تفسير القرآن طبقاً لآرائهم الشخصية وأهوائهم النفسية، أو من أجل الدفاع عن مذهب معين دون الأخذ بنظر الاعتبار بالقرائن النقلية والعقلية. وقد سُمّي هذا النوع من التفسير بـ «التفسير بالرأي» حيث اتخذ طابعاً منهجياً بصورة تدريجية، وقد شددت الروايات على ذمّه والنهي عن الخوض فيه^(١).

هـ) نفوذ أفكار وعلوم غير المسلمين إلى الساحة الإسلامية

بدأت حركة الترجمة لكتب اليونان وإيران في القرن الثاني الهجري وذلك في مجال العلوم العقلية والتجريبية؛ مما سبب نمو العلوم الطبية ونشوء الفلسفة بين المسلمين. وقد امتدت جذور الاتجاه الفلسفي في تفسير آيات القرآن. ويمكن أن نجد نماذج من تأثير العلوم التجريبية في كتب ابن سينا. ثم تبدل

هذا الأسلوب إلي حركة قويّة وظهرت تفاسير جديدة اعتماداً علي ذلك، مثل الجواهر في تفسير القرآن الكريم للطنطاوي.

(و) اختلاف المصادر وأدوات التفسير

أحد العوامل المؤثرة في نشوء وتطور طرق التفسير هو استفادة المفسرين من مصادر وأدوات مختلفة في تفسير القرآن. فبعض المفسرين استفاد من العقل أكثر من غيره واتجه إلي المنهج العقلي والاجتهادي في تفسير القرآن في حين أكثر بعضهم من الروايات في التفسير واتجه إلي المنهج والطريقة الروائية مثل تفسير نور الثقلين والدر المنثور، بينما نجد هناك من استخدم العلوم التجريبية في تفسير القرآن واتجه إلي طريقة ومنهج التفسير العلمي، مثل الجواهر للطنطاوي، وهناك من اختار المنهج الإشاري والاتجاه العرفاني والصوفي في التفسير؛ لأنهم استفادوا من المكاشفات العرفانية في التفسير، مثل: (تفسير كشف الأسرار) للميبدى.

إنّ الاستفادة من هذه المصادر والأدوات يعطي نتائج خاصة في التفسير، وقد أدت إلي ظهور وتطور المناهج والاتجاهات التفسيرية.

(ز) الاتجاهات العصرية للمفسرين

أحد العوامل المؤثرة في نشوء الاتجاهات التفسيرية هو الرغبة والحاجة والضرورة الزمانية للمفسر. فمثلاً قد

يعيش أحد المفسرين في بلد تخيم عليه أجواء الحرب مع إسرائيل فيتخذ تفسيره طابعاً حماسياً وجهادياً، أو قد يعيش في بلد تكون الحاجة فيه ضرورية للمسائل المعنوية والأخلاقية والتربوية؛ وحينئذ تصبغ هذه المسائل تفسيره بلون خاص. وقد يتجه المفسر إلى الاتجاه الاجتماعي من أجل حل المشكلات الاجتماعية والتربوية، مثل: تفسير: (في ظلال القرآن) للسيد قطب، و(تفسير نمونه «الأمثل») لآية الله مكارم الشيرازي.

ح) تخصص المفسر ورغبته في علم من العلوم

أحد العوامل المؤثرة في ميل المفسر إلى أسلوب من أساليب التفسير هو تخصص المفسر ورغبته في علم من العلوم، فقد يكتب أحد المفسرين تفسيراً أدبياً بسبب تخصصه في العلوم الأدبية (مثل الكشاف للزمخشري). وربما يكون تخصصه في الكلام فيترك تفسيراً كلامياً (مثل التفسير الكبير للفخر الرازي) وقد يكون المفسر مولعاً بالعلوم التجريبية فيكون تفسيره ذا طابع تجريبي (مثل الجواهر للطنطاوي).

ط) أسلوب الكتابة

قد يرغب بعض المفسرين باختيار أسلوب خاص في كتابة تفسيره فتعدد التفاسير تبعاً لذلك، فهناك التفسير الترتيبي، والموضوعي، والمزجي، والمختصر،

والمفصل، والجامع، وغير الجامع. فجميع هذه الطرق تتعلق بأسلوب الكتابة وطبيعة ذوق المفسر^(١).

التسلسل التاريخي لتفسير القرآن الكريم وتطوره

التفسير في عصر الرسالة^(٢):

كان الناس في صدر الإسلام يقصدون النبي - من أجل التنوير بتعاليم القرآن الكريم ومعرفة مفاهيمه وأحكامه، وكان - يمثل المفسر الأول للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣)، وهذه المهمة أو كُلت إلى النبي - ومن بعده إلى أهل بيته) ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

مدرسة الرسول- التفسيرية:

للرسول- مدرستان تفسيريتان (أسلوبان في التفسير):

(١) د. الرضائي الاصفهاني، محمدعلي، دروس في

المنهج والاتجاهات التفسيرية، ص ٢٢-٢٤.

(٢) لقد تم اقتباس وتلخيص هذا المبحث من كتاب

تاريخ التفسير والمفسرون لأستاذي الشيخ الدكتور

علوي مهر حفظه الله.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٤) سورة النحل، الآية ٤٣.

١- **مدرسة طريققتها عموميّة (الأسلوب العام)** , يعلّم النّاس معاني لقرآن وأحكامه عن طريقّتين هما:
 (أ) **المحاورة** : وذلك ببيان واضح. (ب) **السيرة** : وذلك من خلال التّجسيد العملي لمصطحات القرآن ومفاهيمه أمام النّاس , كقوله-: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».

٢- **مدرسة طريققتها خصوصيّة (الأسلوب الخاصّ)** , إضافة إلى ما يمارسه - من أسلوبه العام فإنّ له أسلوباً خاصّاً في التّربيّة والتّعليم , وهذا الأسلوب كذلك له صورتان:

(أ) **إعداد النّخبة** : وكان - عندما تنزل الآيات يقوم - مضافاً على تعليمها النّاس - بدعوة عدّة من خواص أصحابه مثل: ابن مسعود وأبيّ بن كعب... ويعلمهم تفسيرها ومعانيها وأحكامها...^(١).

(ب) **تربيّة الأخصّ من النّخبة** : وهذا الأخصّ هو الإمام عليّ% , وكان التّبيّ يولي اهتماماً خاصّاً وفريداً به قبل كلّ أحد , وقد ربّاه على تفسير القرآن بشكل مخصوص. قال%: «والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمتُ

(١) نقل الطبري في تفسيره عن ابن مسعود أنّه قال: عندما كان أحدنا يتعلّم عشرة آيات لا يذهب لطلب تعلّم غيرها حتّى يعمل بما تعلّمه من معانيها بشكل كامل.

فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إنَّ ربِّي
وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طليقاً سؤولاً».

حجم الروايات التفسيرية المنسوبة للنبي -:

اختلف في نسبة الروايات التفسيرية
التي وصلت إلينا عن النبي - إلى ثلاثة
آراء:

١- رأي ابن تيمية: إنه - فسّر جميع
القرآن، وله في ذلك أدلة ثلاثة:
أ) الدليل القرآني: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ب) الدليل الروائي: وهو رواية الطبري
عن ابن مسعود، وقد مرّ ذكره آنفاً.

ج) الدليل العقلي: من الطبيعي لمن
يؤلف كتاباً لمجموعة ما أن يعلمهم محتوى
ما جاء فيه، والقرآن كذلك فهو قانون
المسلمين لا بدّ أن يبيّن، ومهمة الرسول
هو التبيين كما مرّ في الدليل الأول.

٢- رأي السيوطي والخوئي: أنّ الرسول -
لم يفسّر من القرآن إلاّ القليل، ولهما
في ذلك أدلة ثلاثة أيضاً:

أ) ما رواه الطبري عن عائشة أنّها
قالت: إنّ النبي - لم يفسّر للناس من
القرآن إلاّ بعض الآيات التي علّمه بها
جبريل^(١).

(١) جامع البيان ١: ٣٧.

(ب) إنّ الله دعا النَّاسَ إلى التَّدبُّرِ والتَّأمُّلِ في آياتِ القرآنِ لكي ينالوا فهمه , أضف إلى ذلك أننا لم نجد نصًّا صريحاً يبيِّن أنَّ تكليف النَّبِيِّ - هو تفسير كلِّ القرآنِ . والذي هو يتنافى في الأساس مع الدَّعوة إلى التَّأمُّلِ والتَّدبُّرِ .

(ج) **رأي الذهبي:** وهذا الرَّأي يتَّخذ موقف الاعتدال والوسطية في أنه - فسّر أكثر الآيات , إذ إنّ بعض الآيات لا تحتاج إلى تفسير من النَّبِيِّ - بل يكفي الرَّجوع إلى اللُّغة وغيرها .

رأي المصنّف: الأصوب والمتبني عنده هو شمول تفسير كلِّ الآيات أو الأغلبية السَّاحقة , وعلى الأخصّ فيما يعود إلى تعليم علي % كامل التفسير .

- **المدرسة التفسيرية العامة والخاصة:** أنّ عدد الروايات في المدرسة العامة محدود بناءً على ما نقله السيوطي وفيها مشكلات كثيرة متنأً وسنداً , وهي في حدود ٢٥٠ رواية . وأمّا عدد الروايات عند المدرسة الخاصة أكثر بكثير , ففي تفسير العياشي (إلى آخر سورة الكهف) والبرهان ونور الثقلين تشتمل على حدود ٣٢٧٠٠٠ رواية .

أنواع التفسير عند الرسول -:

إنّ روايات التفسير عن النَّبِيِّ - تُظهر تعدد أساليبه التفسيرية المتنوعة التي من جملتها:

(أ) **بيان شرح المصطلحات القرآنية:** مثل التَّيَمُّمِ وبيان الصَّلَاةِ الوسطى .

(ب) بيان المفردات: كما في قوله -
جواباً على سؤال رجل في معنى (عضين) في
قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ
عِضِينَ﴾^(١) آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

تقييد المطلق: كما في تقييده كلام الله
تعالى المطلق: ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
الزَّبَا﴾^(٢) قيده بتحريم بيع الأسلحة إلى
العدو المحارب. في قوله -: يا علي كفر
بالله العظيم من هذه الأمة عشرة... إلى أن
قال: وبائع السلاح من أهل الحرب^(٣).

(ج) تخصيص العام: كما خصص قوله تعالى
العام في إرث الولد: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ
لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٤) بقوله -: «لا
ميراث للقاتل»^(٥).

(د) تفسير القرآن بالقرآن: قال ابن
مسعود عندما نزلت قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ
آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٦) شعر الناس بالقلق

(١) سورة الحجر، الآية ٩١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٣) وسائل الشيعة ٢: ٧١.

(٤) سورة النساء، الآية ١١.

(٥) نفس المصدر ١٧: ٣٨٨.

(٦) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

والصَّعوبة وقالوا لرسول الله- من منّا لم يظلم نفسه؟ فقال:- ليس كما فهمتم ألم تسمعوا قول العبد الصّالح (لقمان الحكيم): ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، والمقصود من الظلم في الآية هو الشرك لا أي ظلم^(٢).

التفسير في عصر الصحابة:

بدأ عصر الصحابة من زمن الرّسول- وانتهى إلى سنة ١٢٠ بوفاة الصّحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري.

تعريف الصحابة:

الصحابة لغة: جمع صحابي مأخوذ من "صحب" بمعنى رافق والصّاحب هو الملازم والجليس والمجاور. واصطلاحاً:
 أ) فقد كتب أبو ريّة: إنّ الصّحابي هو الشخص الذي جالس النّبي- أو هو من رآه^(٣).
 ب) وقال الشهيد الثاني: يقال للأشخاص الذين لاقوا رسول الله- وآمنوا به وماتوا على الإسلام أنّهم (صحابه)^(٤).
 - قال السيوطي في الإتقان: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن

(١) سورة لقمان، الآية ١٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢١٢.

(٣) أضواء على السنّة المحمديّة: ٣٤٨.

(٤) الدراية في علم مصطلح الحديث للشهيد الثاني

زين الدين: ١٢٠.

كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن زبير. ثم يضيف: (أما الخلفاء فإن أكثرهم رواية في التفسير علي بن أبي طالب وأما من الثلاثة الآخرين فهو في الحقيقة قليل جد) (١).

١- علي بن أبي طالب %:

علم علي % على لسان الرسول -:

أ) قال -: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب».

ب) وفي رواية السلمان: «أعلم أمّتي من بعدي علي بن أبي طالب» (٢).

علم علي % على لسانه:

أ) «أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض» (٣).

ب) «ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير» (٤).

رأي الصحابة حول علم علي %:
عبد الله بن عباس:

(١) الإتيان ٤ : ١٩٦.

(٢) المناقب: ٤٩.

(٣) التفسير و المفسرون لمعرفة ١ : ٢١٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٣ (الشقيّة).

أ) (جُلُّ ما تعلَّمْتُ من التَّفْسير من عليّ بن أبي طالب) (١).
 ب) وقال: (لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العُشر العاشر).

عبد الله بن مسعود:

أ) (إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلاّ وله ظاهر وباطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن).

عبد الله بن عباس: من محبّي عليّ % وتلاميذه. ولم يصل إلينا تفسير ألفه هو بشكل قطعي، نعم هناك مجموعة من الكتب

نسبت إليه (منها:

- أ) تفسير ابن عباس عن الصحابة.
 ب) تفسير ابن عباس.
 ج) تفسير عكرمة عن ابن عباس.

منهجه التفسيري:

١- الإستفادة من الشعر العربي: في حوالي ٢٥٠ كلمة، ومنها جوابه لابن الأزرق في ﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا﴾ (٢)، أي رحمة من عندنا مستدلاً بقول طرفة بن العبد:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضها

حنانك بعض الشهر أهون من بعض

٢- اللّغة العربيّة: كما نُقل أنّه لم يكن يعرف معنى (يحور) في قوله

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ٣٢١.

(٢) سورة مريم، الآية ١٣.

تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾^(١)، حتى سمعت من امرأة من سكنة البوادي تقول لإبنتها (حوري) أي (إرجعي).
 ٣- تفسير القرآن بالقرآن: كما فسّر قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَدِ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٢)، بقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

مصحف عبد الله بن مسعود: ومصحفه عبارة عن ١١١ سورة، لأنه يرى أن (المعوذتين) ليستا من القرآن، وأما (الفاتحة) فهي من القرآن، وبما أن المسلمين يقرأونها دائماً في صلواتهم فهي محفوظة لا تحتاج إلى الإثبات في المصحف.

من قراءته: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أن علياً مولى المؤمنين ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

(١) سورة الانشقاق، الآية ١٤.

(٢) سورة غافر، الآية ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٨.

(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.

مصحف أبي بن كعب: يحتوي على ١١٥ سورة، فيعتبر (الفيل) و(قريش) سورة واحدة إلا أنه زاد سورتين (الخلع) و(الحقد).

خصوصيات تفسير الصحابة:

- ١- لم يفسروا كل القرآن.
- ٢- البساطة من غير عمق.
- ٣- عدم وجود الاختلافات الفقهية.
- ٤- التنزه عن التفسير بالرأي.

التفسير في عصر التابعين

يُطلق لقب التابعي على الأشخاص الذين عاشوا الصحابة وكانوا على الإيمان برسول الله - وماتوا على ذلك^(١).

من أشهر مفسري مدرسة مكة:

- ١- سعيد بن جبير: تلميذ ابن عباس ومن أعلم التابعين بالتفسير.
- منهجه التفسيرية:**

١- بيان مفردات القرآن: كما فسّر قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢). بطريق الجنة^(٣).

٢- بيان مصداق الآية: ففي تفسير: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾^(٤) نُقِلَ عنه: أنها فريضة

(١) الدراية في علم مصطلح الحديث للشهيد الثاني: ١٢٠-١٢٢.

(٢) سورة الحمد، الآية ٦.

(٣) روح الجنان لأبي الفتوح الرازي ١: ٥٠.

(٤) سورة الكوثر، الآية ٢.

الصَّحْبِ تُصَلِّيَ جَمَاعَةً فِي وَقْتِهَا لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ، وَنَحَرَ الْبَعِيرَ فِي مَنَى^(١).
 ٣- بيان شأن نزول الآية: فقد نُقِلَ عَنْهُ
 فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢)، أَنَّهَا نَزَلَتْ
 فِي أَبِي سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ وَالَّذِي
 اسْتَأْجَرَ أَلْفِي رَجُلًا مِنَ الْأَحْبَاشِ لِمَحَارَبَةِ
 الْإِسْلَامِ^(٣).

٢- مجاهد: من أوثق تلامذة ابن عباس.
 أنواع التفسير عنده:

١- التشبيه والتَّمثِيل: يقول أن قوله
 تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ
 فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٤).
 المراد من المسخ مسخ القلوب لا الأبدان
 ففي الآية كناية و التَّمثِيل ومثله في قوله
 تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
 يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٥). فهو
 تشبيهه^(٦).

٢- التفسير العقلي: نُقِلَ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ

(١) مجمع البيان ١٠ : ٥٤٩ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٦ .

(٣) الدر المنثور ٣ : ٣٣٤ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٦٥ .

(٥) سورة الجمعة، الآية ٥ .

(٦) جامع البيان ١ : ٢٥٣ .

قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(١). أنه قال وجوه مشرقة مسرورة منتظرة لثواب ربها في يوم القيامة لا أنهم يرون ربهم^(٢).

٣- التفسير الولائي: نقل عن سلمان الفارسي أنه قال: سمعت رسول الله - يقول: «إِنَّ وَصِيَّيَّ وَخَلِيفَتِي وَخَيْرَ مَنْ أَتْرَكَ بَعْدِي تُنَجِّزُ مَوْعِدِي وَيَقْضِي دِينِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»^(٣).

و من خصوصيات تفسيره: الإهتمام بالموضوعات العرفانية.

من أشهر مفسري مدرسة المدينة:

١- سعيد بن المسيّب: وقد عدّ من محبّي أهل البيت).
مما فسره مفردة (ارم) في قوله تعالى: ﴿إِزْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾^(٤). أنها مدينة في دمشق^(٥). كما فسّر قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾^(٦). بأنهم الذين صلّوا على القبليتين.

(١) سورة القيامة، الآيتان ٢٢ و ٢٣.

(٢) نفس المصدر ٢٩: ١٢٠.

(٣) شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٩٨.

(٤) سورة الفجر، الآية ٧.

(٥) روح الجنان لأبي الفتوح الرّازي ١٠: ٢٨٣.

(٦) سورة التّوبة، الآية ١٠٠.

٢- محمد بن كعب القرظي: وهو ممن روى عن علي % وابن مسعود ز ابن عباس وكان ثقة.

أنواع التفسير عنده:

١- توضيح المفاهيم العامة: ففي قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾^(١). نُقِلَ

عنه أنه قال: (من رطبه وعنبه).

٢- بيان المصطلحات: فسّر معنى (الإسراف) وقال: (السرف هو أن لا يعطى بحق).

٣- تعيين المصداق: قال: المقصود من قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢). هي الأشهر الأربعة ابتداءً من يوم النحر إلى العاشر من شهر ربيع الآخر^(٣).

من أشهر مفسري مدرسة العراق (الكوفة والبصرة)

١- قتادة بن دعامة: كان من أبرز علماء عصره، وكان يتمتع بحافظة قويّة.

- أنواع التفسير عنده:

١- بيان المصداق: ففي تفسير مفردة (كلمة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢.

(٣) مجمع البيان ٥: ٥.

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴿١﴾. أَنَّهُ قَالَ

المقصود هو قول الله تعالى: (كن) ﴿٢﴾.

٢- توضيح الاصطلاحات: نُقِلَ عَنْهُ بَعْضُ

المفسرين أَنَّ مَعْنَى ﴿وَمُهَيِّمِنَا عَلَيْهِ﴾ ﴿٣﴾،

تعني (أَمِينَا عَلَيْهِ وَشَاهِدَا بِأَنَّهُ الْحَقُّ).

٢- **حسن البصري**: لَقَدْ وَصَفَ بِالزَّهْدِ

والتَّقْوَى وَالفصاحة والبلاغة ﴿٤﴾. وَقَدْ نُقِلَ

عنه السُّنَّةُ وَالشَّيْخَةُ.

خصوصيات تفسير التابعين

١- ظهور التَّنَوُّعِ وَالِإِخْتِلَافِ فِي التَّفْسِيرِ،

عَقْلِيًّا، عَرَفَانِيًّا، كَلَامِيًّا... .

٢- الِاعْتِمَادُ عَلَى الْإِجْتِهَادِ وَالتَّوَسُّعِ فِيهِ.

٣- الِاعْتِمَادُ عَلَى الظَّنِّ.

٤- زِيَادَةُ الرِّوَايَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ وَذَلِكَ

لِدُخُولِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْإِسْلَامِ.

*** دور أهل البيت (في التفسير:**

مفهوم أهل البيت

مفردة (أهل) في الأصل تعني (الأنس)

و(الألفة) بين شيئين ثم أخذت بعد ذلك

معنى آخر مثل أعضاء العائلة (المرأة

والأبناء والخدم) , الأقرباء .

(١) سورة النساء، الآية ١٧١.

(٢) مجمع البيان ٣: ٢٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٤) آمالي المرتضى ١: ١٥٣-١٦٢.

و مفردة (بيت) في الأصل تعني (المكان والمحل الذي يعود إليه الإنسان).
النتيجة: (أهل البيت) يعني أفراد العائلة والأشخاص الذين لهم محل سكون الإنسان وطمأنينته في الرجوع إليه من عمله في الليل أو النهار ويأنس ويستريح أفراده فيه.

أما تعبير (أهل البيت) بعنوان مفهوم قرآني جاء في آية ٣٣ من سورة الأحزاب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فهذا ما يزيد على سبعين رواية تصرح بأنها نزلت في الرسول- وعلي وفاطمة والحسن والحسين).

سعة علم الأئمة بالقرآن

١- قال الإمام الباقر%: «نحن خزّان علم

الله ونحن ترجمة وحي الله» (١).

٢- قال الإمام حسين%: «نحن الذين

عندنا علم الكتاب...» (٢).

أ) العلوم الغيبية: قال الإمام الباقر%: «تفسير القرآن على سبعة أوجه منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد تعرفه الأئمة».

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ٣٣.

(٢) أهل البيت في الكتاب و السنة لري شهري ١:

(ب) شرح وتفصيل الأحكام: وهذا العلم مأخوذ من الآباء والأجداد, وكان لعلّي % كتاب الجامعة من إملاء الرسول - فيه تمام جزئيات أحكام الحلال والحرام وقد توارثه الأئمة).
 (ج) العلم بظاهر القرآن وباطنه: راجع رواية ابن مسعود في علم علي %.

حجّة قول أهل البيت في التفسير

أُسْتُدِلَّ على حجيتهم التفسيرية وغير ذلك من خلال حديث الثقلين الذي نُقِلَ بالتواتر. كما استدلّ على ذلك أيضا بالجمع بين الآيتين التّطهير وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١).

دور أهل البيت في تفسير القرآن:

- ١- دور الهداية والتربية.
- ٢- إعداد المفسرين.
- ٣- بيان أسس وأصول الهداية.
- ٤- مواجهة الآراء المنحرفة.
- ومن أساليبهم في مواجهة الآراء المنحرفة:

- (أ) تشخيص أصحاب الفكر المنحرف مثل اليهودي كعب الأحبار.
- (ب) الذم والتوبيخ للأفكار الخارجة من الإسلام والتي تهدف هدمه.

(١) سورة الواقعة، الآية ٧٩.

٣) طرح الموضوعات الصّحيحة إزاء التّصوّرات الباطلة, كخلق أمّنا حواء من بقيّة طين آدم %.

التّفسير في القرن الثالث الهجري

خصوصيّات التّفسير في هذا القرن:

١- دَوّن علم التّفسير تحت عنوان مستقل به .

٢- كُتِب التّفسير بأساليب مختلفة وميول متعدّدة الرّوائبي, الأدبي, العرفاني, اللّغوي...

٣- انتشرت روايات الأئمّة في المدن الصّحابة والتّابعين في المدن المختلفة.

من أهمّ التفاسير في هذا القرن:

ذكروا لهذا القرن حدود سبعين تفسيراً ومفسّراً, ونذكر أهمّها:

١- الرّوائبي: (تفسير المصباح للإسرايني).

٢- الفقهي: (أحكام القرآن للشافعي).

٣- الأدبي: (معاني القرآن).

التّفسير في القرن الرابع الهجري

خصوصيّات القرن:

١- ارتفاع الصّراعات السّياسيّة والاجتماعيّة إلى حدّ كبير.

٢- نفوذ التّشيع في كلّ نقاط العالم الإسلامي.

٣- أسّست فيه المكتبات والمراكز العلميّة مثل (الأزهر) في مصر.

من أهمّ التفاسير في هذا القرن:

١- عند الشّيعة: (تفسير القمّي:

لإبراهيم القمّي). ومنهجه (رّوائبي محض).

نقاط القوة: إنّه أقرب تفسير روائيّ مدوّن من عصر النّزول, فهو ذخيرة ثمينة من أقوال أهل البيت).

نقاط الضعف:

(أ) إنّ بعض الروايات لا سند لها أو سندها ضعيف.

(ب) إنّ بعض الروايات تُقوّي شبهة التّحريف مع أنّ المقصود هو التّحريف المعنويّ.

٢- عند السنّة: (جامع البيان: لابن جرير الطّبري). ومنهجه (روائي مع التحليل والأدب أحياناً).

أهمّ مصادره: بعد الروايات الواصلة إليه عن النّبويّ- وأقوال الصّحابة والتّابعين, يمكن ذكر ما يلي:

١- الإستفادة من الأدب العربي وخصوصاً النّحو.

٢- الإستفادة من الشعر.

٣- انتخاب قراءة خاصّة.

٤- ذكر آراء الفقهاء ونقدها والتّحقيق فيها. (وهذه نقاط قوّة عنده أيضاً).

موقفه من أهل البيت): حاول طمس فضائلهم ففي ذيل آيات (إكمال الدّين, التّبليغ, المودّة وغيرها) بحث بحثاً مفصّلاً ولم يُشر إلى أهل البيت).

الإسرائيليات في تفسيره:

جاءت في تفسير الطّبري عدد كبير من الروايات المرتبطة بالقصص القرآنية والروايات الإسرئيلية, وقد قام أحد المحقّقين المصريّين باستخراج (٣٥٠)

رواية إسرائيلية من تفسيره. (و هذا يُسجَل عليه نقطة ضعف).

الميول المختلفة لتفاسير هذا القرن:

- الأدبي: مثل: (معاني القرآن للزجاج).
- البياني: مثل: (تفسير الزماني).
- الكلامي: مثل: (تفسير الكبير للجبائي).
- الفقهي: مثل: (أحكام القرآن للجصاص).

التفسير في القرن الخامس الهجري

خصوصيات هذا القرن:

- ١- السَّيَاسِيَّة: المواجهات, واشتعال الحروب المدمرة.
- ٢- الثَّقَافِيَّة: التَّقَدُّم وتوسُّع العلوم وتأليف الآثار الإسلام. (عاش في هذا القرن كبار العلماء مثل: الشيخ الطوسي في (عالم الشيعة) والحاكم النيشابوري في (عالم السنة)).

من أهم تفاسير هذا القرن:

- ١- عند الشيعة: (تفسير التبيان للشيخ الطوسي). منهجه (إجتهادي) واتجاهه (كلامي). اشتمل على مقدمة واسعة تضم نكات قيِّمة جدًا منها:
 - ١- حرمة التفسير بالرأي.
 - ٢- التمسك بالقرآن والعترة في كل عصر.
- ٣- الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه...

الهدف من التّأليف: لقد ذكر الشيخ الطّوسي هدفين من تأليف تفسيره التّبيان وهما:

- ١- عدم وجود تفسير جامع وكامل.
- ٢- عدم وجود تفسير يدافع عن عقائد الشيعة.

١- عند السّنة: (الكشف والبيان للثعلبي). منهجه (روائي - تحليلي).

النّكات العلميّة:

- ١- اعتمد المنهج الرّوائي في تفسير القرآن الكريم.
- ٢- اهتمّ بالنّكات الأدبيّة واللّغويّة وتابع في البحث عن أصلها وتصدّى لمناقشتها.

٣- نقل فضائل أهل البيت (في المواضيع المتعلقة بهم ويرجّح في بعض المواقع الرّأي الموافق لأهل البيت).

نقاط الضّعف:

- ١- لم يتجنّب الرّوايات الإسرائييليّة والقصص والحكايات التي لا تصدّق.
- ٢- طرح البحوث الفقهيّة لآيات الأحكام بشكل واسع جدًا لا يتناسب مع الكتب التّفسيريّة.

موقف الدّهبي من تفسير الثعلبي: لقد وصف الدّهبي تفسير الثعلبي بوجود الأحاديث الموضوعة، وأنّ الثعلبي لا يملك قدرة التّمييز بين الحديث الصّحيح وغيره، والعجب أنّ الدّهبي نفسه حاول تنزيه تفسير الطّبري الملىء بالإسرائيليات بحجّة أنّ الطّبري نقل السّند وألقى عهدة

التَّمييز على القراء، أمّا هنا فمع أنّه لم يقل ذلك فحسب بل ترقّى إلى أكثر كما رأيت.

التفسير في القرن السادس الهجري

خصوصيات القرن:

- ١- ذكر في هذا القرن حدود تسعين من أسماء التّفاسير والمفسرين.
- ٢- كُتبت في هذا القرن تفاسير اجتهادية جامعة التي قلّ نظيرها كمجمع البيان والكشاف.
- ٣- ظهور التّفاسير باللّغة الفارسيّة مثل: "كشف الأسرار: للمبيدي".

من أهمّ تفاسير هذا القرن:

- ١- عند الشيعة: (مجمع البيان للطبرسي). منهجه (إجتهادي)، واتّجاهه (كلامي - أدبي).
- أسلوبه في التّفسير: النّظم في رعاية المواضيع في بداية كلّ سورة مكّيّة كانت أو مدنيّة، ضبط تعداد آيات السّور وذكر الأقوال المختلفة، بيان فضيلة كلّ سورة، القراءات والإختلاف فيها، الحجّة، الإعراب، سبب النّزول إن وجد، المعنى في تفسير الآية وطرح الآراء المذكورة حولها.
- ٢- عند السنّة: (الكشاف للزمخشري). منهجه (أدبي - بياني - كلامي).

نقاط القوّة:

- ١- خلوّه من الحشو والزيادة والإضافة.
- ٢- سلامته من القصص الإسرائيليات إلاّ في بعض المواضع كقصّة داود وسليمان، وكأنّه مارس تقويمها.

٣- اهتمامه الفائق باللّغة العربيّة
الأصليّة في مجال المعاني والبيان.
٤- أظهر حقيقة الإعجاز الأدبي في
القرآن بصورة رائعة في المجال الفنّي
بذوقه الأدبي الجميل.

- **الزّمخشري وأهل البيت**: ممّا جعل
تفسيره مقبولاً في أوساط الشيعة، اهتمامه
بنقل فضائل أهل البيت (ومن جملتها آية
المباهلة في (آل عمران) مع بيان قويّ
جداً مثل واحد من مفسّري الشيعة حال نقله
فضائل الأئمة والدّفاع عنها.

التفسير في القرن السابع والثامن والتاسع

خصويّات التفسير والثّقافة في هذه القرون:

١- مداومة التّحليل والاجتهاد في
التفسير مثل: (التفسير الكبير للرازي)
و(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي).
٢- لم يؤلّف تفاسير في وسط الشيعة إلاّ
القليل حتّى أُطلق على هذه القرون- نوعاً
ما- بعصر أفول التفاسير عند الشيعة.
٣- مداومة تأليف التفاسير المتنوّعة
في الاتجاهات (كلامي، أدبي، عرفاني،
فقهية...).

من أهمّ تفاسير هذه القرون:

١- **عند الشيعة**: (المحيط الأعظم للسّيّد
حيدر آملي). اتّجاهه (عرفاني - صوفي).
هذا التفسير يشتمل على سورة الحمد
وقسماً من سورة البقرة، وهو في الحقيقة
تفسير موضوعيّ.

٢- **عند السنّة**: (التفسير الكبير
(مفاتيح الغيب) للفخر الرازي). منهجه

(إجتهادي وعقلي) واتجاهه (كلامي وفلسفي).

للرّازي اهتمام خاصّ بالبحوث العقلية لذلك عُدّ تفسيره من زمرة التّفاسير العقلية، وبهذا المعنى فهو مشحون بالبحوث الكلامية والفلسفية، ولكنّه في منهجه يستدلّ بالآيات والرّوايات والأدلة العقلية واللّغة والأدب ويتعرّض لنقد الأقوال ويحقّق فيها.

الرّازي وأهل البيت)

لقد سبق كثيراً من مفسّري أهل السّنة في قضية بيان فضائل أهل البيت، وعندما يذكر اسم الإمام علي وسائر الأئمّة) يذكرها باحترام، ويعتبر الصّلاة عليهم من الأدعية، وذكر ليلة المبيت، وفي سورة الإنسان ذكر الرّوايات المتعلّقة بمرض الحسنين ؑ وإطعام عليّ % المسكين واليتيم والأسير، وهكذا طرح قضية محبّة أهل البيت) في ذيل آية المودّة كما نقل عن الرّمخشري حديث: «من مات علي حبّ آل محمّد مات شهيداً...».

وهناك تفاسير أخرى مثل: (نهج البيان عن كشف معاني القرآن للشّيباني) عند الشّيعية، و(الجامع لأحكام القرآن للقرطبي)، (أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل للبيضاوي)، (تفسير القرآن العظيم لابن كثير) و... .

التفسير في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر

النكات المشتركة بين هذه القرون الثلاثة:

١- توسّع وتّفشي النّزعة الأخباريّة ، فألّفت فيها تفاسير روائية محضة مثل: (البرهان للبحراني) في أوساط الشّيعة ، و(الدرّ المنثور للسّيوطي) في أوساط السنّة .

٢- وجود تأليفات في آيات الأحكام مثل: (زبدة البيان في آيات الأحكام للمقدّس الأردبيلي) ، وكان لتشكيل الحكومة الصّفويّة الشّيعة الدّور الفاعل في تنمية هذا الإتّجاه .

٣- صار الإتّجاه الغالب في هذه القرون - خصوصاً العاشر والحادي عشر - نحو كتابة الحواشي والتّعليقات وقد ذُكرت حدود خمسين حاشية على (تفسير البيضاوي) ، كما وجدت حواشي على (تفسير الكشاف) .

من أهمّ تفاسير هذه القرون:

١- عند الشّيعة: (تفسير الصّافي للفيض الكاشاني) . منهجه (روائي مع توضيح وتحليل) . واتّجاهه (العرفاني في بعض الموارد) .

يقوم الكاشاني بشرح مختصر للآية اعتماداً على (تفسير البيضاوي) ، ويستند إلى المتون الرّوائيّة عند شيعة أهل البيت) .

٢- عند السنّة: (الدرّ المنثور في التّفسير بالمأثور للسّيوطي) . منهجه (روائي محض) .

يقوم جلال الدّين بذكر الرّوايات في ذيل كلّ آية , ولم يتعرّض إلى التّحقيق فيها بل ينقلها بلا إشارة إلى صحتّها أو سقمها , ولذا نشاهد في تفسيره الرّوايات الإسرائيلىّة والمجعولة أيضاً .
 هناك تفاسير أخرى أيضاً مثل: (تفسير كنز الدّقائق للقمّي المشهدي) و(روح البيان للبروسوي) . كما وُجِدَت تفاسير تتّجه اتّجاه الفلسفي العرفاني مثل: (تفسير القرآن الكريم لملاً صدرا) .

التّفسير في القرن الثالث عشر

علّة ركود التّفاسير في هذا القرن:

كان - في القرون الثلاثة الماضيّة - المنهج الرّوائي هو المنهج الطّاعي على بقيّة المناهج كلّها ولم يبق للتّحليل إلاّ النّزر القليل .
 ولعلّ أهمّ العلل لهذا الرّكود هي انشغال العلماء في المواجهة العلميّة بين النّزعة الإخباريّة والاجتهاديّة في الفقه والفقاهة ، وكذا تربيّة الفقهاء الكبار مثل صاحب (الجواهر) والشيخ الأنصاري و... .

من أهمّ تفاسير هذا القرن:

١- عند الشّيعة: (الوجيزفي تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير شبر) لعبد الله شبر . منهجه (اجتهادي وروائي) .
 اشتهر هذا التّفسير بين سائر كتبه وحتّى التّفسيّرين الآخرين له وأسْتفِيد منه أكثر من غيره , وفيه سعة اطلاع وعلم ودقّة .

٢- عند السنّة: (روح المعاني لآلوسي) منهجه (إجتهادي). استفاد كثيراً من تفسير الكبير للرازي، وكونه حنفيًا متعصبًا جعله يوجّه في تفسيره التّهم للشّيعه، وقد بحث المسائل الكلاميّة والفقهية بصورة موسّعة أيضاً.

التفسير في العصر الحاضر (القرن الرابع عشر)

(عصر الازدهار وأفضل التّفاسير)

مفهوم (التفسير العصري)

قال آية الله معرفة: (إنّ التفسير العصري هو طرح مفاهيم القرآن بالصورة الحديثة التي تتناسب مع متطلّبات اليوم والكشف عن الحقائق القرآنية الجديدة)^(١).

من أهمّ الخصائص التفسيرية للعصر الحاضر:

١- عصر النهضة العلميّة الجديدة.

٢- التّغطية الأدبيّة والاجتماعيّة للبحوث التفسيرية.

٣- إيمان العلماء وأصحاب الرّأي أنّ القرآن قادر بالإجابة العلميّة على كلّ متطلّبات البشر في كلّ عصر وزمان.

الأساليب التفسيرية المختلفة في العصر الحاضر

ذكر الذهبي تحت عنوان: (ألوان التفسير في العصر الجديد) أربعة أساليب:

١- الأسلوب العلمي:

٢- الأسلوب المذهبي:

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ٢: ٤٤٠.

٣- الأسلوب الإلحادي:
 ٤- الأسلوب الأدبي الاجتماعي: (١). بينما
 ذكر معرفة أربعة أساليب قريبة من
 هذه (٢).

**التفسير البياني في العصر
 الجديد: (الاستفادة من الأدب والبيان).
 مراحل التفسير البياني بشكله الجديد:**

١- التفسير الموضوعي:
 ٢- الترتيب الزمني: وهو ترتيب الآيات
 المتعلقة بموضوع واحد حسب الترتيب
 الزمني لنزولها هل هي مكّية أو مدنيّة
 و...

٣- الإهتمام ببحوث علوم القرآن: في
 التعرف على الأمور التاريخيّة ونزول
 القرآن وجمعه و...

٤- بيئة عصر النزول.
 ٥- التحقيق في مفردات القرآن: تمارس
 التحقيق في مفهوم مفردات القرآن مضافاً
 إلى كونها مفردة لغويّة, وفي أيّ موارد
 استعملت في القرآن, وبأيّ معاني ذكرت.
 فنّجمع بكلّ معانيها.

٦- البحث في تركيبات القرآن: ويتمّ
 بمساعدة العلوم البلاغيّة: مثل علم النحو
 والصرف والبلاغة و...

(١) التفسير والمفسرون ٢: ٥٣٢.

(٢) انظر التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ٢:

أهمّ التّفسير والمفسّرين بالأسلوب البياني في العصر الجديد

١- (محاضرات في الأمثال القرآنية
لأمين الخولي). محاضرات أقيمت في جامعة
الأزهر.

٢- (التفسير البياني للقرآن الكريم)
و(الإعجاز البياني للقرآن الكريم) كلاهما
للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي.

٣- (الصورة الفنيّة في المثل القرآني:
لدكتور محمد حسين عليّ الصّغير) وهذا
الكتاب تفسير بلاغيّ مع نقد وتحقيق.

٤- التفسير البنائي: للدكتور
البستاني.

التحوّلات الخاصّة بالعصر الحاضر

التفسير الترتيبي المطابق لترتيب

النزولي: مثل: (التفسير الحديث لمحمد
عزت). وهو تفسير لجميع القرآن ابتداءً
من سورة (الحمد) وانتهاءً إلى سورة
(النصر) , ويفسر القرآن بالقرآن أحياناً.

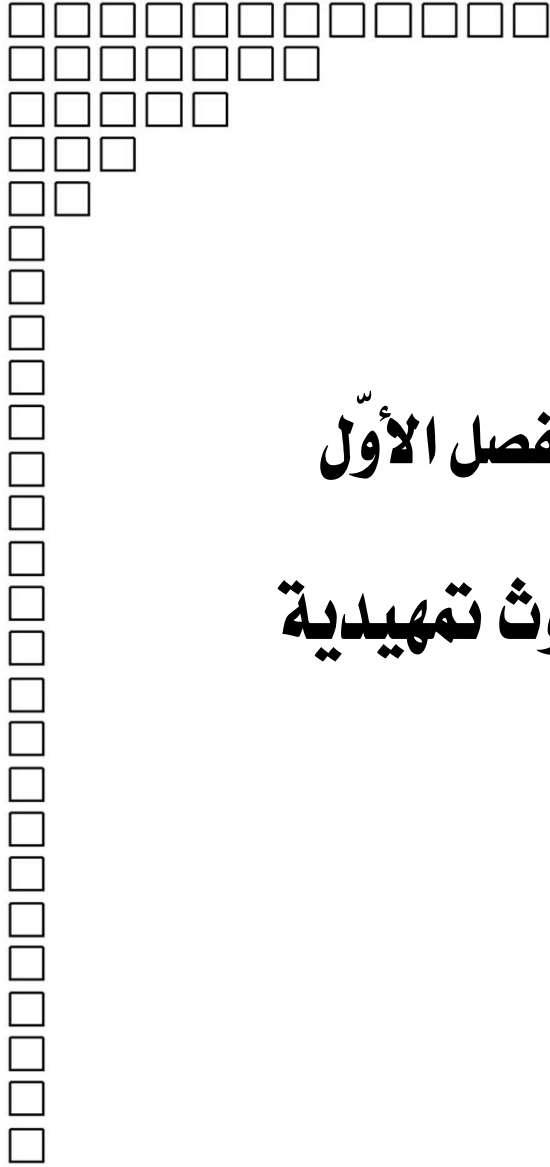
التفسير العلميّة: (الجواهر في تفسير

القرآن الكريم) (تفسير طنطاوي): للطنطاوي.
منهجه (العلمي). كُتب بالمنهج العلمي
المفرط, ويرى المؤلّف أنّ القرآن يدعو إلى
العلوم المختلفة السماوية والأرضية, وأنّ
في القرآن ٧٥٠ آية لها علاقتها بالعلوم
التجريبية, والحال أنّ الآيات المرتبطة
بالفقه لا تتجاوز ١٥٠.

التفسير الفقهيّة: (روائع البيان,

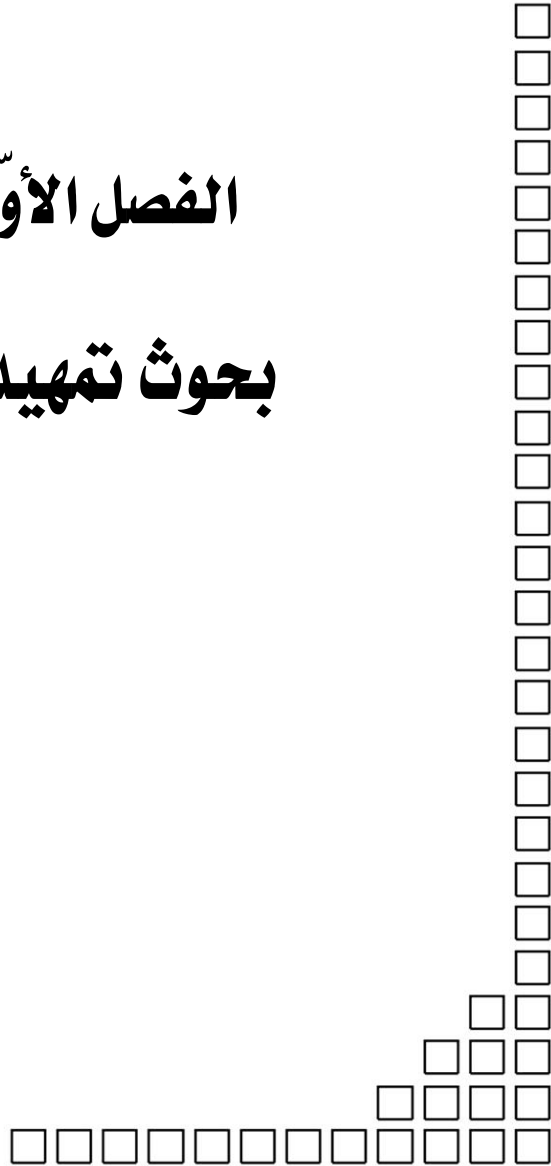
تفسير آيات الأحكام: لعليّ الصّابوي).
والآن نحاول أن نبدأ بعرض الموضوع
وتفصيله وهو بيان التعريف باتجاه

التفسير التربوي وبيان أهم أصوله التي
يقوم عليها.



الفصل الأول

بحوث تمهيدية



الفصل الأول: بحوث تمهيدية

مقدّمة

لابد لكلّ بحث أو دراسة علمية من البدء بالتعريفات اللازمة لكي تتبيّن محاور البحث ويحدد موضوع الدراسة، ولكي لا تختلط المفاهيم والاصطلاحات. ونحن في هذه البداية نسلك نهج البحث المنطقي في الوقوف على التعريفات اللغوية والبحث عن المفاهيم الاصطلاحية وتحديد الحدود الحقيقية وإعداد المقدمات اللازمة للدخول في صلب الموضوع، وهو الكشف عن أصول التفسير التربوي.

الهدف من هذا الفصل

يهدف هذا الفصل من خلال أبحاثه إلى تحقيق ما يلي:

١. تحديد الهوية أو المعنى اللغوي للمصطلحات الواردة في عنوان الرسالة.
٢. تحديد الهوية أو المعنى الاصطلاحي للمصطلحات الواردة في عنوان الرسالة.

٣. كتابة بعض المقدمات المساهمة في بيان المراد من التفسير التربوي ولو من خلال الإتيان بمثال له.
المباحث الأساسية في الفصل الأول

الأصل في اللغة

نقوم أولاً باستعراض أقوال أهل اللغة على أساس التسلسل الزمني، ثم نقوم بدراسة لها وتحليلها:

استعراض أقوال أهل اللغة على أساس التسلسل الزمني

١. الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):
واستأصلت هذه الشجرة أي ثبت أصلها.
واستأصل الله فلاناً، أي: لم يدع له أصلاً.
ويقال: أن النخل بأرضنا أصيل، أي: هو بها لا يفني ولا يزول. وفلان أصيل الرأي، وقد أصل رأيه أصالةً، وإنه لأصيل الرأي والعقل. [والأصل أسفل كل شيء]. والأصيل: العشي، وهو الأصل... (١).

المفاد النهائي: أن الأصل يدل على الثبات للقاعدة والأساس، أو هو نفس القاعدة والأساس وبداية الشيء.

٢. ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): الهمزة والصاد واللام، ثلاثة أصول متباعد بعضها من بعض، أحدها أساس الشيء، والثاني الحية، والثالث ما كان من النهار بعد العشي. فأما الأول فالأصل أصل الشيء، قال الكسائي في قولهم: «لا أصل له ولا فصل

(١) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، مادة

له»: أن الأصل الحسب، والفصل اللسان...^(١).

المفاد النهائي: أن لهذه المادة ثلاثة معانٍ عامة هي: الأساس، والقاعدة للشيء وأول الشيء من جهة، والافعى من الجهة الثانية.

٣. الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ):
بالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ أَي الْعَشَايَا، يُقَالُ لِلْعَشِيَّةِ أَصِيلٌ وَأَصِيلَةٌ فَجَمَعُ الْأَصِيلِ أَصْلٌ وَأَصَالٌ وَجَمَعَ الْأَصِيلَةَ أَصَائِلُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بِكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾^(٢)
وأصل الشيء قاعدته التي لو ثوّهمت مُرْتَفِعَةً لَأَرْتَفَعَ بَارْتِفَاعِهِ سَائِرُهُ؛ لذلك قال تعالى: (أصلها.. السماء)^(٣)، وقد تأصل كذا^(٤).

المفاد النهائي: الأصل بداية الشيء قبل اشتداده، حيث أن الأصيل العشي، أي: بداية الغروب وبداية الظلام قبل الليل^(٥)، وأصل الشيء قاعدته التي يقوم عليها ويرتفع منها.

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس اللغة، مادة (اصل).

(٢) الأحزاب: ٤٢.

(٣) هو قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، ابراهيم، ٢٤.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، مادة (اصل).

(٥) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، مادة

٤. ابن منظور (ت ٧١١ هـ): الأصل: أسفل كل شيء، وجمعه أصول^(١).
- المفاد النهائي: ذكر أن الأصل: هو أساس الشيء وأسفله، أي قاعدته التي يقوم عليها، كما أنه كرر كلام الخليل الفراهيدي في (العين).
٥. الحسن المصطفوي (معاصر): أن المعنى الحقيقي في هذه المادة: هو ما يبني عليه شيء، سواء كان في الجمادات، أم في النباتات أم في الحيوانات أم في المعقولات، أم في العلوم. يقال: أصل الحائط، أصل الشجر، أصل الإنسان، أصل المعرفة، الأصل في الألفاظ، الأصل في المعاني وغير ذلك^(٢).
- المفاد النهائي: الأصل: هو ما يبني عليه شيء، ويقوم عليه.

النتيجة النهائية

مما تقدم يمكننا أن نستنبط أن المقدار المتيقن من المعنى اللغوي والذي دار حوله مقصود اللغويين هو أن الأصل بمعنى: الأساس، وأسفل، وقاعدة الشيء، والذي يقوم ويعتمد عليه في

⇒

(أصل).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة

(أصل).

(٢) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن

الكريم، مادة (أصل).

بنيانه وارتفاعه أو امتداده، فهو الجذر الذي تنبت منه الشجرة، والأساس الذي يبنى عليه البيت، والبداية التي يعمّ منها الظلام.

الفرق بين الأصل والأساس

إنّ الأصل ما يبنى عليه شيء، وهذا المعنى إنّما يتحقق بعد تحقق الفرع، فهو أمر نسبي وليس بمفهوم مستقل. وهذا بخلاف الأساس فهو مفهوم مستقل لا يحتاج إلى وجود غيره، فيقال: أنّه أسّس أساس الظلم وأسّس أساس البيت، ولا يقال أصله^(١).

المؤيدات القرآنية لهذا المعنى اللغوي:

إنّ لهذا المعنى اللغوي المختار قرائن وشواهد متعددة، نورد بعضها مقتصرين على الآيات القرآنية فقط، فمن ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٢)، أي مرتكز في الأرض ضارب بعروقه فيها^(٣).

٢. قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾^(٤).

(١) نفس المصدر.

(٢) ابراهيم: ٢٤.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ج ١٢، ص ٤٨.

(٤) الحشر: ٥.

٣. قوله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾^(١)، أي أن الزَّقُّومَ شجرة تنبت في قعر جهنم^(٢).

التعريف اللغوي دراسة وتحليل

من خلال مطالعة التعاريف اللغوية والتدقيق بها يتجلى للمتتبع أمور منها:
١. أن الأصل يدل على الثبات، فهو شيء ثابت ويعتمد على ثباته في التكامل أو النمو.

٢. أن لكل شيء أصل، سواء مادي كالقواعد للبيت، أم معنوي كاصول المعاني، أم بداية الليل.

٣. أن الأصل يكون أسفل الشيء وهو إشارة إلى أنه منه البداية، وعليه الاعتماد.

٤. يختلف الأصل عن الثمرة من جهة النوعية والسنخ، فقد يكون أصل البيت حجراً لكن سقفه زجاجي، وأصل الشجرة جذور لا طعم ولا لون جميل لها، بخلاف الزهرة أو الثمرة.

٥. يختلف الأصل عن الثمرة من جهة المكان، فقد يكون الأصل تحت التراب أو في الماء والثمرة في مكان آخر.

(١) الصافات، ٦٢-٦٤.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن مجمع البيان، ج٤،

٦. أن البناء أو الفرع كما أنه لا يستغني عن الأصول فهو لا يخرج عنها، أو لا يتجاوز حدودها الإمكانية.

التفسير لغة:

بعد أن قمنا بتعريف الأصل لغوياً نذهب الآن إلى البحث عن تعريف التفسير بحسب أقوال أهل اللغة، وسنراعي كذلك التسلسل الزمني في سرد الأقوال وتحليلها والخلاصة منها إلى مفاد محدد.

أقوال أهل اللغة

١. ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته، والفسر والتفسر: نظرت الطيب إلى الماء وحكمه فيه^(١).
المفاد النهائي: البيان والإيضاح.

٢- الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ): الفسر: إظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما يُنبىء عنه البول: تفسرته، وسُمي بها قارورة الماء، والتفسير في المبالغة كالفسر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها، قال: ﴿وأحسن تفسيراً﴾^(٢).

(١) أحمد بن فارس زكريا الرازي، معجم مقاييس

اللغة، مادة (فسر).

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب

المفاد النهائي: إظهار المعنى، والتفسير على وزن تفعيل تدل على المبالغة.

٣- ابن منظور (ت ٧١١ هـ): الفَسْرُ: البيان. فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ، بالكسر، وَيَفْسُرُهُ، بالضم، فَسَّرًا وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ، وَالتَّفْسِيرُ مثله. ابن الأعرابي: التَّفْسِيرُ والتأويل والمعنى واحد. وقوله عز وجل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: الفَسْرُ: كشف المُعْطَى^(١).

المفاد النهائي: إبانة الشيء وكشف المغطى.

٤- الزبيدي (١٢٠٥ هـ): الفَسْرُ: الإِبَانَةُ وَكَشَفُ المُعْطَى، كما قاله ابن الأعرابي، أو كَشَفُ المَعْنَى المَعْقُولِ، كما في البصائر، كالتَّفْسِيرِ. والفِعْلُ كضَرَبَ وَنَصَرَ يقال: فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ وَيَفْسُرُهُ وَفَسَّرَهُ: أَبَانَهُ^(٢). المفاد النهائي: هو الكشف اما للشيء المغطى، أو للمعنى.

٥- الحسن المصطفوي (معاصر): الفسر: هو شرح مع توضيح، والفرق بينها وبين موادّ- الشرح، التوضيح، التبيين، الكشف والتفصيل، والتأويل: إنَّ الشرح: بسط مخصوص في موضوع في قبال القبض.

⇒

القرآن، مادة (فسر).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (فسر).

(٢) الزبيدي، تاج العروس، مادة (فسر).

البيان: انكشاف بعد إبهام، بالتفريق
والفصل.
الانكشاف: زوال غطاء ورفعته عن شيء
حتى يظهر.
التأويل: جعل شيء متقدماً حتى يترتب
عليه آخر.
التوضيح: يقابل الخمول والخفاء.
التفصيل: يقابل الوصل^(١).
المفاد النهائي: أنه شرح مع توضيح،
والشرح: بسط مخصوص في موضوع في قبالة
القبض.

النتيجة النهائية

مما تقدم من أقوال أهل اللغة يمكن
الخلوص إلى نتيجة بسيطة، وهي أن هذه
المادة (فسر) تدل على البيان والإيضاح
لكنه الشيء، أو معناه، فالمراد منها
الكشف عن المفهوم اللغوي أو المفهوم
اللغوي المعقول كما عبّر بعضهم، كما أن
مورد استعماله هو ما أبهم خفي، أو ما
اشكل ولا يختص ذلك بالكلمة الواحدة أو
الجملة أو الجمل أو اللفظ.

المؤيدات القرآنية لهذا المعنى اللغوي:

إنّ لهذا المعنى اللغوي المختار قرائن
وشواهد متعددة، نورد بعضها مقتصرين على
الآيات القرآنية فقط، فمن ذلك:

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن
الكريم، مادة (فسر).

١. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١)، وهو المورد الوحيد الذي ذكر في القرآن الكريم لهذه المادة. والمراد من ﴿تفسيرا﴾ هنا: بياناً وكشفاً^(٢)، وأحسن بياناً^(٣)، وهو المراد.

التعريف اللغوي دراسة وتحليل

من خلال مطالعة التعاريف اللغوية والتدقيق بها يتجلى للمتتبع أمور منها:

١. التفسير على وزن تفعيل: وهو للمبالغة^(٤) في البسط والشرح والبيان.

٢. حصر التفسير بين رأيين: من قال: أنه يستفاد عند الكلام المبهم أو الغريب، كما أشار إلى ذلك الراغب الأصفهاني^(٥)، أو لا يستعمل حتى في غيره مما يراد فهمه، حيث لم يقيد بقية العلماء بقيد المغطى مثلاً.

(١) الفرقان: ٣٣.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن مجمع البيان ج٤، ص ١٧٠.

(٣) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج٤، ص ١٢.

(٤) أيوب الكفوي، كتاب الكليات، ص ٢٩٦، والحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، مادة (فسر).

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، مادة (فسر).

٣. كما لاحظت التعاريف اللغوية المدى العقلاني والأصول العامة للمحاورة العقلانية، حيث اشترط بعضهم أن يكون المعنى معقولاً^(١).

٤. يظهر من آراء اللغويين أن لمعنى التفسير عنصران أساسيان:
الأول: توضيح وشرح الجملات وكشف المخفيات] كما يفهم من كلام الزبيدي^(٢)، والحسن المصطفوي^(٣).

الثاني: كشف المعنى المراد [كما قاله الراغب الأصفهاني]^(٤) عن طريق التفصيل في المواضيع^(٥).

٥. التفسير ليس اعتباطياً، بل هو بسط وشرح وبيان للمعنى، لكنّه يقوم على أسس منطقية أو عقلانية^(٦).

(١) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، مادة (فسر)، والزبيدي، تاج العروس، مادة (فسر).

(٢) الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس، مادة (فسر).

(٣) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (فسر).

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، مادة (فسر).

(٥) د. الرضائي اصفهاني، محمد علي، منطق تفسير قرآن ١ (مباني وقواعد تفسير قرآن)، ص ٢٢.

(٦) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب

التفسير اصطلاحاً

لقد ذكر علماء التفسير والمختصين القرآنيين تعاريف كثيرة للتفسير تنوعت بين القديم والحديث وبين المختصر والمبسوط، وعليه يمكن تقسيم هذا العدد الكبير من التعاريف إلى مجموعات، إما بحسب القرون الزمنية، أو بحسب المدارس الكلامية، أو بحسب الاتجاهات التفسيرية، أو بحسب مفاد التعريف، أو اختصاره. ونحن سنختار من بين التعاريف نماذج من تلك المجموعات، ثم ندرسها ونختار منها التعريف الأفضل.

عرض لأهم التعاريف للتفسير

اخترنا أن يكون تقسيم مجاميع التعاريف إلى مجموعتين، وذلك على أساس قصر التعريف وطوله والذي يكشف عن التخصص في طرح التعريف وعدمه، وبعبارة أخرى: فإن التقسيم سيكون على أساس النوعية لا أساس القدم التاريخي. وعليه فستكون المجموعات كما يلي:

التعاريف المختصرة:

١. الطبرسي ت ٥٦٠، التفسير: كشف المراد من اللفظ المشكل^(١).

⇒

القرآن، مادة (فسر)، والزبيدي، تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، مادة (فسر).

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، ج ١،

٢. الطباطبائي (معاصر): التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها^(١).
٣. الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ): التفسير: هو الكشف عمّا يدل عليه الكلام^(٢).
٤. محمد هادي معرفة (معاصر): رفع الإبهام عن اللفظ المشكل^(٣).
٥. البغوي (٥١٦ هـ): هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها^(٤).

التعاريف المطوّلة:

١. الزركشي (٧٩٤هـ): أن التفسير في عرف العلماء: كشف معاني القرآن وبيان المراد أعمّ من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتفسير أكثره في الجمل، والتفسير إمّا أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة، أو في وجيز مبين بشرح كقوله ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾،

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤.

(٢) الفخر الرازي، محمد بن عمر، محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر، ج ٢٤، ص ٤٥٩.

(٣) معرفة، محمد هادي التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٧١.

(٤) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل) ج ١، ص ٤٦.

وإمّا في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله ﴿إنما النسئ زيادة في الكفر﴾ وقوله ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾، وأمّا التأويل فإنّه يستعمل مرة عامّاً ومرة خاصّاً، مثل الكفر يستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود البارئ خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة، وفي تصديق الحق أخرى وإمّا في لفظ مشترك بين معان مختلفة^(١)

٢. الخوئي (معاصر): أن التفسير هو كشف القناع كما قلنا، فلا يكون منه حمل اللفظ على ظاهره؛ لأنّه ليس بمستور حتى يكشف^(٢).

٣. السيد الخميني (ره) (معاصر): التفسير على نحو كئي: هو أن يكون شارحاً لمقاصد الكتاب المفسّر ويكون مهم النظر إلى بيان منظور صاحب الكتاب^(٣).

٤. أبو حيان (ت: ٧٤٥)، فقال: (التفسير: علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها

(١) الزركشي، محمد بن عبدالله، محمد بن عبدالله، البرهان، ج ٢، ص ١٤٩.

(٢) الخوئي، ابوالقاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٦٩.

(٣) الخميني، روح الله، آداب نماز (الآداب المعنوية للصلاة)، ص ١٩٢.

الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالَ التركيب، وتتماتُ ذلك).
فقولنا: (علم): هو جنسٌ يشملُ سائرَ العلوم.

وقولنا: (يُبحثُ فيه عن كيفية النطقِ بالفاظِ القرآن): هذا علمُ القراءات.
وقولنا: (ومدلولاتها) أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا علمُ اللغة الذي يُحتاجُ إليه في هذا العلم.

وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية): هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع.
(ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب): شمل بقوله: (التي تحمل عليها): ما دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالة عليه بالمجاز، فإنَّ التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمَلَ على غير الظاهر، وهو المجازُ.

وقولنا: (وتتمات ذلك): هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضيح ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك^(١).

٥. بابائي (معاصر): عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدّي لله تعالى منها، طبق قواعد

(١) ابوحيان، محمد بن يوسف، محمد بن يوسف، محمد بن يوسف، البحر

اللغة العربية وأصول المحاورة العقلانية^(١).

تحليل التعريف

أولاً: لقد صرّحت بعض التعاريف بمهمة المفسر، والمناطق في التفسير، ألا وهي الكشف والشرح والبيان والإيضاح، وهي أهم أركان العملية التفسيرية.

ثانياً: لقد تطرق بعضها إلى ذكر قسم من علوم القرآن وإدخالها في التعريف وسبب ذلك: كثرة هذه العلوم وتأثيرها على فهم القرآن، كتعريف أبي حيان والزركشي.

ثالثاً: أن الهدف النهائي للتفسير هو الوصول إلى المراد الجدي الصحيح للمتكلم، فللتفسير قرائن وضوابط يجب مراعاتها، وعليه يكون التفسير بالرأي خارجاً عن دائرة الهدف والمنهج من نفس التفسير الاصطلاحي.

رابعاً: بعض التعاريف لا تنفي وجوب وجود معايير وضوابط للتفسير لكي يكون فهماً وكشفاً عرفياً وعقلانياً. مثل تعريف الطبرسي والطباطبائي وبعضها يصرّح بوجوبه ووجوده مثل أبو حيان والبابائي.

خامساً: هناك فرق بين علم التفسير وعملية التفسير، وتعريف الزركشي متعلق بعلم التفسير، وليس بنفس عملية التفسير، في حين أنّهما مفهومان قابلان للفصل.

(١) رجبى، محمود، روش تفسير قرآن، ص ١٢.

فمن جهة يوجد عندنا علم التفسير المحتوي على مجموعة من المعلومات ذات الصلة بإيضاح الآيات القرآنية المبرمجة تحت نظام هندسي خاص (الموضوع، الهدف، المنهج، وغيره).

ومن جهة ثانية يوجد عندنا عملية التفسير وفعل المفسر، والذي هو عبارة عن: عمله وجهده في توضيح الآيات القرآنية، فعندما يذكر تعريف التفسير فإنه يشار به إلى عملية التفسير^(١).

سادساً: نظرت بعض التعاريف إلى الألفاظ - مثل الطبرسي ومعرفة - ونظر بعضها إلى معاني الآيات ومقاصدها ومداليتها كالمدلول الالتزامي، وان كانت غير لفظية، مثل الطباطبائي.

سابعاً: استخدم بعضهم في تدوين التعريف اصطلاحات من علوم القرآن مثل البغوي، وبعضهم اصطلاحات من أصول الفقه مثل البابائي، وبعضهم اصطلاحات لغوية مثل معرفة.

ثامناً: لاحظ البعض التعريف اللغوي للتفسير وحاول مجاراته مثل السيد الخوئي و(معرفة)، وابتعد آخرون عن الأساس اللغوي للتفسير كما فعل البغوي.

تاسعاً: لقد تطرقت بعض التعاريف إلى ذكر الأدوات التي تقوم بها عملية التفسير كما فعل (بابائي) فذكر آداب

(١) رضائي اصفهاني، محمد علي، منطق تفسير

القرآن (مباني وقواعد)، ص ٢٨.

اللغة العربية وأصول المحاورة العقلانية
في تعريفه .

نقد التعريف

ألف: الإشكالات المنهجية

١- عدم تأسيس منهج لوضع التعريف الصحيح للتفسير: كما هو الملاحظ في تعريف الطباطبائي، التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها^(١). والبغوي: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها^(٢).

٢- عدم الافصاح عن تبني منهج لاستخراج التعريف، فلم يعهد من أحدهم التصريح بأنه كتب تعريف بناءً على المنهج الاستقرائي أو النقل، أو حتى أنه قلّد وأخذه من غيره .

٣- لم يفرّق العلماء بين عملية التفسير وبين علم التفسير في تعاريفهم: فالبعض أشار إلى أنه عملية، كالخوئي حيث قال: أن التفسير هو كشف القناع كما قلنا فلا يكون منه حمل اللفظ على ظاهره؛ لأنه ليس بمستور حتى يكشف^(٣). والبعض أشار إلى أنه علم كأبي حيان، فقال:

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص ٤.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل) ج١، ص ٤٦.

(٣) الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٦٩.

التفسير: علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحملُ عليها حال التركيب^(١).

باء - إشكالات جزئية أو فنية

أولاً: ادخال علم القراءات في علم التفسير: كما فعل أبو حيان (ت: ٧٤٥)، حيث قال: (التفسير: علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن)^(٢)، وهذا يعني أن هكذا تعريف ليس بمانع عن الأغيار؛ لأنه يدخل علم القراءات في علم التفسير كما صرح هو، فيقول: وقولنا: (يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن): هذا علمُ القراءات^(٣).

ثانياً: إدخال أدوات التفسير في تعريف علم التفسير: كما كتب الأستاذ بابائي: عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدي لله تعالى منها، طبق قواعد اللغة العربية وأصول المحاوراة العقلانية^(٤)، حيث جعل قواعد اللغة العربية وأصول المحاوراة العقلانية

(١) الأندلسي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر

المحيط، ج: ١ ص: ٢٦.

(٢) الأندلسي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر

المحيط، ج: ١ ص: ٢٦.

(٣) الأندلسي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر

المحيط، ج: ١ ص: ٢٦.

(٤) رجبى، محمود، روش تفسير قرآن، ص: ١٢.

من التعريف وهما من الأدوات التي تقوم عليها عملية التفسير، ولا يدخلها في حقيقة عملية التفسير، بل من شروط صحة نتائجها.

ثالثاً: ذكر الزركشي تعريفاً طويلاً جداً لم يعتمد عليه علي التحقيق بل على مشهور العملاء قال: أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن...^(١). وادخل بعض الامثلة في التعريف فقال: (إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز مبين بشرح كقوله ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾^(٢). وشمل اسباب النزول: (والتفسير أكثره في الجمل والتفسير وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾^(٣).

التعريف المختار:

عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدي لله تعالى

(١) الزركشي، محمد بن عبدالله، محمد بن عبدالله، البرهان، ج ٢، ص ١٤٩.

(٢) الزركشي، محمد بن عبدالله، محمد بن عبدالله، البرهان، ج ٢، ص ١٤٩.

(٣) الزركشي، محمد بن عبدالله، محمد بن عبدالله، البرهان، ج ٢، ص ١٤٩.

منها .

التربية لغة واصطلاحاً

التربية لغة

استعراض أقوال أهل اللغة على أساس التسلسل الزمني:
 وكلمة التربية إمّا أن تكون مشتقة من الجذر (ربب) أو من جذر آخر وهو: (الراء والباء وحرف معتل في الأخير). ونحن سنبحث المنشأين أن شاء الله تعالى.
 أولاً: أن تكون مشتقة من الجذر (ربب)
 ١. الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):
 الرّبِيبةُ: الحاضنة. ورَبَّبْتَه ورَبَّبْتَه: حضنته^(١).

وربِيبَةُ الرَّجُلِ: ولد امرأته من غيره، والرّبِيبُ: يُقال لزوج الأمّ أَلها ولد من غيره، ويقال لامرأة الرَّجُل إذا كان له ولدٌ من غيرها: ربِيبَة وهو الرَّابِبُ^(٢).
 المفاد النهائي: المرابي هو من يلي أمر الربيب ويرعى شأنه سواء بالغذاء كما هو حال الربيبة الحاضنة، أم بالأمن وحمل المسؤولية كزوج الأم بالنسبة لبنيتها.

٢- ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ):

(١) لفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، مادة (ربب).

(٢) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، مادة (ربب).

رَبَّ: الرءاء والبءاء يدلُّ على أُصول، فالأول إصلاح الشيء والقيامُ عليه. فالرَّبُّ: المالكُ، والخالقُ، والصَّاحبُ؛ والرَّبُّ: المُصْلِحُ للشيء، يقال: رَبَّ فلانٌ ضيَعته، إذا قام على إصلاحها^(١).

وَالرَّبُّ: المُصْلِحُ للشيء، والله جل ثناؤه الرَّبُّ، لأنَّه مصلِحُ أحوالِ خَلْقِه، وَالرَّبِّيُّ: العارفُ بالرَّبِّ. وَرَبَّبْتُ الصَّبِيَّ أَرَبُّه، وَرَبَّبْتُهُ أَرَبُّه؛ وَالرَّيْبَةُ الحاضنة^(٢). والأصل الآخرُ لُزومُ الشيءِ والإقامةُ عليه، وهو مناسبٌ للأصلِ الأوَّل. يقال أَرَبَّتِ السَّحَابَةُ بهذه البلدة، إذا دامت^(٣).

المفاد النهائي: المرَبِّي هو من يقوم على إصلاح الشيء ورفع نقصه والعمل على كماله ومن لوازم ذلك ملازمة الشيء ومراقبته وتجديد العهد به.

ابن منظور (ت ٧١١ هـ):

الرَّبُّ: هو الله عزَّ وجلَّ، هو رَبُّ كلِّ شيءٍ أي مالِكُه... والرَّبُّ يُطْلَقُ في اللُّغةِ على المالكِ، والسَّيِّدِ والمُدَبِّرِ، والمُرَبِّيِّ، والقَيِّمِ، والمُنْعِمِ^(٤).

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة (ربب).

(٢) الرازي، أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة (ربب).

(٣) الرازي، أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة (ربب).

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (ر)

ونقل حديث عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لأن يرُبَّنِي بَنُو عَمِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي غَيْرُهُمْ، أي يكونون عليّ أمراء وسادة مُتَقَدِّمِينَ^(١).

وفي حديث ابن ذي يزن: أَسَدُ ثَرْيَبٍ، فِي الْغَيْضَاتِ، أَشْبَالًا أَي ثَرْيَبِي، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ وَمَنْ تَرُبُّ، بِالتَّكْرِيرِ الَّذِي فِيهِ. وَتَرَبَّبَهُ، وَارْتَبَّبَهُ، وَرَبَّاهُ تَرْبِيَّةً، عَلَى تَحْوِيلِ التَّضْعِيفِ، وَتَرَبَّاهُ، عَلَى تَحْوِيلِ التَّضْعِيفِ أَيْضًا أَحْسَنَ الْقِيَامِ عَلَيْهِ، وَوَلِيَّهُ حَتَّى يُفَارِقَ الطُّفُولِيَّةَ^(٢).

المفاد النهائي: الربُّ هو الله لأنه تعالى المالك، والسَّيِّدُ والمُدَبِّرُ، والمُرَبِّي، والقَيِّمُ، والمُنْعِمُ على كل شيء بكل شيء، ومن يرُبَّنِي هو من يكون سيِّداً وقيِّماً عليّ. ثانياً: أن تكون مشتقة من جذر آخر وهو: (الراء والباء وحرف معتل في الأخير).

١. الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):

⇒

. ريب).

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (

. ريب).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (

. ريب).

ربو: ربا الجُرْحُ والأَرْضُ والمالُ وكلُّ شيءٍ
يَرْبُو ربوًّا، إذا زاد^(١).
وتقول: رَبَّيْتَهُ وَتَرْبَيْتُهُ، [أي: غذوته].
وَرَبَا المالُ يَرْبُو في الرِّبَا، أي: يزداد،
وصاحبُهُ: مُرَبٍ^(٢).
المفاد النهائي: التربية هي التزويد.
٢. ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ):
رَبَّى الرَاءِ والْبَاءِ والحرف المعتلّ،
وكذلك المهموز منه يدلُّ علي أصل واحد،
وهو الزيادة والنماء والعُلُوّ. تقول من
ذلك: ربا الشيء يربُّو، إذا زاد، ورَبَا
الرَّابِيَةَ يَرْبُوها، إذا علاها؛ ورَبَا: أصابه
الرَّبُّو، والرَّبُّو: علُو النفس^(٣).
المفاد النهائي: الشيء يربو: أي
يزداد ويعلو.
الفيروز آبادي (ت ٨٩٧ هـ): رِبَا ورِبُوًّا،
كعُلُوٍّ، ورِبَاءً: زاد، ونَمَا، وارْتَبَيْتُهُ،
والرَّابِيَّةُ: علاها، والْفَرَسُ رِبُوًّا: انْتَفَخَ من
عَدُوٍّ أو فَزَعٍ، وأَخَذَهُ الرَّبُّو، والسَّوِيْقُ: صَبَّ
عليه الماءُ فانتَفَخَ. والرِّبَا، بالكسر:
العَيْنَةُ. وهما رِبَوَانٍ ورِبِيَانٍ. والمُرَبِّي: مَنْ
يَأْتِيهِ^(٤).

(١) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، مادة
(ربو).
(٢) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، مادة
(ربو).
(٣) الرازي، أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس
اللغة، مادة (ربي).
(٤) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس
المحيط، مادة (ربا).

المفاد النهائي: ربا الشيء أي زاد أو كبر.

النتيجة النهائية

بعد ملاحظة أقوال أهل اللغة نرى أن ما اجمعوا عليه هو: أن التربية تكون بمعنى التزويد وإصلاح الشيء نحو تكامله من حيث رفع نقصه وتولي أمره. وأن التربية اشتقت من (ربو) الفرق بين (ربو) وبين (الربب) و(الربا)، فقولنا ربىء الصغير مهموزاً: أي علا وطال، ورب الصغير بالتضعيف: أي ساقه إلى جهة الكمال، وربا الصغير معتلاً: أي انتفخ وزاد (١).

فالتربية من رباعي على وزن فعلل حالها حال كلمات التقوية والتهوية والتوعية والتزكية (قد رَبَوْتُ فِي حَجْرِهِ رَبُوءاً وَرَبُوءاً الْأَخِيرَةَ عَنِ اللَّحْيَانِي وَرَبِيئْتُ رَبَاءً وَرَبِيئاً كِلَاهِمَا نَشَأْتُ فِيهِمْ، أَنشَدَ اللَّحْيَانِي لِمَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ:

ثَلَاثَةَ أَمْلَاكٍ رَبُّوْا فِي حَجْرِنَا فَهَلْ قَائِلٌ حَقًّا كَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ؟

هكذا رواه رَبُّوْا على مثال غَزَّوْا، وأنشد في الكسر لِسَمَّوْأَلِ بْنِ عَادِيَاءَ:

نُطْفَةٌ مَا خُلِقَتْ يَوْمَ بَرِيْتٍ أَمَرْتُ أَمْرَهَا وَفِيهَا رَبِيْتٌ

كَنَّهَا اللَّهُ تَحْتَ سِتْرِ خَفِيٍّ فَتَجَافَيْتُ تَحْتَهَا فَخَفِيْتُ

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس

اللغة، كلمة (ربي أ).

ولكُلِّ من رزقه ما قضى اللهُ وإن حكَّ أنفه المستميتُ
 ابن الأعرابي: رَبَّيْتُ فِي حَجْرِهِ وَرَبُّوتُ
 وَرَبَّيْتُ أَرْبَى رَبًّا وَرُبُوتًا، وَأَنْشَدَ:
 فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي بِمَكَّةَ مَنزَلِي وَبِهَارِيبَتُ
 الْأَصْمَعِيِّ: رَبُّوتُ فِي بَنِي فُلَانٍ أَرْبُو نَشَأْتُ
 فِيهِمْ وَرَبَّيْتُ فُلَانًا أَرْبِيهِ تَرْبِيَةً وَتَرْبَيْتُهُ
 وَرَبَّبْتُهُ وَرَبَّبْتَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.
 الجوهري: رَبَّيْتَهُ تَرْبِيَةً وَتَرْبَيْتَهُ أَي
 عَدَوْتُهُ (١).

التربية اصطلاحاً:

هناك عدّة مناهج لاكتشاف التعريف المختار للتربية، فقد يسلك الباحث نهج علماء التربية أو النفس، فيعتمد على تعاريفهم وهم قد اعتمدوا على أصول مادية أو فلسفية غير صحيحة أو متأثرة بنظرة اجتماعية أو اقتصادية معينة كالماركسية مثلاً، وقد يسلك الباحث منهج الاعتماد على أقدم التفاسير فيختاره، أو على الجانب الميداني لمفهوم التربية والمدى التطبيقي له، أو قد يلجأ الباحث إلى سرد التعاريف السابقة يتعرض لها بالنقد أو التحليل ليختار أفضلها. ونحن سنعمل بالمنهج الأخير، أي سنعمل على عرض بعض التعاريف، ثم نختر أفضلها وفقاً لمعايير التفضيل عندنا.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة ()

معايير التفضيل في اختيار التعريف:

١. أن يكون التعريف متماشيا ومنسجما مع الأصول اللغوية غير متعارض معها.
٢. أن يكون التعريف متماشياً ومنسجماً مع العملية التربوية في الخارج غير متعارض معها.
٣. ألا يتعارض مع الثوابت الإسلامية، من نظريات للمعرفة أو الوجود.
٤. مراعاته لشروط التعريف المنطقية.

بعض التعاريف للتربية:

رجحت أولاً أن أبدأ بذكر تعاريف من اصطلاح التربية، ولأنه ليس من الأبحاث الرئيسية فقد اقتصر على ذكر ثلاث تعاريف هنا، لكي نعطي تصوراً إجمالياً للموضوع، وسنلحقه بثلاثة تعاريف للتربية الإسلامية بالخصوص، وهذه التعاريف كما يلي:

١. **التعليم والتربية:** فعل وانفعال بين قطبين (المربّي والمتربّي) مسبق بأصول وهو ذو هدف يلزمه تخطيط معين^(١).
٢. **التربية:** عبارة عن تنمية الاستعدادات والإمكانات الموجودة في المتربّي^(٢).

(١) هوشيار، محمد باقر، أصول آموزش وبرورش، ص ١٣.
(تعليم وتربيت فعل وانفعالي است ميان دو قطب سيال (مربي ومتربي) كه مسبق به اصلي ومتوجه هدفی ومستلزم طرح ونقشه أي باشد).

(٢) المطهري، مرتضى، اسلام وتعليم وتربيت، ص ١٤.

٣. التربية: هي عبارة عن اختيار السلوك والكلام المناسب وإيجاد الظروف والعوامل اللازمة ومساعدة المتربّي حتى يستطيع أن ينمي - وبشكل منسجم - استعدادته الكامنة في جميع أبعاده الوجودية فيطوّرها، فيتحرك تدريجياً نحو الكمال المطلوب^(١).

التعريف المختار:

عملية علمية ذات طرفين تهدف تنمية الاستعدادات والإمكانات الموجودة في المتربّي وإيصاله إلى الكمال المنشود.

تعريف التربية الإسلامية:

وبعد عرض المجموعة الأولى من التعاريف والتي هي تعاريف التربية فقط، رحجت الانتقال إلى ذكر تعاريف عن التربية الإسلامية، وذلك لتقاربها بالمبادئ والتصورات من موضوعنا الذي نبحث عنه وهو أصول التفسير التربوي، وهو من متشعبات العلوم الإسلامية، فأردت ذكر التعاريف للتربية الإسلامية لأنها أقرب إلى التفسير التربوي من التربية بصورة مطلقة.

وهذه التعاريف هي كما يلي:

⇒

(تربيت عبارت است از پرورش دادن استعدادهاي كه در فرد مورد تربيت موجود است).

(١) الاميني، ابراهيم، تعليم وتربيت در اسلام، ص١٢.

١. التربية الإسلامية: تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين وفق المنهج الإسلامي^(١).
٢. التربية الإسلامية: تنشئة الطفل وتكوين إنساناً متكاملًا من جميع النواحي الجسمية والعقلية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادئ التي جاء بها الإسلام، وبأساليب وطرق نتبناها من منظر إسلامي^(٢).
٣. التربية الإسلامية: نظام تربوي مستقل بأسسها وأهدافها وأساليبها المنبثقة من المصادر والمبادئ والتعاليم والتوجيهات الإسلامية العامة والأساسية^(٣).

التعريف المختار:

عملية علمية وفقا للتعاليم الإسلامية ذات طرفين تهدف تنمية الاستعدادات والإمكانات الموجودة في المتربّي وإيصاله إلى الكمال المنشود وهو سعادة الدنيا والآخرة.

المستفاد من التعاريف:

إذا تأملنا في التعاريف المذكورة يمكننا أن نكتشف بعض الأشياء المهمة التي توضح لنا المفهوم العام للتربية،

(١) د. الحازمي خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ص ١٩.

(٢) ود، ابراهيم عبدالله ناصر. عاطف عمر بن طريف، مدخل إلى التربية، ص ١٧٥-١٧٦.

(٣) د. يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الاساسية، ص ٢٦.

وذلك من خلال تحليل التعاريف وحذف المكررات منها وإثبات العناصر المهمة التي تبين لنا مفهوم التربية بشكل أفضل. وهذه العناصر هي عبارة عن ما يلي:

١. (أنّ التربية هي الأفعال والنشاطات)^(١).
٢. لابدّ من وجود طرفين في عملية التربية هما المرَبّي والمرَبّي^(٢).
٣. التربية عملية اختيارية واعية^(٣).
٤. ضرورة عنصر التدرّج والمرحلية في التربية.
٥. للتربية أرضية هي عبارة عن الاستعدادات المكنونة في الإنسان وفطرته.
٦. لابدّ من هدف معين محدد للتربية وفي خصوص التربية الإسلامية هو ما تحدده النصوص الدينية.
٧. للتربية نظام تام متكامل مثل الأصول والأهداف، الأساليب، أو الطرق والعوامل وغيرها.

(١) د. بناري علي همت ، نركش بر تعامل فقه وتربيت،

ص٦٨.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

تعريف التفسير التربوي

تمهيد:

إنّ التفسير التربوي إنّما هو اتجاه من الاتجاهات التفسيرية المعاصرة والحديثة، فهو تفسير يحاول أن يركز في تأملاته على النقاط التربوية في التفسير، وبالتالي يقوم باستخراج ما توحى إليه الآيات ممّا يتعلق بالنظام التربوي أو الإرشادات التربوية.

كما أن التفسير التربوي يمكن أن يوضع في قسم المناهج العلمية للتفسير.

التفسير العلمي للقرآن:

إنّ التفسير التربوي مرتبط بعلم التربية؛ لذا يمكن أن يوضع التفسير التربوي في قسم المناهج العلمية للتفسير؛ وذلك لأننا سنستخدم العلم (علم التربية) في فهم القرآن وتفسيره. وبالتالي فعلم التربية أداة ومصدر من مصادر فهم القرآن وكشف معانيه وأسراره. وعليه لابدّ من إيجاز تعريف للتفسير العلمي لزيادة المطلب وضوحاً وتدرّجاً.

والمراد من التفسير العلمي هو توضيح الآيات بواسطة المعطيات العلمية التجريبية، وبالتالي كشف الإعجاز العلمي، وقد تنحصر طرق وأعمال التفسير العلمي بما يلي:

- ١- استخدام العلوم التجريبية المختلفة في فهم القرآن.
- ٢- تحميل أو تطبيق النظريات العلمية على القرآن.

٣- استخراج العلوم من القرآن^(١). وعرفه آخرون: بأنه اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن^(٢).

تعريف التفسير التربوي:

يمكننا أن نضع تعريفاً للتفسير التربوي تقوم عليه دراستنا هذه، إذ نعتمد في كتابة التعريف على كل المبادئ التصورية التي قدمناها فيما مضى. ولا بد أن نشير أن تعريفه إنما هو أمر ابتكاري لعدم تناول الموضوع فيما سبق إلا ما قد ندر، فقد عرفه بعض الباحثين: بأنه تفسير الآيات على أساس النظام التربوي القرآني^(٣).

ولقد عرفه أنور الباز في طيات كلماته، حيث يقول مسترسلاً في مقام شرحه للمقصود من التفسير التربوي: ... بأن نتناول تفسير الآيات بطريقة ومنهج يعين على المعاشة والتفاعل معها، تيسيراً على من أراد أن يأخذ نفسه وغيره بالقرآن، بطريقة ميسرة محددة المعالم

(١) د. الرضائي، محمد علي، در آمد بر تفسیر علمی قرآن: ص ٢٧٤ - ٢٧٥ (مع التلخيص).

(٢) الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٤٩.

(٣) افشاكور، احمد ذبيح، مجلة القرآن والعلم، ع ٣، مقالة: آسيب شناسي تفسير تربيتي، ص ٥٣.

والأهداف، وصولاً إلى الاستفادات التربوية، حيث يصل القارئ إلى بغيته بأقل مجهود، ودونما عناء، دون الدخول في قضايا لغوية أو مسائل فقهية، أو مماحكات كلامية، أو غير ذلك مما يبعد الإنسان عن روح القرآن واستباط المعاني التربوية التي هي مقصود الوحي وإنزال القرآن^(١). حيث يمكننا أن نفهم من كلماته بعد أن نقتنصها ما يلي:

١. أن هذا التفسير ذو منهج أو طريقة معينة، هدفه أن يجعل الإنسان متعاشياً مع القرآن ومطبقاً لسلوكه وحياته على القرآن أو مربياً للآخرين وفقاً للقرآن؛ كل ذلك من قوله: بأن نتناول تفسير الآيات بطريقة ومنهج يعين على المعاشة والتفاعل معها، تيسيراً على من أراد أن يأخذ نفسه وغيره بالقرآن^(٢).

٢. كما يهدف التفسير التربوي إلى كشف المعاني التربوية الواردة في القرآن أكثر ما يكون من غيرها؛ كل ذلك من قوله: وصولاً إلى الاستفادات التربوية^(٣).

(١) الباز، انور، التفسير التربوي للقرآن الكريم،

ج١، المقدمة، صفحة (ح) و(خ).

(٢) الباز، انور، التفسير التربوي للقرآن الكريم،

ج١، المقدمة، صفحة (ح).

(٣) الباز، انور، التفسير التربوي للقرآن الكريم،

ج١، المقدمة، صفحة (ح).

٣. أن هذا التفسير لا يهتم بكثير من الجهات التي اهتمت الاتجاهات التفسيرية الأخرى ؛ كل ذلك من قوله: حيث يصل القارئ إلى بغيته بأقل مجهود، ودونما عناء، دون الدخول في قضايا لغوية، أو مسائل فقهية، أو مماحكات كلامية^(١).

٤. أن هذا التفسير يهدف إلى الوصول إلى روح القرآن والتي هي المعاني والنكات التربوية والتي هي الهدف الأساس من نزول الوحي ؛ كل ذلك من قوله: حيث يصل القارئ إلى بغيته بأقل مجهود، ودونما عناء، دون الدخول في قضايا لغوية أو مسائل فقهية، أو مماحكات كلامية، أو غير ذلك مما يبعد الإنسان عن روح القرآن واستباط المعاني التربوية التي هي مقصود الوحي وإنزال القرآن^(٢).

التعريف المختار

بعد استعراض وتحليل التعريف السابق واستناداً للمباحث التمهيديّة السابقة يمكننا أن نعرّف التفسير التربوي بما يلي:

هو التفسير القرآني المعتمد في تناول الآيات على العلوم والأسس التربوية، وبشكل يصبّ اهتمامه على الجانب التربوي

(١) الباز، انور، التفسير التربوي للقرآن الكريم، ج١، المقدمة، صفحة (ح).

(٢) الباز، انور، التفسير التربوي للقرآن الكريم، ج١، المقدمة، صفحة (ح) و(خ).

للقرآن، سواءً للفرد أم المجتمع، قاصداً إبراز هذا الجانب القرآني من خلال تسخير معطيات العلوم التربوية لإظهار عناصر النظام التربوي للقرآن ولسد الحاجات التربوية المعاصرة للإنسانية^(١).
فالتفسير التربوي يصب في هذا الاتجاه، فيمكن النظر إلى القرآن من زاوية تربوية تخصصية؛ وذلك بالإفادة من معطيات العلوم التربوية في فهم القرآن، أو تطبيق النظريات التربوية على القرآن، أو التنظير لهذه العلوم على أساس القرآن^(٢).

التفسير التربوي بين الاتجاه والمنهج

لن تكون الصورة واضحة بشكل كامل بمجرد كتابة التعريف المعتمد في هذه الرسالة للتفسير التربوي، وعليه لابد من تسليط الضوء على موضوع – أي الموضوع الذي نبحث عن الأصول التي يقوم عليها – البحث أكثر ولو من خلال البحث عن مشخصات هذا التفسير، أي التفسير التربوي أو مميزاته، أو الإتيان بمثال منه.
لذا سنبدأ البحث في طرح سؤال، الجواب عليه يزيد الموضوع وضوحاً.

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص٤٦.

(٢) الازرقى، احمد، مقالة: قواعد التفسير التربوي،

مجلة القرآن والعلم، ع ٣، ص١٢٦.

هل التفسير التربوي اتجاه أو منهج؟

لقد تعددت الكتب المتخصصة في علوم القرآن وتنوعت ما بين القديم والمعاصر وهي تحمل بين طياتها الكثير من الاصطلاحات العلمية الخاصة بدراسة علوم القرآن، ولعل من أهم تلك الاصطلاحات المتداولة في الكتب المعاصرة - لعلوم القرآن - هي عبارة عن اصطلاحي: المناهج والاتجاهات التفسيرية.

المقصود من المنهج التفسيري

عُرّف المنهج في تفسير القرآن بعدة تعاريف نحاول أن نذكر بعضاً منها:

١. هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن والتي يمكن من خلالها تبين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخصة. وبعبارة أخرى: أن كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم هو ما يطلق عليه (منهج التفسير)^(١).

تحليل التعريف:

يمكن الإشارة إلى عدة نقاط موجودة في هذا التعريف، منها:

أ. المنهج: هو المصدر الذي به نفسر، أو الوسيلة والأداة التي بواسطتها يتحقق

(١) د. الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج

والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص ١٨.

التفسير (هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن) (١).
 ب. الصورة أو الحالة التي هي عبارة عن الكيفية أو الآلية لعملية التفسير، فإذا قيل كيف استخرجت المعنى؟ قلنا قرآنياً، أي بالمنهج القرآني، أو استخرجناه حديثياً، أي بالمنهج الروائي، وبعبارة أخرى: أن كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم هو ما يطلق عليه (منهج التفسير) (٢).

٢. المنهج التفسيري (هو تبين طريقة كل مفسر في تفسير القرآن الكريم، والأداة والوسيلة التي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات؟ فهل يأخذ العقل أداة للتفسير أو النقل؟ وعلى الثاني فهل يعتمد في تفسير القرآن على نفس القرآن، أو على السنة، أو على كليهما، أو غيرهما؟

وبالجملة ما يتخذه مفتاحاً لرفع إبهام الآيات، وهذا هو ما نسميه المنهج في تفسير القرآن في كتابنا هذا (٣).
 تحليل التعريف:

(١) د. الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص ١٨.

(٢) د. الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص ١٨.

(٣) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣.

يمكن الإشارة إلى عدّة نقاط موجودة في هذا التعريف، منها:

إنّ المنهج: هو طريقة خاصة من طرق التفسير وكيفية محددة لعملية شرح معاني القرآن (المنهج التفسيري: هو تبين طريقة كلّ مفسّر في تفسير القرآن الكريم) ^(١).

المنهج: هو المصدر الذي به نفسّر، أو الوسيلة والأداة التي بواسطتها يتحقق التفسير - هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن - والأداة والوسيلة التي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات، فهل يأخذ العقل أداةً للتفسير أو النقل؟ ^(٢).

أ. المنهج: هو نوعية المصباح الذي يضيء ويكشف المعاني القرآنية المرادة من مفردات وآيات القرآن، أو نوعية الآلة المستخدمة في التنقيب عن المعاني الكامنة وراء النص القرآني فهل يأخذ العقل أداةً للتفسير أو النقل؟ وعلى الثاني فهل يعتمد في تفسير القرآن على نفس القرآن، أو على السنّة، أو على كليهما، أو غيرهما؟

(١) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣.

(٢) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣.

وبالجملة ما يتخذه مفتاحاً لرفع إبهام الآيات، وهذا هو ما نسميه المنهج في تفسير القرآن في كتابنا هذا) (١) .

٣. المراد من المنهج التفسيري: هو المسلك الذي يتبعه المفسّر في بيان المعاني واستنباطها من الألفاظ، وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيها من آثار، وإبراز ما تحمله من دلالات وأحكام ومعطيات دينية وأدبية وغيرها، تبعاً لاتجاه المفسّر الفكري والمذهبي، ووفق ثقافته وشخصيته (٢) .

تحليل التعريف:

يمكن الإشارة إلى عدّة نقاط موجودة في هذا التعريف، منها:

أ. أنّ المنهج: هو الطريقة التفسيرية الخاصة والمتبعة عند المفسّر في بيان مفاد الآيات والمعاني المقصودة من النص القرآني - هو المسلك الذي يتبعه المفسّر في بيان المعاني واستنباطها من الألفاظ - (٣) ، وبالتالي قد تكون الطريقة قرآنية وقد تكون روائية أو عقلية .

(١) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣ .

(٢) ايازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٣٢ « نقلًا عن ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير لمحمد بكر إسماعيل، ص ٢٩ .

(٣) ايازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٣٢ « نقلًا عن ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير

ب. تتنوع هذه المناهج تبعاً لتنوع هذه الطرق، أي تبعاً لتنوع حقيقة الطريقة، - تبعاً لاتجاه المفسر الفكري والمذهبي، ووفق ثقافته وشخصيتها^(١)، فكلّ منهج يختلف عن المنهج الثاني لاختلاف ما يختاره المفسر من مذهب أو علم به يفسر القرآن. ٤. «المنهج التفسيري: هو الطريقة التي يسلكها مفسر كتاب الله تعالى وفق خطوات منظمة يسير عليها لأجل الوصول إلى التفسير طبقاً لمجموعة من الأفكار يعنى بتطبيقها وإبرازها من خلال تفسيره»^(٢)، أو هو طريقة الاستدلال، أو الكيفية المعتمدة في الاستدلال على إثبات المطلوب^(٣).

تحليل التعريف:

يمكن الإشارة إلى عدّة نقاط موجودة في هذا التعريف، منها:
أ. المنهج: هو الطريقة والكيفية المختارة التي يمشي عليها المفسر خلال عملية التفسير - هو الطريقة التي

⇒

لمحمد بكر إسماعيل، ص ٢٩.

(١) ايازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٣٢ «نقلا عن ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير

لمحمد بكر إسماعيل، ص ٢٩.

(٢) ابو طبرة، هدى جاسم، المنهج الاثري في تفسير القرآن الكريم، ص ٢٣.

(٣) الحيدري، كمال، منطق فهم القرآن، ج ١، ص ٤١.

يسلكها مفسر كتاب الله تعالى - (١)، على أن تكون هذه الطريقة مبنية على معارف ومعتقدات أو معلومات خاصة تدرس خلال عملية التفسير (طبقاً لمجموعة من الافكار يعنى بتطبيقها وإبرازها من خلال تفسيره) (٢)، فمثلاً يعتمد على كون القرآن هو المفسر للقرآن أو أن الروايات هي المفسرة للقرآن).

ب. المنهج عبارة عن خطوات المفسر التي يقطعها في أثناء عملية التفسير، مثلاً يذكر القراءة أولاً، ثم يذكر معاني الكلمات، ثم يذكر الإعراب، ثم أسباب النزول وهكذا حتى تكتمل العملية التفسيرية بوضوح معاني الآيات ومقاصدها، (خطوات منظمة يسير عليها لاجل الوصول إلى التفسير) (٣).

النتيجة:

يمكن الخلوص إلى ما يلي:

١. أن المنهج يطلق على المصدر، أو الآلة، أو الأداة، أو المفتاح الذي به

(١) ابو طبرة، هدى جاسم، المنهج الاثرى فى تفسير القرآن الكريم، ص ٢٣.

(٢) ابو طبرة، هدى جاسم، المنهج الاثرى فى تفسير القرآن الكريم، ص ٢٣.

(٣) ابو طبرة، هدى جاسم، المنهج الاثرى فى تفسير القرآن الكريم، ص ٢٣.

يفسّر القرآن كمنهج تفسير القرآن بالعلم^(١).

٢. أنّ المنهج يطلق على الطريقة التي يسلكها المفسّر في تفسير القرآن، فهل هي طريقة قرآنية أو روائية أو عرفانية.

٣. أنّ المنهج يطلق على الخطوات التي يقطعها المفسّر أثناء عملية التفسير.

كما أنّ المنهج، يفى بالدراسة الموضوعية والمسالك التفسيرية في بيان المعاني، واستنباطها من الألفاظ، والطريقة، تعنى بالناحية الشكلية التي انتخبها المفسّر في ترتيب المباحث وتعيينها^(٢).

المقصود من الاتجاه التفسيري

كما نحاول هنا أن نذكر بعض التعاريف لهذا المصطلح الوارد في علوم القرآن الكريم، فالإتجاه التفسيري يختلف عن المنهج التفسيري؛ لأنّه يمثل (أذواق المفسرين وكفاءاتهم ومؤهلاتهم وتأثرهم في مجالات خاصة وغيرها من العوامل، فقد نلحظ بعض المفسرين وهو يصب جلّ اهتمامه على الجانب اللغوي، فيما نرى اهتمام البعض الآخر في الجانب الفلسفي خاصة)^(٣)،

(١) الصافي، حسين الموسوي، دروس موجزة في علوم القرآن، ص ٩٤.

(٢) ايازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٣٢.

(٣) الصافي، حسين الموسوي، دروس موجزة في علوم

فهو ذو معنى آخر غير المنهج ويمكن أن نحصل على تعريف له بعد استعراض مجموعة من التعاريف الخاصة به. وهي كما يلي:

١. الاتجاه: هو موقف المفسر ونظيره ومذهبه ووجهته التي يوليها من العقائد الدارجة من السنّة والشيعه، والمعتزلة والأشاعرة، سواء كانت وجهته عند تفسير كتاب الله تعالى من تقليد أو تجديد، وكذلك من اعتماد على المنقول أو المعقول، أو الجمع بينهما في إطار معين^(١).

تحليل التعريف:

يمكن الإشارة إلى عدّة نقاط موجودة في هذا التعريف، منها:

أ. الاتجاه هو ما يحمله المفسر من وجهة فكرية أو تخصصية تنعكس في عملية التفسير على المطالب التفسيرية المطروحة والمبحوثة، أو المفسرة إن صحّ التعبير، فكل ما يعتقده المفسر أو يعتنقه من مسائل عقائدية أو علمية أو تخصصية تتحكم وتؤثر في نوعية التفسير وطابعه العام - (هو موقف المفسر ونظيره ومذهبه ووجهته التي يوليها من العقائد الدارجة من السنّة والشيعه، والمعتزلة والأشاعرة)

⇒

القرآن، ص ٩٥.

(١) زررور، عدنان، الحاكم الجشمي ومنهجه في

التفسير، ص ٣٥٣.

(١)، فالمعتزلي يرى أنّ تفسيره مصبوغ بالعقائد المعتزلية وأفكارهم وتأويلاتهم، وكذا اللغوي يرى أنّ تفسيره مشبّع بمسائل النحو والصرف والنكات البلاغية وإشارات الكناية والمجازات ومعانيها. فالأتجاه يتخلف موضوعياً عن المنهج في التعاطي المعرفي مع النصّ القرآني، ففي الوقت الذي يؤدي فيه المنهج دوراً إيجابياً في السير مع النصّ القرآني لاستجلاء معانيه، يقوم الاتجاه بدور مغاير ومختلف تماماً، حيث يقوم صاحب الاتجاه أحياناً بالسير مع مرتكزاته واعتقاداته القبلية في تطويع النصّ القرآني^(٢).

ب. كما يمكن أن يطلق الاتجاه في التفسير على طريقته الفكرية أو منهجه الفكري - والذي يؤثر بالطبع في عملية التفسير - فالحدائوي تراه ينحو بالقرآن وتفسيره إلى الاصطلاحات الحديثة والمسائل الاجتماعية الجديدة، والتحديث المعلوماتي للموروث، ونقد النظريات الدينية وغيرها من المسائل التي تمثل محتواه العقلي الذي سوف يسيطر على التفسير ومحتوياته ومباحثه ونتائجه، (سواء كانت وجهته عند تفسير كتاب الله تعالى من تقليد أم تجديد، وكذلك من

(١) زرزور، عدنان، الحاكم الجشمي ومنهجه في

التفسير، ص ٣٥٣.

(٢) الحيدري، كمال، منطق فهم القرآن، ج ١، ص ٤٣.

اعتماد على المنقول أم المعقول، أم الجمع بينهما في إطار معين^(١).
٢. ويمكن تعريف الاتجاهات التفسيرية، بانها كل ما تناول تأثير تخصص المفسر في علم ما أو تأثير ميوله ورغباته الخاصة، وأفكاره، وعقائده على التفسير^(٢).

٣. نقصد بالاتجاه في التفسير: هو أن يؤثر ما عند المفسر من العقائد والمعلومات والميول والرغبات والأفكار، أو المشهورات، أو القطعيات المذهبية، أو الكلامية، أو التخصصية في منح التفسير جهة أو لون خاص. فيكون تناول التفسير على أساس تلك المعلومات والمعطيات التي في ذهن المذهبي أو الكلامي أو المتخصص المعين، ويسلط الضوء على التفسير انطلاقاً من احتياجاته ومعتمداً ذوقه وفنّه في مجاله.

ومن ذلك الاتجاه الفقهي في التفسير القائم على أساس المذاهب الفقهية المختلفة والاتجاه الكلامي والفلسفي والاجتماعي والأدبي^(٣).

تحليل التعريف:

(١) زرزور، عدنان، الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، ص ٣٥٣.

(٢) د الرضائي، محمد علي، منطق تفسير قران ١، مباني وقواعد تفسير قران، ص ١٨.

(٣) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص ٤٦.

الاتجاه: هو ما يحمله المفسر من وجهة فكرية أو تخصصية تنعكس في عملية التفسير على المطالب التفسيرية المطروحة والمبحوثة أو المفسرة أن صح التعبير، فكل ما يعتقده المفسر أو يعتنقه من مسائل عقائدية أو علمية أو تخصصية تتحكم وتؤثر في نوعية التفسير وطابعه العام، (فيكون تناول التفسير على أساس تلك المعلومات والمعطيات التي في ذهن المذهبي أو الكلامي أو المتخصص المعين ويسلط الضوء على التفسير انطلاقاً من احتياجاته ومعتمداً ذوقه وفنّه في مجاله) (١).

٤. المراد من الاتجاهات التفسيرية: المباحث التي يهتم بها المفسر في تفسيره مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات، مثلاً تارة يتجه إلى إيضاح المادة القرآنية من حيث اللغة، وأخرى إلى صورتها العارضة عليها من حيث الإعراب والبناء، وثالثة يتجه إلى الجانب البلاغي، ورابعة يعتني بآيات الأحكام، وخامسة يصبّ اهتمامه على الجانب التاريخي والقصصي، وسادسة يهتم بالأبحاث الأخلاقية، وسابعة يهتم بالأبحاث الاجتماعية، وثامنة يهتم بالآيات الباطنة عن الكون وعالم الطبيعة، وتاسعة يهتم بمعارف القرآن وآياته الاعتقادية الباقية عن المبدأ والمعاد وغيرهما،

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص ٤٦.

وعاشرة بالجميع حسبما أُوتِي من المقدرة^(١).

تحليل التعريف:

يمكن الإشارة إلى عدّة نقاط موجودة في هذا التعريف، منها:

أ. أنّ المنهج التفسيري غير الاتجاه التفسيري وهناك اثنيتان بينهما (المباحث التي يهتم بها المفسّر في تفسيره مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات)^(٢).

ب. قد يعبر عن الاتجاه بأنّه تلك الزاوية أو الجهة التي منها يتم توضيح وتفسير القرآن (مثلاً تارة يتجه إلى إيضاح المادة القرآنية من حيث اللغة، وأخرى إلى صورتها العارضة عليها من حيث الإعراب والبناء، وثالثة يتجه إلى الجانب البلاغي)^(٣).

ت. أنّ هناك اتجاهات كثيرة ومتعددة، يمكن أن تتعدد بتعدد التخصصات والجهات التي منها يتناول المفسّر تفسير القرآن، (مثلاً تارة يتجه إلى إيضاح المادة القرآنية من حيث اللغة، وأخرى إلى صورتها العارضة عليها من حيث الإعراب

(١) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣ - ٧٤.

والبناء، وثالثة يتجه إلى الجانب البلاغي، ورابعة يعتني بآيات الأحكام، وخامسة يصبّ اهتمامه على الجانب التاريخي والقصصي، وسادسة يهتم بالأبحاث الأخلاقية، وسابعة يهتم بالأبحاث الاجتماعية، وثامنة يهتم بالآيات الباحثة عن الكون وعالم الطبيعة^(١).

النتيجة:

يمكن الخلوص إلى ما يلي:

١. الاتجاه هو ما يحمله المفسر من وجهة فكرية أو تخصصية تنعكس في عملية التفسير على المطالب التفسيرية المطروحة والمبحوثة، أو المفسرة إن صح التعبير، فكل ما يعتقده المفسر أو يعتنقه من مسائل عقائدية أو علمية أو تخصصية تتحكم وتؤثر في نوعية التفسير وطابعه العام.
٢. أنّ المنهج التفسيري غير الاتجاه التفسير وهناك اثنتان بينهما.
٣. كما يمكن أن يطلق الاتجاه في التفسير على طريقته الفكرية أو منهجه الفكري - والذي يؤثر بالطبع في عملية التفسير.

خلاصة هذا البحث

هذا البحث إنّما تطرقنا إليه من أجل سؤال مطروح، ألا وهو: هل أنّ التفسير

(١) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم

التربوي منهج أو اتجاه ؟ وبعدها تحصلت عندنا هذه المعلومات الكثيرة يمكننا أن نحصل على نتائج نذكرها كما يلي:

١. أن التفسير التربوي قد يعد من المناهج التفسيرية؛ إذا قلنا أن علم التربية كعلم اتخذ أداة ومصدراً لفهم ولكشف معاني الآيات القرآنية ولو بشكل أدق وأعمق. ولكننا لا نعول على أنه منهج تفسيري في طيات هذه الرسالة؛ وذلك لكي نحدد المراد من هذا المصطلح في هذه الدراسة.

٢. أن التفسير التربوي قد يعد من الاتجاهات التفسيرية؛ إذا قلنا إن المفسر قد استخدم تخصصه وهو علم التربية لفهم ولكشف معاني الآيات القرآنية ولو بشكل أدق وأعمق من جهة تربوية، ونحن نعتمد هذا الاصطلاح في طيات هذه الرسالة، أي أنه اتجاه تفسيري؛ وذلك لكي نحدد المراد من هذا المصطلح في هذه الدراسة.

تعريف اتجاه التفسير التربوي.

نحاول أن نعطي تصوراً واضحاً عن المراد باصطلاح (اتجاه التفسير التربوي) بعد أن عملنا على توضيح اصطلاح (الاتجاه التفسيري) بصورة عامة، وسنبداً بعون الله ببيان الفكرة الأساسية التي منها يتولد التعريف النهائي لاصطلاح (اتجاه التفسير التربوي) ومن بعدها نقدم تمهيد عن بعض الاصطلاحات التي تشابه هذا الاصطلاح والتي استخدمت في الكتب المتخصصة في علوم

القرآن الكريم، ثم نعرج على بيان تعريف بهذا الاصطلاح.

خلاصة الفكرة في صياغة التعريف:

ولابد أن أشير إلى أن أساس الفكرة في صياغة التعريف هي المزاوجة بين تعريف الاتجاه التفسيري من جهة وبين علم التربية، أو اصطلاح التربية من جهة أخرى؛ (لأنّ التفسير التربوي مركب من كلمتي (التفسير) و(التربية) والتفسير التربوي مفهوم خليط منهما)^(١). لأنّ تعريف التفسير التربوي كذلك فقد عرفه بعض الباحثين: بأنه تفسير الآيات على أساس النظام التربوي القرآني^(٢).

تمهيد للتعريف:

لقد استخدم بعض العلماء بعض الاصطلاحات - التي حاولنا تتبعها - والتي تشير إلى الاتجاه التربوي في التفسير، وهناك صعوبة بالغة في تحصيل تعريف واحد لهذا الاصطلاح (اتجاه التفسير التربوي)، ولعلّ أهم الأسباب هو أنّ الدراسات في المناهج والاتجاهات التفسيرية ليس لها العمق الزمني الكبير لا سيما اتجاه التفسير التربوي الحديث جداً. وعليه فسنحاول

(١) احساني، محمد، مجلة قرآن وعلم، ع٣، مقالة ورش شانسى تفسير تربيتى، ص ٣٨.

(٢) افشاكى، احمد ذبيح، مجلة القرآن والعلم، ع ٣، مقالة: آسب شناسى تفسير تربيتى، ص ٥٣.

التعرض إلى تلك المعلوات التي عثرنا عليها في بطون بعض الكتب:

١. الشيخ محمد هادي معرفة: فقد تعرض لتفسير (من وحي القرآن) من تأليف السيد فضل الله، وقال عنه: في المقدمة: تفسير تربوي اجتماعي شامل، ويعدّ من أروع التفاسير الجامعة...^(١)، ثمّ قال عنه في مقام التعريف بمحتوى هذا التفسير: ومن ثمّ يغلب على التفسير الطابع التربوي بما لكلمة التربية من معنى اصطلاحي^(٢).

٢. السيد محمد علي الإيازي، وهو يترجم لتفسير الشعراوي (خواطر الشعراوي حول القرآن الكريم) قال: تفسير غير شامل لجميع آيات القرآن باللون التربوي والأصلاحي^(٣).

التحليل:

نرى الشيخ معرفة والسيد الإيازي قد استخدما كلمة (الطابع التربوي) فوصفا بها التفسيرين المذكورين لبيان

(١) الشيخ معرفة، محمد هادي التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٧٥.

(٢) الشيخ معرفة، محمد هادي التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٧٥، نقلا عن مجلة رسالة القرآن، العدد الرابع، مقال: الملامح العامة لتفسير «من وحي القرآن»، ص٥٩.

(٣) السيد ايازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ج١، ص٤٣٩.

معالمهما العامة، فهذا الاصطلاح (الطابع) أو (الطابع العام) من المصطلحات التي توازي كلمة الاتجاه أو الاتجاه العالم، فكلاهما يفيد التعريف بالجهة التي سار إليها التفسير، أي هل كانت ملامحه العامة تربوية ؟ أو اجتماعية ؟ أو غيرها؟. فلا أقل أن نقول: إنَّ اصطلاح (الطابع التربوي) يساوي أو يرادف اصطلاح (الاتجاه التربوي).

٣. الشيخ محمد هادي معرفة: فقد تعرض لدراسة تفسير (الوجيز في تفسير القرآن العزيز) من تأليف الأستاذ محمد علي دخيل وقال عنه: وهو تفسير موجز شامل، يغلب عليه اللون التربوي التحليلي، متناسبا مع مستوى الجيل الحاضر^(١).

التحليل:

نرى الشيخ المؤلف (أنه استخدم كلمة (اللون التربوي) فوصف بها التفسير المذكور لبيان معالمه العامة، فهذا الاصطلاح (اللون) أو (اللون العام) من المصطلحات التي توازي كلمة الاتجاه أو الاتجاه العالم، فكلاهما يفيد التعريف بالجهة التي سار إليها التفسير، أي هل كانت ملامحه العامة تربوية ؟ أو اجتماعية ؟ أو غيرها؟. فلا أقل أن نقول: إنَّ اصطلاح (اللون التربوي) يساوي أو يرادف اصطلاح (الاتجاه التربوي).

(١) الشيخ معرفة، محمد هادي التفسير والمفسرون،

٤. الاستاذ عماد علي عبدالسميع، وهو يترجم لتفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن بن ناصر السعدي: ويتميز هذا التفسير بترسيخ العقيدة السلفية وخصوصا في آيات الصفات، وبأسلوبه التربوي الذي ينمّي لدى القارئ القيم الأخلاقية الفاضلة التي حض عليها الإسلام^(١).

التحليل:

نرى المؤلف (أنه استخدم كلمة (اللون التربوي) فوصف بها التفسير المذكور لبيان معالمه العامة، فهذا الاصطلاح (أسلوب) أو (أسلوب العام) من المصطلحات التي توازي كلمة الاتجاه أو الاتجاه العالم، فكلاهما يفيد التعريف بالجهة التي سار إليها التفسير، أي هل كانت ملامحه العامة تربوية؟ أو اجتماعية؟ أو غيرها؟. فقد نقول: إن اصطلاح (أسلوبه التربوي) يساوي أو يرادف اصطلاح (الاتجاه التربوي).

اتجاه التفسير التربوي:

بعد أن قدّمنا ببيان أساس الفكرة لصياغة التعريف المعتمد في هذه الدراسة وذكرنا بعض الاصطلاحات التي توازي معنى الاتجاه في التفسير، نحاول الآن أن نعمل على صياغة التعريف العملي لهذا الاتجاه،

(١) عبدالسميع، عماد علي، التيسير إلى أصول

حيث يمكن أن نعرّف بما يلي: هو تفسير القرآن في ضوء علم التربية.

شرح التعريف: أي تؤثر العلوم التربوية على المفسّر في تناوله لتفسير الآيات القرآنية، بحيث يستخدم تخصّصه كتربوي وكمفسر في فهم الآيات القرآنية، فيولي الاهتمام بالنقاط التربوية والأصول والأساليب والعوامل، أو الموانع أو المراحل التربوية، وهكذا بالإرشادات والتوجيهات التربوية التي يمكن للمتخصص التربوي أن يراها في الآيات القرآنية دون غيره من المفسرين اللغويين أو الفقهيين، أو حتى العرفاء.

وبكلمة بديلة: فإنّ الاتجاه التربوي للتفسير يعني تلون التفسير بالمسائل التربوية، فيطغى عليه الطابع الخاص بعلم التربية على شرح الآيات من خلال ربطها بعلم التربية واستخراج النقاط والإرشادات التربوية التي تستوحى من القرآن الكريم، وهو أمر طبيعي، إذ إنّ المفروض أنّ المفسّر مختص بعلم التربية فتكون أدواته وأفكاره ومعلوماته وأسئلته وإشكالاته التي يبحث عن جوابها هي التي تقوده لإشباع البحث بالجانب التربوي أثناء عملية التفسير؛ يكون التفسير ذا اتجاه تربوي وذا صبغة تربوية.

فيمكن النظر إلى القرآن من زاوية تربوية تخصصية، وذلك بالإفادة من معطيات العلوم التربوية في فهم القرآن، أو تطبيق النظريات التربوية على القرآن،

أو التنظير لهذه العلوم على أساس القرآن^(١).

مميزات التفسير التربوي

من المسلم به هو الاتفاق على وجود اتجاهات متعددة لتفسير القرآن الكريم، تنوعت بمرور الزمان واختلاف الاحتياجات وتطور العلوم، ولا بد أن يكون كل تفسير أو اتجاه في التفسير يختلف عن غيره، ولكل منها امتيازات وخصائص، تحد ما بينه وبين غيره كفصل يميز بين الأنواع، فمنها الاتجاه، أو فنقل التفسير الفقهي للقرآن واللغوي والتربوي الذي نريد أن نبحث عنه في هذه الدراسة.

فمثلاً نشاهد أن الاتجاه اللغوي يشمل (مسائل اللغة والنحو والإعراب والبلاغة، وقد قسمه بعض الدارسين إلى ثلاثة أقسام: الأول: يتعلق بمفردات اللغة تضمن ما تعلق بكتب (غريب القرآن) ولم يعرف من الكتب المذكورة فيها سوى «غريب القرآن» لابن قتيبة و«غريب القرآن» أو «نزهة القلوب» للسجستاني (ت. ٣٣ هـ)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢ هـ).

الثاني: تعلق بالنحو ومسائل الإعراب.

الثالث: تعلق بالأساليب البيانية وهي تفاسير قصدت إلى كشف وجوه الإعجاز

(١) الأزرقى، احمد، مجلة قرآن وعلم، ع ٣، مقالة:

قواعد التفسير التربوي للقرآن الكريم، ص ١٢٦.

- القرآني والجمال. وقد تأخر هذا التوجه وحقله: القرآن الكريم، وما قام به المتكلمون والبلاغيون^(١).
- فقد ندرك التمايز بين الاتجاهات العامة للتفسير ببسيط من التأمل فنقول: إن هذا التفسير كأنه بحث في الأحكام الشرعية وهذا كأنه بحث في المسائل الفلسفية، ذلك لأن لكل اتجاه مميزات ومحاور للبحث فعلى سبيل المثال يمتاز الاتجاه الأدبي وأصحابه بما يلي:
١. الاهتمام بالصرف والنحو والمفردات وإعراب الآيات.
 ٢. شرح النكات البلاغية والفصاحة القرآنية.
 ٣. بيان المفردات الغريبة والمشكلة.
 ٤. بيان الإعجاز الأدبي والبلاغي للقرآن.
 ٥. البحث في إظهار جذور المفردات اللغوية في اللغة العربية وغير العربية كالمفردات الدخيلة.
 ٦. بحث وترجيح القراءات.
 ٧. الاعتماد والاستشهاد بأشعار العرب.
 ٨. التوغل في مباحث لغوية كالوجوه والنظائر والمجاز والحقيقة وغيرها^(٢).
- وأما مميزات الاتجاه التربوي للتفسير فنقول وبالله العون:

(١) شنوقة، السعيد، التأويل والتفسير بين المعتزلة

والسنة، ص: ٦٣

(٢) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص٤٧ - ٤٨ .

١. أن هذا المنحى من التفسير يحتاج إلى العالم التربوي، أو قل من درس علم التربية بالشكل الأكاديمي بشكل جامع لكي يخوض فيه، حاله حال التفسير الأدبي الذي لا يمكن تحقيقه بدون وجود الأديب. فهذا التفسير لا يمكن تحقيقه بدون وجود التربوي.
٢. يمتاز بشرح النكات التربوية والأخلاقية والعرفانية.
٣. الاهتمام ببيان العمق التربوي. المعجز، وذلك بالكشف عن كيفية تربية الله تبارك وتعالى للإنسان، وهو الأعرف بمخلوقه وبفطرته وطاقاته.
٤. بيان توظيف الألفاظ العربية في صور جمالية أو جلالية لصنع التأثير التربوي.
- ٥- يمتاز بمقومات تربية الفرد والمجتمع والأمة والعالم وإيضاحها، من العناصر والمشاركات والأساليب.
٦. الاهتمام بالأساليب والطرق التربوية والأدوات والمباني والأصول والفلسفات وسياسة الاقناع العقلية في إيجاد العملية التربوية والأثر التربوي.
٧. الوقوف عند الأساليب التربوية الرقيقة والشديدة والأحكام والإرشادات والقصة والترغيب والترهيب وغيرها.
٨. بيان أنواع وأهم الأبعاد التربوية سواء كانت العلمية أم الجهادية، أم المعنوية، أم البدنية وغيرها.
٩. لا بد أن يكون متميزاً بالموضوعية والواقعية ومعايشاً للحياة اليومية أو متميزاً بجنبه التفسير التربوي في حل

- المشاكل التربوية التي يعرضها العالم ،
أو في اكتشاف الجواب الشافي، أو في
معرفة وجهة النظر القرآنية حول أركان
ومكونات النظام التربوي الإسلامي^(١) .
- واعتبر الدكتور محمد علي الرضائي أن
عناصر التفسير التربوي والتي تميزه عن
بقية الاتجاهات التفسيرية الأخرى، أو
العناصر التي يعتني بها التفسير
التربوي القرآني كما يلي:
١. توضيح المعاني والمقاصد من الآيات
القرآنية مع العناية بالنتائج
التربوية .
 ٢. استخدام العلوم التربوية من أجل
توضيح الآيات القرآنية .
 ٣. التوجه إلى البعد التربوي القرآني
في بيان النقاط التفسيرية .
 ٤. توضيح المعالم والخطابات التربوية
القرآنية .
 ٥. الاستعانة بالآيات القرآنية من أجل
ترسيم أصول العلوم الإنسانية ومنها علم
التربية .
 ٦. التنظير التربوي على أساس الآيات
القرآنية .
 ٧. استنباط الأهداف الأصول والطرق، وفي
النهاية النظام التربوي من القرآن .
 ٨. التوجه إلى النقاط التربوية
القرآنية من أجل تربية الأبعاد الإنسانية

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص٤٧ - ٤٨ .

التربوية أمثال: البعد العقلي،
العاطفي، و...^(١).

مثال من التفسير التربوي.

نظراً لأهمية البحث ولحدائته حاولنا
هنا أن نطلع القارئ على مثال من
التفسير التربوي، ورأينا أن نقدّم لكم
تفسير سورة الجمعة من كتاب (التفسير
التربوي للقرآن الكريم، لمؤلفه أنور
الباز) وكذا من كتاب (التفسير التربوي
المباني والاتجاه).

أولاً: التفسير التربوي للقرآن الكريم، لمؤلفه أنور الباز

فهذا العنوان هو أول كتاب يصدر في
هذا التخصص في العالم الإسلامي، واعتمد
فيه المؤلف على تفسير ظلال القرآن للسيد
قطب. وأمّا منهجه فيتلخص فيما يلي:

١. عرض لمعاني الكلمات.
 ٢. الأهداف الإجرائية والسلوكية
(للسورة).
 ٣. المحتوى التربوي.
 ٤. ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً.
- يظهر فيه الأسلوب السردى في التفسير
في النقطة الثالثة، التي تمثل كلامه حول
السورة بالترتيب.

(١) د. محمد علي الرضائي الأصفهاني، كراسة (القرآن
والعلوم البشرية)، جامعة المصطفى المفتوحة،
الدرس ١٩، غير مطبوع.

وهذا النص يمثل التفسير التربوي ا
لمطروح للعلم والإفادة نقلناه كما هو،
وهو كما يلي:

تفسير سورة الجمعة عند أنور الباز
معاني الكلمات

يسبح الله: يقدر الله ويمجده .
الأميين: العرب المعاصرين له - .
ويزكيهم: ويظهرهم من أدناس الجاهلية .
حملوا التوراة: كلفوا العمل بما
فيها .

أسفاراً: كتباً عظماً ولا ينتفع بها .
هادوا: تدينوا باليهودية .
زعمتم: ادعيتهم .
ملاقيكم: سيأتيكم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية:

١. أن نتعرف على عظمة الله تعالى وخضوع
الكون بما فيه لإرادته تعالى.
٢. أن نعلم نعمة الله ومنته على العرب
ببعثة رسوله - فيهم .
٣. أن نعلم طبيعة اليهود وانحرافهم
عن شريعة الله وعدم علمهم بأحكام التوراة .

المحتوى التربوي

يقرر مطلع السورة حقيقة التسبيح
المستمرة من كل ما في الوجود لله، ويصفه
- سبحانه - بصفات ذات علاقة لطيفة بموضوع
السورة، ومن ثم تذكر: الملك الذي يملك
كل شيء بمناسبة التجارة التي يسارعون
إليها ابتغاء الكسب، وتذكر القدوس الذي
يتقدس ويتنزه ويتوجه إليه بالتقديس
والتنزيه كل ما في السموات والأرض،
بمناسبة اللهو الذي ينصرفون إليه عن

ذكره، وتذكر العزيز بمناسبة المباهلة التي يدعى إليها اليهود والموت الذي لابد أن يلاقي الناس جميعاً والرجعة إليه والحساب، وتذكر الحكيم بمناسبة اختياره الأميين لبعث فيهم رسولاً يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة، ثم يبدأ موضوع السورة، فقد اقتضت حكمة الله أن يبعث رسولاً وأن يكون من العرب من الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون - غير اليهود - فقد علم الله أن يهودا قد فرغ عنصرها من مؤهلات القيادة الجديدة الكاملة للبشرية، وكانت هناك دعوة إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، وتحققت هذه الدعوة بنصّها، والمنة ظاهرة في اختيار الله للأميين لجعلهم أهل الكتاب المبين، وليرسل فيهم رسولاً منهم، يرتفعون باختياره منهم إلى مقام كريم، ويخرجهم من أميتهم أو من أميتهم بتلاوة آيات الله عليهم، وتغيير ما بهم، وتمييزهم على العالمين.

وأنها لتزكية وأنه لتطهير ذلك الذي كانوا يأخذهم به الرسول - تطهيراً للضمير والشعور، وتطهيراً للعمل والسلوك، وتطهيراً للحياة الزوجية، وتطهيراً للحياة الاجتماعية، تطهيراً ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني، إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع،

ويعلمهم الكتاب فيصبحون أهل كتاب، ويعلمهم الحكمة فيدركون حقائق الأمور، ويحسنون التقدير، وتلهم أرواحهم صواب الحكم وصواب العمل وهو خير كثير، وقد كانوا مستبدلين بالتوحيد شركاً، وباليقين شكاً، وكانوا في ضلال مبين.

وقد اختار الله - سبحانه - تلك الأمة البدوية في شبه الجزيرة الصحراوية لتحمل هذا الدين، بما علم في نفوسها وفي ظروفها من قابلية للاستصلاح وذخيرة مرصودة للبذل والعطاء، فأرسل فيهم الرسول يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وكما بعثه في الأميين الذين على عهده، وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد، وسيلحقون بهم وهم الذي بعد الصحابة رضي الله عنهم، من كل من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، أو أنه هؤلاء الآخرين هم الأعاجم وكل من صدق النبي - من غير العرب، والله هو القوي القادر على الاختيار، الحكيم العليم بمواضع الاختيار، واختياره للمتقدمين والمتأخرين فضل وتكريم، وأن اختيار الله لأمة أو جماعة أو فرد ليحمل هذه الأمانة الكبرى، وليكون مستودع نور الله وموضع تلقّي فيضه، فضل لا يعدله فضل، فضل عظيم يربو على كل ما يبذله المؤمن من نفسه وماله وحياته، ويربو على متاعب الطريق وآلام الكفاح وشدائد الجهاد.

بعد ذلك يذكر ما يفيد أنّ اليهود قد انتهى دورهم في حمل أمانة الله، فلم تعد لهم قلوب تحمل هذه الأمانة التي لا

تحملها إلا القلوب الحية الفاقهة المدركة الواعية المتجردة العاملة بما تحمل، فبنو إسرائيل حملوا وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة للعمل بها، ثم لم يعملوا بها، وسيرة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم - وكما هي في حقيقتها - لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة، ولا أنهم فقهوا حقيقتها، ولا أنهم عملوا بها، ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا ثقلها فهو ليس صاحبها، وليس شريكاً في الغاية منها، وهي صورة زرية بائسة، ومثل سيئ شائن للذين كذبوا بآيات الله، والله لا يهدي القوم الظالمين.

والذين يعيشون في هذا الزمان، وهم يحملون أسماء المسلمين، ولا يعملون عمل المسلمين وبخاصة أولئك الذين يقرؤون القرآن والكتب، وهم لا ينهضون بما فيها، أولئك مثلهم كالحمار يحمل أسفاراً وهم كثيرون، فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس، إنما هي مسألة فقه وعمل بما في الكتاب.

وكان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أولياؤه من دون الناس، وها هنا دعوة لهم إلى المباهلة، وقد خاف كل من دعاهم رسول الله - إلى هذه المباهلة ونكلوا عنها، ولم يقبلوا التحدي فيها، مما يدل على أنهم في قرارة نفوسهم كانوا يعرفون صدق رسول الله - وأحقية هذا الدين، وقد لا تكون هذه المباهلة ولكن مجرد تحدٍ لهم، بما أنهم يزعمون أنهم

أولياء الله من دون الناس، فما يخيفهم إذاً من الموت، ويجعلهم أجبن خلق الله؟ وهم حين يموتون ينالون ما عند الله ممّا يلقاه الأولياء والمقربون؟!

ثمّ عقب على هذا التحدي بما يفيد أنّهم غير صادقين فيما يدعون، وأنّهم يعرفون أنّهم لم يقدموا بين أيديهم ما يطمئنون إليه، وما يرجون الثواب والقربى عليه، وإنّما قدّموا الكفر والظلم والفجور، وقدّموا المعصية التي تخيفهم من الموت وما وراءه والله عليم بالظالمين.

وفي الجولة يقرر السياق حقيقة الموت وما بعده، ويكشف لهم عن قلة الجدوى في فرارهم من الموت، فهو حتم لا مهرب منه، وما بعده من رجعة إلى الله، وحساب على العمل حتم كذلك لا ريب فيه، وهي لفظة من اللفظات القرآنية الموحية للمخاطبين بها وغير المخاطبين، تقرّ في الأخلاء حقيقة ينساها الناس، وهي تلاحقهم أينما كانوا، فهذه الحياة إلى انتهاء، والبعد عن الله فيما ينتهي للرجعة إليها فلا ملجأ منه إلاّ إليه، والحساب والجزاء بعد الرجعة كائنان لا محالة، فلا مهرب ولا فكاك.

فحقيقة الموت الذي يفرّ منه المكذبون؛ أنّه ملاقيهم مهما فرّوا، وأنّهم مردودون إلى عالم الغيب والشهادة فمنبئهم بما كانوا يعملون، وهو تقرير لا يخصّ اليهود وحدهم، أنّما يلقيه القرآن ويدعه يفعل فعله في نفوس المؤمنين كذلك، فهذه الحقيقة لا بد أن تستقر في نفوس حملة

أمانة الله في الأرض لينهضوا بتكالييفها وهم يعرفون الطريق.

ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً:

١. اختار الله - تعالى- المسلمين لحمل أمانة العقيدة إلى العالم كلّه وعليهم أن يقوموا بتبليغ هذه الرسالة إلى العالمين بكل الوسائل المتاحة.
٢. حقيقة الموت لابدّ أن تستقر في نفوس حملة أمانة الله في الأرض لينهضوا بتكالييفها.
٣. ليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس، إنّما هي مسألة فقه وعمل بما في الكتاب^(١).

ثانياً: التفسير التربوي المباني والاتجاه:

وهو المثل الثاني على التفسير التربوي للقرآن الكريم، نعرض منه نموذجاً، ونشير إلى منهجه باختصار، فهو يعمل على تفسير الآية عبر مراحل معينة وهي:

١. عرض الآية.
٢. معاني الكلمات.
٣. المحاور التربوية في السورة.
٤. المعارف المؤثرة على تربية المسلمين في السورة.
٥. تفسير الآيات تربويّاً.
٦. النظام التربوي الإسلامي.

(١) الباز، أنور، التفسير التربوي، ج٣، ص٤٣١-

٧. النكات والإشارات التربوية التي توحى إليها الآية (١).

وهذا نموذج من تفسير سورة الجمعة.

أولاً: معاني الكلمات

يسبح لله: يقدس له.

الأميين: العرب المعاصرين للنبي -.

يزكّهم: يطهرهم من أدناس الجاهلية.

أسفاراً: الكتب الكبار العظيمة.

هادوا: تدينوا باليهودية.

زعمتم: ادعيتهم.

ذروا: اتركوا.

ابتغوا: اطلبوا.

انفضوا: أنصرفوا.

ثانياً: المحاور التربوية في السورة

١. التسبيح وآثاره التربوية في الروح، والدعاء والصلاة والأعمال العبادية المشتركة التي تؤدى بصورة جماعية.

٢. التأكيد على التعلم والحكمة في المسيرة التربوية نحو التكامل.

٣. لزوم العمل والتطبيق للمبادئ التي يحملها الإنسان المؤمن.

٤. الموت أكبر محك للإيمان لأنه من أعظم الشدائد والصعوبات على الإنسان.

٥. تقديم الدين على الدنيا.

٦. التبشير للمؤمنين والتحذير لهم من العدو ومن الدنيا.

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص (٧١-٩٤).

ثالثاً: المعارف المؤثرة على تربية المسلمين في السورة

١. أن نتعرف على عظمة الله تعالى وخضوع الكون بما فيه لإرادته تعالى، قال تعالى: ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

٢. أن نعلم نعمة الله ومنته على العرب ببعثة رسوله - فيهم.

٣. أن نعلم طبيعة اليهود [وحقيقتهم] وانحرافهم عن شريعة الله^(٢).

٤. أن نعرف أهمية العبادة وصلاة الجمعة.

٥. أن نعرف حتمية الموت وضمن الرزق والصبر على الإيمان مقابل الدنيا والغرائز والميول.

رابعاً: تفسير الآيات تربوياً.

وهنا ندخل إلى التفاصيل ونقترب أكثر من المتن القرآني المقدس، لكي نتناول الآيات الشريفة منفردة أو مجموعة بحسب السياق، فلو وجدنا اثنين أو ثلاث أو أكثر تمثل جملة تامة وكلاماً واحداً مترابطاً سنعتبره وقفه قرآنية تربوية جاهزة للتفسير، وفي هذه المرحلة سنسلط الضوء على كل آية أو مجموعة الآيات المترابطة من زاويتين:

الأولى: من زاوية النظام التربوي الإسلامي.

(١) سورة الجمعة: ١.

(٢) الباز، أنور، التفسير التربوي، ج ٣، ص ٤٣١.

والثانية: من زاوية النكات التربوية والإرشادات التربوية التي يمكن أن توحى إليها الآية.

الآية الأولى:

﴿يَسْبِحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ﴾.

أولاً: النظام التربوي الإسلامي

١- المجالات والأبعاد التربوية:

التربية الدينية: ﴿يَسْبِحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ﴾. ووجه الارتباط: أن يتربى الإنسان

ديناً على التسبيح والتقديس والتنوع في شكل العبادة.

(أ) التربية الدينية: (الملك) (القدوس) (العزیز) (الحكيم). ووجه الارتباط: أن يعرف ويتربى على كون الملك الحقيقي هو الله فلا يطلب إلا منه فهو الغني، وكذا فهو الأطهر المقدس والعزیز والحكيم، فيمارس هذه المفاهيم ويعملها في حياته.

(ب) التربية المعنوية: (القدوس). ووجه الارتباط: أن يسعى الإنسان أن يكون طاهراً، وهذا منهجاً للتربية المعنوية في تطهير النفس من كل الرذائل كي تسمو نحو خالقها بالتحلي بصفاته.

التربية الأخلاقية: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

وجه الارتباط: أن يتربى أخلاقياً على الغنى لا الفقر والطهارة لا الرذائل، وأن

يكون عزيزاً لا ذليلاً حكيماً غير جاهل أو طائش.

٢- الأدوات التربوية:

أ) التسبيح: (يسبح لله) وجه الارتباط: أنه سكن للأرواح ومربي للنفوس على العبادة والتمسك بالرب والخضوع له.

المعرفة: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وجه

الارتباط: أنها باعثة على السير التربوي وعلى تقدم التربية ونضجها، فإن لوازم المعرفة لصفات الله هي الترويض والنهج، أو السلوك وفقاً لتلك المعرفة السامية.

٣- الأساليب:

التسبيح: (يسبح) وجه الارتباط: فهو أسلوب للتربية الدينية ونهج للعبادة والخضوع لله كما مر، وأنه أداة لذلك أيضاً.

ثانياً: النكات والإشارات التربوية التي توحى إليها الآية:

١- أن التسبيح لله هو الأساس والجذر لعموم العقائد والأفكار الصحيحة في الإسلام، فهو جزء النظام العام للموجودات جميعاً، ونهجاً يسير به أو عليه كل شيء نحو التكامل ﴿يَسْبِحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

٢- التساوي في العبودية أمام الخالق، فكل الموجودات تعبد الله وتسبحه ﴿يَسْبِحُ لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

٣- الحمد أو المدح والثناء لا تكون إلا بسبب ولمن يستحق ﴿يَسْبِحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وخلافه باطل، ويكون من المجاملات المرفوضة.

٤- الأمر والقائد والرئاسة الإلهية ملازمة للنزاهة والقداسة والعدل والعلم والحكمة ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فليكن الرؤساء والمسؤولون هكذا.

٥- يجب أن يكون المسلم المؤمن عزيزاً مقتدياً بالرب تبارك وتعالى^(١).

أصول التفسير التربوي اصطلاحاً

تمهيد:

لم نكن نستطيع رسم الصورة المعنائية لمصطلح (أصول التفسير التربوي) وذلك لأنه يتوقف على بسط وتوضيح عدّة مصطلحات، من العناصر الدخيلة في تكوين التعريف النهائي لهذا المصطلح. ولكننا بعد أن عرّفنا المصطلحات المهمة التي يتوقف عليها تعريف الموضوع لهذه الرسالة والتي هي (الأصل لغة) و (التفسير لغة واصطلاحاً) و (التربية لغة واصطلاحاً) يمكننا الدخول في البحث عن تعرف لمصطلح (أصول التفسير التربوي)، ولهذا نبداً من بيان أصل الفكرة لتدوين التعريف.

أصل الفكرة:

تتلخص فكرة إيجاد التعريف التخصصي لمصطلح (أصول التفسير التربوي) في عملية الدمج بين الاصطلاحات الثلاث (الأصل،

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص ٧١-٧٥.

التفسير، التربية). فإنَّ الإشراب الفاعل بين التفسير والتربية سيؤدي إلى صياغة وإنتاج التفسير التربوي، ولا بد من أصول لكل تفسير يبتني عليها ويقوم المفسر بالاستناد عليها في كتابة التفسير.

تعريف الأصل التفسيري:

أصول التفسير: اصطلاح استخدم في علوم القرآن الكريم، وهو ليس من الاصطلاحات القديمة، فلم يرد في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي ت ٧٩٤ ق، ولم يرد في كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ ق، نعم ذكره ابن تيمية ت ٧٢٨ ق^(١) كعنوان لكتابه (مقدمة في أصول التفسير)، لكنّه لم يكن اصطلاحاً مشهوراً بين المتخصصين في علوم القرآن.

يقول محمد صفاء عن ذلك: وعندها ظهر مصطلح آخر جعله بعضهم مرادفاً لمصطلح علوم القرآن، واستعمل في موضعه عند كثير من المهتمين بعلوم القرآن، هذا المصطلح هو علم (أصول التفسير)^(٢).

والحق ليس كما ذهب الباحث محمد صفاء إلى أنّ الأصول هي القواعد العامة للتفسير مستندا بذلك إلى قول ابن تيمية، حيث قال: إنّ الناظر في مقدمة

(١) بن تيمية، احمد بن عبدالحليم، مقدمة في أصول التفسير، ، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت.

(٢) حقي، محمد صفاء شيخ ابراهيم، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ج ١، ص ٥٣.

شيخ الإسلام ابن تيمية يجد أنه يعرف أصول التفسير بقوله: «أبحاث تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتميز- في منقول ذلك ومعقوله- بين الحق والباطل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل^(١).» لكنه استدرك عما نقله عن ابن تيمية^(٢)، فقال: نؤكد أن المتقدمين كانوا يستعملون المصطلحين (أصول التفسير، وعلوم القرآن) لغرض واحد، يقصدون به كل القواعد والأبحاث التي تخدم كتاب الله وتعين على فهمه. غير أن المتأخرين قصدوا من هذا المصطلح أمراً أخص من الذي أراده المتقدمون منه إذ حصروه على: الأسس والقواعد التي يعرف بها تفسير كتاب الله^(٣).

ونحن سنعمل على تحديد تعريف لاصطلاح الأصول التفسيرية الخاص بهذا الكتاب وهو الذي نتوصل إليه من البحث لكي نميزه عن الاصطلاحات القرآنية الأخرى مثل (المباني)، و(القواعد)، وإن كانت قد تستخدم هذه الاصطلاحات (المباني)،

(١) حقي، محمد صفاء شيخ ابراهيم، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ج١، ص: ٥٤.

(٢) ابن تيمية، احمد بن عبدالحليم، مقدمة في أصول التفسير، ص١٥٥.

(٣) حقي، محمد صفاء شيخ ابراهيم، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، ج١، ص: ٥٤.

(الأصول) و(القواعد) كلٌّ في مكان [أي بمعنى واحد]، ممّا أدى إلى خلط المفاهيم والاصطلاحات^(١).

ولكن مباني التفسير اصطلاح يساوق اصطلاح (أصول التفسير) وهما متساويان ومترادفان، والمقصود من الأصول: هو المسلمات والأسس أو الركائز الفكرية للمفسر والتي يديم المفسر ملاحظتها عند التفسير ويطلق عليها (المباني)^(٢).

فقد لاحظنا أنّ كلمة المباني تطلق على تلك المجموعة من الفرضيات المسبقة والأصول الموضوعية والمعتقدات الدينية والعلمية. وبعبارة أخرى: لا بدّ للمفسر أن يبين المبنى الخاص به في خصوص العناصر الأساسية الداخلة في عملية التفسير^(٣). حيث تنطبق على المقصود من تعريف الدكتور الرضائي لمصطلح أصول التفسير، حيث يقول: ويقصد بها المبادئ التصورية والتصديقية للتفسير، والتي لا بدّ للمفسر من أن يطلع عليها، ويختار المبنى الموافق لرأيه قبل الشروع بعملية التفسير^(٤).

(١) شاكر، محمد كاظم، مباني وروشهای تفسیری، ص:

٤٠.

(٢) د. مؤدب، سيد رضا، مباني تفسیر قران، ص ٢٤.

(٣) شاكر، محمد كاظم، مباني وروشهای تفسیری، ص: ٤١

(٤) د. الرضائي اصفهاني محمد عليالرضائي، مباني

وقواعد تفسیر قران، ص ١٧.

وعليه، فمباني التفسير اصطلاح يساوق اصطلاح (أصول التفسير) وهما متساويان ومترادفان، والمقصود [منهما واحد] من الأصول هو المسلّمات والأساس أو الركائز الفكرية للمفسر والتي يديم المفسر ملاحظتها عند التفسير ويطلق عليها (المباني)^(١). هذا ما انتهت إليه قناعتني في البحث.

وكشاهد على تعريف الأصول أو مكمل لرسم تعريف للأصول التفسيرية نشير إلى تعريف الأصول التربوي، أي الأصول التي يبتني عليها علم التربية لكي نستطيع رسم الصورة الكاملة لتعريف اصطلاح (أصول التفسير التربوي)

تعرف الأصول التربوية بأنها: المجموعة المقتننة من الواقعيات الخارجية المتعلقة بعملية التربية والتي تعتمد عليها بقية القضايا التربوية وتؤثر في تمام عناصر النظام التربوي. وهذه المجموعة مأخوذة من دراسات العلوم الأخرى ونتائج أبحاثها المقبولة، فيستخدم منها ما كان ذا علاقة وتأثير في تقدم عملية التربية. وتعتبر هذه المباني من مقدمات العلم والمبادئ التصورية له وليست داخلية في مسأله^(٢).
فالأصول: عبارة عن جملٌ خبرية حاكية عن قضية خارجية واقعية تؤثر في عملية

(١) د. مؤدب، سيد رضا، مباني تفسير قران، ص ٢٤.

(٢) د. بناري، علي همت، تعامل الفقه: ص ٧١.

التربية، أو أنّ عملية التربية والنظام التربوي يعتمد عليها ويتأثر بها، والتي على أساسها يتمّ تشخيص (إفعل ولا تفعل) أو أصول التربية وأساليبها.

مثال: أنّ جملة (الإنسان متكوّن من جسم وروح) جملةٌ خبريةٌ حاكية عن مسألة خارجية تتأثر بها عملية التربية، فلو كان الإنسان جسم بلا روح لتغيرت التربية الإسلامية ولتشابهت مع التربية المادية أو الغربية كثيراً؛ لحذف الجانب الروحي ولعدم إعطائه احتياجاته الغريزية. فهذه الجملة تعبر عن مبنى يؤثر على نوع التربية ونظامها.

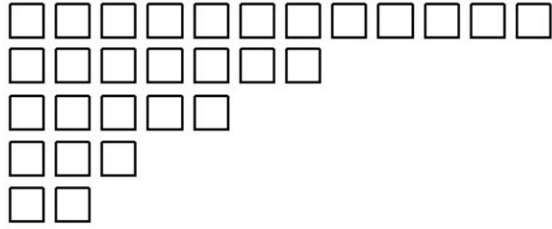
٣ التعريف النهائي:

ومن خلال الدمج بين التعاريف والاشراب بين المفاهيم (الأصول، التفسير، التربية) يمكننا الخلوص إلى التعريف التالي لأصول التفسير:

الأصول التفسيرية: هي القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله، فلا تبحث فيه وإنّما تُحدد قبل شروع المفسّر في عملية التفسير، وقد تأخذ من العلوم الإنسانية الأخرى. وقد يكون التفسير محالاً بدونها

أحياناً، وقد يُعبّر عنها بالفرضيات الثابتة قبل عملية التفسير^(١).
ومن خلال الدمج بين التعاريف والإشراط بين المفاهيم (الأصول التفسيرية، التربوية) يمكننا الخلوص إلى التعريف التالي لأصول التفسير:
أصول التفسير التربوي: هي القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير التربوي وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر التربوي، بل ويعتمد عليها في تفسيره التربوي، وهي من مقدمات للتفسير.

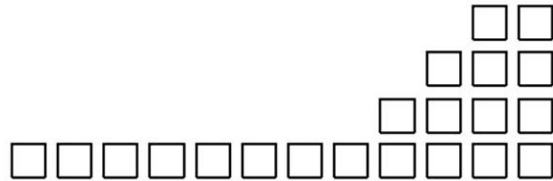
(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص ٢٢.



الفصل الثاني

الأصول العامة في التفسير التربوي

(التي تدخل في جميع اتجاهات التفسير)



الفصل الثاني : الأصول العامة في التفسير التربوي

المقدمة

نحاول أن نقدم للفصل الثاني بما يناسب أن يمهد لمباحثه الطريق، فارتأينا أن تكون المقدمة عبارة عن: تمهيد، وبيان الأهداف المتوخاة من هذا الفصل وبيان للمنهج التطبيقي في بحث الأصول العامة.

تمهيد

نريد في هذا الفصل أن نتطرق إلى ذكر وتعداد الأصول التي يبتني عليها التفسير بطابعه العام، لأن التفسير التربوي لا يتجزأ عن التفسير العام للقرآن الكريم، بل هو مرحلة تأتي بعد البيان الأولي للقرآن الكريم، ثم يتخصص التفسير فيكون تفسيراً ذا اتجاه تربوي.

فالتفسير التربوي يحتاج إلى أصول خاصة متأخرة مرحلياً عن البيان أو التفسير

العام الأولي للقرآن الكريم كذلك يحتاج إلى أصول يبتنى عليها، إذ أن فالأصول العامة للتفسير هي في الحقيقة جزء من الأصول التي يتأسس عليها التفسير التربوي، ولا يمكن الوصول إلى التفسير التربوي إلا بعد طي شوط مهم وهو الكشف عن مداليل القرآن الكريم بشكله العام من خلال بيان المفردات، أو التفاعل بين الآيات مطلقها ومقيدها وعامها ومخصصها. وبعبارة أخرى: أن التفسير التخصصي لا يمكن أن يولد إلا في أحضان التفسير التقليدي، الترتيبي منه أو الموضوعي، والتفسير التخصصي مرحلة متطورة عن الأصل وهو هنا التفسير بشكله العام أو البسيط إن صحّ التعبير. فلا بد من القول بأنّ الأصول التي يبتنى عليها التفسير العام وغير التخصصي هو - بنفس الوقت - أصول يقوم عليها التفسير التخصصي، ولا يمكن أن يؤسس التفسير التربوي بدون الأصول العامة للتفسير، فالأصول العامة للتفسير هي في الحقيقة أصول للتفسير التربوي، ومقدمة له أساس يقوم عليها وتحدد مجاله العلمي ودائرته المعرفية.

أهداف الفصل الثاني

إنّ الهدف الأصلي من هذا الفصل هو: تعداد الأصول العامة للتفسير والتي يبتنى عليها التفسير التربوي. وأما الأهداف الفرعية فهي:

١. شرح وبيان تلك الأصول ومفاهيمها.
٢. عرض الأدلة المؤدية إليها.

٣. ذكر نماذج تطبيقية من التفسير لتلك الأصول وأثرها فيه.

الفرق بين الأصول العامة والأصول الخاصة

١. من حيث الضرورة، نجد أنّ الأصول العامة ضرورية في كل أصل التفسير، أمّا الأصول الخاصة فتدرج في التفسير التخصصي، أي في موضوع التفسير العلمي، أو التفسير التربوي كما في دراستنا.

٢. من حيث الاستخدام والتطبيق، نجد أنّ الأصول العامة تستخدم في أصل التفسير، أي التفسير التقليدي. أمّا الأصول الخاصة فتستخدم في التفسير التخصصي، أي في موضوع التفسير العلمي، أو التفسير التربوي كما في دراستنا.

٣. من حيث الأدلة والنشأة: نجد أنّ الأصول العامة تنشأ وتستقي من عدّة جهات وعلوم كالفلسفة والكلام وغيرها، بخلاف مصدر الأصول الخاصة، حيث تنبع من جهة العلم الذي يراد التفسير على ضوئه، ففي التفسير التربوي مثلاً نجد أنها تصدر من الأمور والقضايا المتعلقة بعلم التربية.

٤. من حيث الطابع العام: نجد أنّ الأصول العامة متنوعة فمنها العلمي ومنها الديني ومنها الفلسفي، بخلاف الخاصة عادةً ما تكون ذات طابع تخصصي، أي تصبّ في جانب واحد كعلم التربية كما هو في موضوع هذا البحث.

٥. من المفسّر الذي يتعامل مع الأصول: ففي التفسير العام – غير التخصصي – يمكن للمفسر التقليدي أن يكتشف ويستخدم

الأصول العامة، بخلاف الأصول الخاصة فلا يكتشفها أو يستنبطها إلا المفسر المتخصص بذلك العلم.

٦. من حيث الكتب والتأليفات: لأنّ البحث في الأصول العامة للتفسير أقدم من البحث في الأصول الخاصة للتفسير التربوي أو التفسير التخصصي، نجد أنّ هناك كتباً وأبحاثاً كثيرة تتكلم حول الأصول العامة^(١)، بخلاف الأصول الخاصة للتفسير، فلم نر لها تدوينات كما هو الحال للأصول العامة.

المشتركات بين الأصول العامة والخاصة

١. لا تكون الأصول العامة بوحدها كافية لانتاج تفسير تخصصي وكذلك الأصول الخاصة، بل لابدّ من التعاون والاجتماع بينهما.
٢. كلاهما من أركان ودعائم التفسير التخصصي وبدونهما لا يقوم التفسير التخصصي أصلاً، وكلاهما موجّهان ومحددان ومقيمان للتفسير التخصصي كالتفسير التربوي.
٣. كلا النوعين من الأصول يبحثنان ويستنبطان خارجاً عن علم التفسير؛ لأنّهما من مقدماته.

(١) مثل كتاب التيسير إلى أصول التفسير لعماد علي عبدالسميع، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ومباني وقواعد تفسير قران للدكتور محمد عليالرضائي اصفهاني، ومباني تفسير قران للدكتور سيد رضا مؤدب، وغيرها.

المنهج في نظم الأصول وترتيبها

أولاً: منهج التفتيش والاستقراء

الاستقراء والتفتيش عن كل ما ينطبق عليه تعريف (أصول التفسير التربوي). والقصد من ذلك، أننا نفتش عن كل أصل في مظانه، وبين طيات المعارف سواء كانت دينية أم عقلية فلسفية أم علمية. فنبحث عن كل ما من شأنه أن يكون أصلاً للتفسير التربوي، بحيث ينطبق عليه التعريف، ويمكن أن يكون أساساً يبني عليه التفسير التربوي، فيؤثر في العملية التفسيرية بحيث يحدد دائرتها فلا تخرج عنه، ويقوم انحرافها لكي لا تقع في الخطأ، وهذا المنهج لا يختلف عن باقي المناهج في البحث العلمي السائد، سواء في اكتشاف الادوية أم العلاجات أم غيرها من الحلول في العلوم التجريبية، إذ إن الباحث هناك يفتش ويجرب العديد من الاحتمالات ويتوغل في طيات المعارف والفنون لكي يجد ضالته، ونحن أيضاً سنعمد إلى هذا المنهج من خلال البحث والتنقيب والتفتيش في البدوات المعرفية، سواء في علم التربية أم علوم القرآن أم علم الكلام أم الفلسفة. وقد يُشكل على المنهج بأنه يؤدي إلى الاستقراء الناقص ولا يعطي النتيجة الكاملة، فلا يصلح لتقديم الجواب النهائي للسؤال الأصلي للرسالة؟ لكن الجواب عليه: هو أننا لا يمكن أن نجد سبيل في التطور العلمي إذا تركنا

هذا المنهج خوفاً من هذا الإشكال، بل لا بد أن يستمر البحث لكي نصل إلى النتائج النهائية أو القريبة من النهائية.

كما أنّ الأصول التفسيرية هي أصول فهم القرآن بصورة عامة، أي أنّها أسس وضعت للتفسير والفهم الصحيح بشكل عام، سواء كان من جهة اقتصادية أم سياسية أم تربوية أم غيرها، فهي المقدمة على الأصول التربوية وهي الأساس في الفهم التربوي للقرآن الكريم.

ونحن نريد أن نهيئ مقدمة تفسير القرآن بنظرة تربوية - من خلال الأصول التربوية - قائمة على الأصول العامة للتفسير القرآني.

فلو تعارض أحد أصول التربية مع أحد أصول التفسير، فنحن نقدّم الثاني لعموم حجّيته ولعموم مكانته في الفهم الصحيح العام للقرآن.

وهذا يستدعي الاستكشاف لأصول التفسير التربوي أولاً، والانطلاق منها إلى داخل المتن القرآني العظيم والتوغل فيه لفهمه بالكيفية التربوية، أو قل من حيثية تربوية، أو من جهة التربية.

ثانياً: المنهج في ترتيب ونظم الأصول في هذه الدراسة

لقد قمنا بتقسيم الأصول وتصنيفها إلى ثلاث مجموعات أساسية في هذه الدراسة، وذلك لإعطاء الصبغة المنطقية لنظم الرسالة وكتابتها، وهذه المجموعات الثلاث هي عبارة عن الفصول الثلاث التي حوت

جميع ما توصلنا إليه من جمع لأصول التفسير التربوي.

فكانت المجاميع كالتالي:

المجموعة الأولى: الأصول العامة للتفسير والتي تدخل في جميع اتجاهات التفسير، ومنها التفسير التربوي، وبالتالي فهي أصول عامة تنفع في التفسير التربوي.

المجموعة الثانية: أصول التفسير العلمية والتي تدخل في الاتجاهات العلمية للتفسير، ومنها التفسير التربوي، فهو ليس أصولاً عامة لكل اتجاهات التفسير مطلقاً، بل ما هو علمي منها، أي ما يقوم على أساس العلوم التجريبية، ومنها علم التربية.

المجموعة الثالثة: الأصول الخاصة للتفسير والتي تدخل في اتجاه التفسير التربوي، والتي يمكن أن يقال إنها خاصة باتجاه التفسير التربوي.

وكان التقديم والتأخير فيما بين هذه المجاميع الثلاث هو السير من الأعم من أصول التفسير التربوي إلى العام، ثم الخاص ثم الأخص منها.

وأما التقديم والتأخير فيما بين الأصول في داخل كل مجموعة أو فصل من الفصول فهو قائم على التسلسل المنطقي الترتبي في الوجود والأولوية التواجدية بينها، وأما إذا تساوت في ذلك قدمنا ما كان أولى منها من غيرها من الأصول. فمثال الترتب الوجودي الأعلان الأول والثاني من الأصول العامة: (القرآن هو

وحي إلهي) وهو الأصل الأوّل و(القرآن غير قابل للتحريف) وهو الأصل الثاني، فلا بدّ من القبول أولاً بأنّ القرآن من وحي الله لكي ننتقل بالبحث إلى هل القرآن قابل للتحريف أولاً؟

فالعلاقة بينها علاقة ترتيبية، أي أنّ الأصل الثاني مترتب على الأصل الأوّل، ولولا وجود الأصل الأوّل لما وجد الأصل الثاني وتمّ أو صحّ عقلياً البحث به.

(ظواهر القرآن حجة) وهو الأصل السادس و(توجد القراءة الصحيحة للقرآن) وهو الأصل السابع، فلا بدّ من القبول أولاً بأنّ ظواهر القرآن حجة لكي ننتقل بالبحث إلى أنه هل توجد القراءة الصحيحة للقرآن؟ فالعلاقة بينها علاقة ترتيبية، أي أنّ الأصل السابع مترتب على الأصل السادس، ولولا وجود الأصل الأوّل لما وجد الأصل الثاني وتمّ أو صحّ عقلياً البحث به.

خطوات البحث في كل أصل

وسيكون العمل إن شاء الله تعالى - في تعداد وبيان الأصول العامة للتفسير التي يقوم التفسير التربوي عليها - عبر خطوات بحثية تكمل بعضها البعض لرسم الصورة الأوضح لكل أصل تفسير مدرّس، وهذه الخطوات هي عبارة عن:

١. عنوان الأصل: أي نذكر إسم الأصل فقط.

٢. بيان معناه: أي نبيّن المراد منه وما هو معناه.

٣. الدليل عليه، وفيه:

- أ. عنوان الدليل.
- ب. بيانه.
- ت. وجه الاستدلال.
- ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل.
٤. تطبيقاً لهذا الأصل من خلال التفسير نذكر هنا أمثلة على التفاعل بين الأصول وعملية التفسير، أي نماذج تطبيقية لتأثير الأصول على الاستنباط التفسيري ذكرنا نموذجاً واحداً للاختصار.
٥. محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري.
٦. نموذج للتفسير التربوي من الآية.

الأصل الأول: القرآن هو وحي إلهي

أولاً: المقصود منه

نقصد في ذلك أنّ القرآن وحي من عند الله، أنزله على قلب نبيه -، ولم يتقوله من عنده، ولم يخترعه من ذاته^(١). والآيات بهذا الشأن كثيرة، ناطقة صريحاً بكون القرآن موحى إلى نبيّ الإسلام وحيّاً مباشراً لينذر قومه ومن بلغ كافة^(٢). وبالتالي نريد أن ندفع أيّ توهم بأنّ القرآن من تعليم البشر أو غير ذلك.

ثانياً: الدليل عليه

ومن أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

(١) الاغز، كريم نجيب، إعجاز القرآن في ما تخفيه

الأرحام، المقدمة، ص ٩.

(٢) معرفة، محمد هادي، شبهات وردود حول القرآن،

ص ١٤.

أ. عنوان الدليل: الإعجاز في القرآن الكريم

ب. بيانه:

يمكننا إثبات أنّ القرآن الكريم نازل من الله تبارك وتعالى عن طريق تحدي القرآن لجميع العرب وجميع البشر وعجزهم عن مجاراته، فإذا ثبت أنّ الخلق لم يستطع ولا يستطيع ذلك، لابد لنا أن نصدق دعوى النبي الصادق الأمين محمد- في كون القرآن من الله تبارك وتعالى. فلو ثبت أنّ القرآن الكريم من كلام الله تبارك وتعالى فإنّ هذه النتيجة تؤثر على سير عملية التفسير التربوي للقرآن الكريم ونتائجها والعكس بالعكس.

ت. وجه الاستدلال

الإعجاز هو دليل صدق نبوة النبي، ودليل كون القرآن من الله معاً إذا كان العصر - مثل عصرنا - عصر معرفة وعلوم وتكنولوجيا واكتشافات في الفضاء والذرة والحياة^(١). فإنّ المعجزة هي دليل صدق الأنبياء على دعواهم، ولقد كان القرآن ولا يزال هو المعجزة المثبتة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلّم^(٢).

(١) الموصلي، سامي احمد، الأعجاز العلمي في القرآن، ص١٢.

(٢) الموصلي، سامي احمد، الأعجاز العلمي في القرآن، ص٤٢.

ولقد تحدّى القرآن ولا يزال يتحدّى
الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن، فاقراً معنا:

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾^(١).

فعجز الإنس والجنّ في ذلك العصر- عصر
الفصاحة والبلاغة- وفي كلِّ عصر عن أن
يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً،
دليل على أن القرآن ليس من إنشاء بشر،
وإنما هو من خالق الكون واليُسر.

٢- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله أن كنتم صادقين* فالئم
يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾^(٢).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَ أَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾^(٣).

فهو تعالى يقول لنبيّه: قل لهم: أن
كنتم تزعمون أن القرآن من إنشائي فأتوا
أنتم بعشر سور، بل بسورة من مثله، إذ
لو كنت قادراً على الإتيان بالقرآن الذي
هو قمة في الفصاحة والبلاغة وسائر
المعارف وله هذا النظم الخاص، فأنتم

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) هود: ١٣ و ١٤.

(٣) البقرة، ٢٣.

أولى بأن تأتوا بمثله لأنني منكم ونشأت بينكم أمياً لم أدرس ولم أتعلّم عند أحد، فعجزكم عن ذلك وأنتم فصحاء العرب لهو أقوى دليل على أنه من الله جلّ ذكره. و خلاصة القول: أن إعجاز القرآن من الأمور التي لا يرقى إليها الشك، ولا يتطرّق إليه الخلاف^(١).

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل

نرى أنّ (القرآن هو وحي إلهي) تنطبق عليه مناهج أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيّات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(٢).

فهي:

١. (القرآن هو وحي إلهي) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو (أنّ القرآن من كلام الله تبارك وتعالى).

(١) مير محمدي زرندي، ابو الفضل، بحوث في تاريخ

القرآن وعلومه، ص ٨٤.

(٢) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

الفصل الاول.

٣. تعتبر هي الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيح، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.

٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرّض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين:

الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا.

الثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي، وأنّ التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ (١).

(١) سورة الإنسان (٢٣-٢٤).

٢: التفسير:

لقد أشارت الآية الكريمة إلى نزول القرآن من الله تبارك وتعالى ثم بدأت بالأوامر التربوية، ومن هنا نجد اتجاه التفسير التربوي حاضراً، حيث يأمر النبي بأمور خمسة: أولها: الدعوة إلى الصبر والإستقامة فيقول: (فاصبر لحكم ربك).

أي لا تخف من المشاكل ومن موانع الطريق وكثرة الأعداء وعنادهم واستقم في سيرك على الصراط المستقيم. والجدير بالإنابة أن الأمر بالصبر (مع ملاحظة (فاء التفريع) في (فاصبر) متفرع على نزول القرآن من الله تعالى، أي إذا كان الله قد أيّدك وحماك فيجب عليك أن تصبر في هذا الطريق، والتعبير بـ (الرب) إشارة لطيفة أخرى إلى نفس هذا المعنى.

والأمر الثاني الموجّه للنبي: هو تحذيره من أي توافق مع المنحرفين، فيقول تعالى: (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) (١) (٢).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري:

ومن الواضح أنّ هذه الآيات الكريمة إذا لم تكن من الله، أو إذا كان يمكن أن يتطرق لها احتمال أن تكون من غير الله ولو عند

(١) سورة الإنسان: ٢٤.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله

المنزل، ج ١٩، ص: ٢٧٤.

النبي -، عندئذ لا يمكن أن توجد أثرها التربوي في قلب النبي - أو الأمة من خلال تفسيرها، أي لا محفز للنبي على الصبر ولاضمان له من السماء، أو لا يوجد إرشاد ولا توجد تعليمات ربّانية لكي يؤسس النبي عليها شخصية القيادة ويفسر القرآن ليكون هادياً ومنهجاً للأمة الجديدة.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية:

من خلال ملاحظة الآية المباركة ﴿فَاصْبِرْ﴾، يظهر لنا بوضوح استخدام أسلوب الصبر، والصبر من الطرق التربوية التي يمكن من خلالها إرشاد المتربي والأخذ بيده من قبل المربي، والاستئذان أسلوب لكبح بعض السلوكيات المنقّرة والمبغوضة، وهو في نفس الوقت من أدوات التربية فهو يمنح المتربي الطاقة والتحمل والمرانة على بناء النفس وتقويتها لكي لا تتميع وتنهيار أمام الرغبات أو الغرائز البسيطة.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: فإنّ الصبر وأسلوب المصابرة المستفاد من الآية: عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل الثاني: القرآن غير قابل للتحريف

أولاً: المقصود منه

وأقصد من ذلك أنّ القرآن بعد ما أشرنا إليه في الأصل الأول بأنّه كتاب الله وكلماته تعالى شأنه، فهو الكلام الذي لم تطله يد التحريف أو التغير، بل ولن تستطيع ذلك، وهو نص من الله محفوظ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١).

ومن الجدير بالذكر أن نقول: أنّ القرآن سمي (ذكراً) لأنّه كتاب يذكر دائماً، كتاب ظاهر ومشهور، وحافظ ومحفوظ، فلا يبدّل ولا يحرف، ولا يطمس ولا يخفي على أحد ذكره، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

و القرآن الآن هو هو، كما كان بالأمس أشهر كتاب، مقروءاً، ومكتوباً، ومدروساً، ومطبّقاً، إنّهُ الكتاب الوحيد الذي تسمعه بالصوت الحى فى كل قارات الدنيا؛ وهو

(١) فصلت، ٤٢.

(٢) الحجر، ٩.

الكتاب الوحيد، الأوسع انتشاراً وقراءة؛
 صرف الله قلوب الملايين بحبه وتعاليمه؛
 فهو يقرأ بلسانه العربي، الذي نزل به
 في جميع الأصقاع والبقاع، وبألسنة أهل
 اللغات المختلفة (١).

ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية
 والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على
 فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل: آية الحفظ

لقد ذكر العلماء أدلة متعددة على عدم
 إمكان تحريف القرآن كالضرورة التاريخية
 والتواتر القرآني، والتأمين العام
 لثبات الدين ودوام تأثير شريعة الله في
 الأرض

الوارد في قوله تعالى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ
 لِسَانُكَ لِتَتَّعَجَلَ بِهِ. أَنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ.
 فَإِذَا قُرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ أَنْ عَلَيْنَا
 بَيَانَهُ» (٢) (٣).

وكذلك آية نفي الباطل عن القرآن وهي
 قوله تعالى: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» (٤)،

(١) ابو ليلة، محمد محمد، القرآن الكريم من
 المنظور الاستشراقي، ص ٨٠.

(٢) القيامة، ١٦.

(٣) معرفة، محمد هادي، صيانة القرآن من التحريف،
 ص ٣٥-٣٧.

(٤) فصلت، ٤٢.

وهنا نريد أن نستدل بآية الحفظ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

ب. بيان الدليل:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)

هذه الآية الكريمة ضمنت بقاء القرآن وسلامته عن تطرق الحدثان عبر الأجيال. وهو ضمان إلهي لا يختلف ولا يتخلف وعداً صادقاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٣). وهذا هو مقتضى قاعدة اللطف: «يجب على الله تعالى- وفق حكمته في التكليف- فعل ما يوجب تقريب العباد إلى الطاعة وبعدهم عن المعصية». ولا شك أن القرآن هو عماد الإسلام وسنده الباقي مع بقاء الإسلام، وهو خاتمة الأديان السماوية الباقية مع الخلود. الأمر الذي يستدعي بقاء أساسه ودعامته قويمة مستحكمة لا تتزعزع ولا تنثلم مع عواصف أحداث الزمان. وأجدر به ألا يقع عرضة لتلاعب أهل البدع والأهواء، شأن كلِّ سند وثيق يبقى، ليكون حجة ثابتة مع مرّ الأجيال. وهذا الضمان الإلهي هو أحد جوانب إعجاز هذا الكتاب، حيث بقاءه سليماً على أيدي الناس وبين أظهرهم، وليس في السماء في البيت المعمور في حقائب مخبوءة وراء الستور.

(١) الحجر: ٩.

(٢) الحجر: ٩.

(٣) الرعد ١٣: ٣١.

ليس هذا إعجازاً إنَّما الإعجاز هو حفظه وحراسته في معرض عام وعلى ملأ الأَشهاد. هذا وقد ذكر أهل التفسير- بشأن نزول الآية-: أنه - إنَّما كان يخشى تلاعب أهل الأهواء بالقرآن من بعده، كما فعلوا بكتب الأنبياء السالفين. فنزلت الآية تطمئنه على حفظه وحراسته عن تناوش الأعداء خلوداً مع الأبد، وقرينة السياق أيضاً شاهدة على هذا المعنى^(١).

و الخلاصة: أنَّ هذه الآية ضمان للرسول وعهد من الله على أن يبقى هذا القرآن سليماً ومحفوظاً عن تناوش الأيدي، سلامة دائمة وبقاء مع بقاء الإسلام. مضافاً إلى أن حكمة التكليف تقضي أيضاً بهذا البقاء والسلامة الأبدية^(٢).

فلو ثبت أنَّ القرآن الكريم من كلام الله تبارك وتعالى وهو مصون عن التحريف ومحفوظ عن يد التلاعب، فإنَّ هذه النتيجة تؤثر على سير عملية التفسير التربوي للقرآن الكريم ونتائجها والعكس بالعكس.

ت. وجه الاستدلال:

إنَّ الله تبارك وتعالى ضمن حفظ القرآن بآية الحفظ وعدم تبدُّله أو تحريفه أو التلاعب به وهذا الضمان باق إلى يوم

(١) وقد أشار إليه المحدث النوري، الحسين بن محمد

تقي، في فصل الخطاب، ص ٣٦١.

(٢) ينظر إلى كتاب الشيخ معرفة، محمد هادي، صيانة

القرآن من التحريف، ص ٤١- ٤٣.

القيامة لا يوجد له تخصيص أو أجل، ولا يوجد شيء يقهر الله أو يجبره على نقض وعده لأنه ﴿الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(١)، وهو تعالى لا يخلف وعده لأنه قبيح وهو محال على الله، إذ هو أفضل وأكمل الموجودين ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفْوَاً أَحَدٌ﴾^(٢).

ث. دفع اشكال:

قد يقال إن الدليل الذي استدل به على عدم تحريف القرآن إنما هو من القرآن كذلك^(٣)، فمن يقول إن هذه الآية غير محرّفة؟

والجواب: عليه كما يلي:

١. أن جميع المسلمين والباحثين يجمعون على عدم التحريف بالزيادة، فهي آية محكمة وظهورها بين ومؤدي إلى عدم إمكان التحريف.

٢. أن جميع المسلمين والباحثين لم يشكوا في قرآنية هذه الآية، وهي كذلك بهذا الوجه آية محكمة وظهورها بين ومؤدي إلى عدم إمكان التحريف.

٣. أن الظاهر من آيات التحدي بالقرآن هو أن القرآن الذي وصل إلينا هو كلام الله؛

(١) الأنعام، ٦١.

(٢) الاخلاص، ٤.

(٣) نقله الفخر الرازي، محمد بن عمر، عن القاضي

ابي بكر الباقلاني، التفسير الكبير (مفاتيح

الغيب)، ج ١٩، ص ١٢٤.

لعدم إمكان المجئ بمثله . وهذه الآيات وإن كانت غير قادرة على نفي التحريف بالنقيصة إلا أننا يمكننا الاعتماد عليها بإثبات عدم الزيادة؛ لأنّ التحدي قائم بهذا القرآن، وعليه لا يرد احتمال التحريف لهذه الآية^(١).

ج. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة (القرآن غير قابل للتحريف) تنطبق عليه مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(٢).

فهي:

١. (القرآن غير قابل للتحريف) جملة خبرية.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أنّ القرآن الموجود هو عين كلام الله تبارك وتعالى).

(١) معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن،

ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

الفصل الاوّل.

٣. تعتبر هي الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيح، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه .

٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسائله .

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

أنّ هذا الأصل مؤثر جداً في فهم وتفسير القرآن، لأنّ المفسّر سيكون متأكداً ومطمئناً لهذا النصّ الالهي، فيدقق عند تفسيره في كل كلمة وجملة، إذ ليس هناك احتمال وجود النسخ والتبديل في القرآن^(١)، ونحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنّها تشير إلى التفسير التربوي أو أنّ التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

(١) انظر كتاب د. الرضائي، محمد علي، منطلق تفسير

قرآن ١ (مباني وقواعد)، ص ١٢٧.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
 الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ
 وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ
 طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا
 يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ
 يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى
 الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ
 أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ
 بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا
 مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا
 دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
 اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

٢: التفسير:

نرى أنّ السيد قطب كيف تناول تفسير هذه الآيات الكريمة، فيقول: إنّ الإسلام منهاج حياة كامل فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها. ومن ثمّ يتولى بيان الآداب

اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة وينسق بينها جميعاً، ويتجه بها إلى الله في النهاية. وهذه السورة نموذج من ذلك التنسيق، لقد تضمنت بعض الحدود إلى جانب الاستئذان على البيوت، وإلى جانبها جولة ضخمة في مجالي الوجود، ثم عاد السياق يتحدث عن حسن أدب المسلمين في التحاكم إلى الله ورسوله وسوء أدب المنافقين، إلى جانب وعد الله الحق للمؤمنين بالاستخلاف والأمن والتمكين. وها هو ذا في هذا الدرس يعود إلى آداب الاستئذان في داخل البيوت إلى جانب الاستئذان من مجلس رسول الله - وينظم علاقة الزيارة والطعام بين الأقارب والأصدقاء إلى جانب الأدب الواجب في خطاب الرسول ودعائه... فكلها آداب تأخذ بها الجماعة المسلمة وتنتظم بها علاقاتها. والقرآن يربّيها في مجالات الحياة الكبيرة والصغيرة على السواء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ. ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ. كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

لقد سبقت في السورة أحكام الاستئذان على البيوت، وهنا يبين أحكام الاستئذان في داخل البيوت.

فالخدم من الرقيق، والأطفال المميزون الذين لم يبلغوا الحلم يدخلون بلا استئذان. إلا في ثلاثة أوقات تنكشف فيها العورات عادة، فهم يستأذنون فيها. هذه الأوقات هي: الوقت قبل صلاة الفجر حيث يكون الناس في ثياب النوم عادة، أو أنهم يغيرونها ويلبسون ثياب الخروج. ووقت الظهر عند القيلولة، حيث يخلعون ملابسهم في العادة ويرتدون ثياب النوم للراحة. وبعد صلاة العشاء حين يخلعون ملابسهم كذلك ويرتدون ثياب الليل..

و سماها «عورات» لانكشاف العورات فيها. وفي هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخدم، وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة! وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم- بعد تقدم العلوم النفسية- أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤها. والعليم الخبير يؤدّب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات.

و يخصص هذه الأوقات الثلاثة دون غيرها لأنها مظنة انكشاف العورات، ولا يجعل استئذان الخدم والصغار في كل حين منعا للخرج. فهم كثيرو الدخول والخرج على أهلهم بحكم صغر سنهم أو قيامهم بالخدمة:

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. وبذلك يجمع بين الحرص على

عدم انكشاف العورات، وإزالة الحرج والمشقة لو حتم أن يستأذنوا كما يستأذن الكبار.

فأما حين يدرك الصغار سن البلوغ، فإنهم يدخلون في حكم الأجانب، الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت، حسب النص العام، الذي مضت به آية الاستئذان.

ويعقب على الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ لأن

المقام مقام علم الله بنفوس البشر، وما يصلحها من الآداب ومقام حكمته كذلك في علاج النفوس والقلوب.

ولقد سبق الأمر كذلك بإخفاء زينة النساء منعا لإثارة الفتن والشهوات، فعاد هنا يستثني من النساء القواعد اللواتي فرغت نفوسهن من الرغبة في معاشره الرجال وفرغت أجسامهن من الفتنة المثيرة للشهوات:

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ

يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ - غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ - وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ﴾.

فهؤلاء القواعد لا حرج عليهن أن يخلعن ثيابهن الخارجية، على ألا تنكشف عوراتهن ولا يكشفن عن زينة، وخيرُ لهن أن يبقين كاسيات بثيابهن الخارجية الفضفاضة. وسمي هذا استعفافاً، أي طلباً للعفة وإيثاراً لها، لما بين التبرج والفتنة من صلة وبين التحجب والعفة من صلة.. وذلك حسب نظرية الإسلام في أن خير سبل العفة تقليل فرص الغواية، والحيلولة بين المثيرات وبين النفوس.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. يسمع ويعلم، ويطلع على ما يقوله اللسان، وما

يوسوس في الجنان. والأمر هنا أمر نية وحساسة في الضمير.

ثم يمضي في تنظيم العلاقات والارتباطات بين الأقارب والأصدقاء:

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيْوتِكُمْ، أَوْ بَيْوتِ آبَائِكُمْ، أَوْ بَيْوتِ أُمَّهَاتِكُمْ، أَوْ بَيْوتِ إِخْوَانِكُمْ، أَوْ بَيْوتِ أَخَوَاتِكُمْ، أَوْ بَيْوتِ أَعْمَامِكُمْ، أَوْ بَيْوتِ عَمَّاتِكُمْ، أَوْ بَيْوتِ أَخْوَالِكُمْ، أَوْ بَيْوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْمْ مَفَاتِحَهُ، أَوْ صَدَيْقِكُمْ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً. فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةً طَيِّبَةً. كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

روي أنهم كانوا يأكلون من هذه البيوت المذكورة - دون استئذان - ويستصحبون معهم العمي والعرج والمرضى ليطعموهم.. الفقراء منهم.. فتخرجوا أن يطعموا وتخرج هؤلاء أن يصحبوهم دون دعوة من

أصحاب البيوت أو إذن. ذلك حين نزلت: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ» فقد كانت حساسيتهم مرهفة. فكانوا يحذرون دائماً أن يقعوا فيما نهى الله عنه، ويتحرجون أن يلموا بالمحذور ولو من بعيد.

فأنزل الله هذه الآية، ترفع الحرج عن الأعمى والمريض والأعرج، وعن القريب أن يأكل من بيت قريبة.

وأن يصحب معه أمثال هؤلاء المحاويج. وذلك محمول على أن صاحب البيت لا يكره هذا ولا يتضرر به.

استناداً إلى القواعد العامة في أنه «لا ضرر ولا ضرار» وإلى أنه «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس»^(١).

ولأن الآية آية تشريع، فإننا نلاحظ فيها دقة الأداء اللفظي والترتيب الموضوعي، والصياغة التي لا تدع مجالاً للشك والغموض. كما نلمح فيها ترتيب القرابات. فهي تبدأ ببيوت الأبناء والأزواج ولا تذكرهم.

بل تقول الآية: «مِنْ بِيوتِكُمْ» فيدخل فيها بيت الابن وبيت الزوج، فبيت الابن بيت لأبيه، وبيت الزوج بيت لزوجته، وتليها بيوت الآباء، فبيوت الأمهات. فبيوت الإخوة،

(١) رواه الشافعي واستند إليه في أحد قوليه عن

مكاتبة الرقيق، عن الشاذلي، سيد بن قطب بن

ابراهيم، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٥٣٣.

فبيوت الأخوات. فبيوت الأعمام، فبيوت العمات. فبيوت الأخوال، فبيوت الخالات.. ويضاف إلى هذه القرابات الخازن على مال الرجل فله أن يأكل ممّا يملك مفاتحه بالمعروف ولا يزيد على حاجة طعامه، ويلحق بها بيوت الأصدقاء، ليلحق صلتهم بصلة القرابة، عند عدم التأذي والضرر. فقد يسر الأصدقاء أن يأكل أصدقاؤهم من طعامهم بدون استئذان.

فإذا انتهى من بيان البيوت التي يجوز الأكل منها، بين الحالة التي يجوز عليها الأكل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ فقد كان من عادات بعضهم في الجاهلية ألا يأكل طعاماً على انفراد، فإن لم يجد من يؤاكله ترك الطعام! فرفع الله هذا الحرج المتكلف، وردّ الأمر إلى بساطته بلا تعقيد، وأباح أن يأكلوا أفراداً أو جماعات.

فإذا انتهى من بيان الحالة التي يكون عليها الأكل ذكر آداب دخول البيوت التي يؤكل فيها: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾. وهو تعبير لطيف عن قوة

الرابطة بين المذكورين في الآية، فالذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه، والتحية التي يلقيها عليه هي تحية من عند الله، تحمل ذلك الروح، وتفوح بذلك العطر، وتربط بينهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها..

و هكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم في الصغيرة والكبيرة :
 ﴿كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وتدركون ما في المنهج الإلهي من حكمة ومن تقدير^(١).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لقد أشارت الآيات الكريمة إلى أمور ومطالب تربوية موحاة من الله تبارك وتعالى حيث بدأت بالأوامر والإرشادات التربوية، ومن هنا نجد اتجاه التفسير التربوي حاضراً في تفسير هذه الآيات، حيث نرى أن المنهج المميز للنظام التربوي الإسلامي أو الخصائص العامة للتربية الإسلامية هي الخلود وعدم التغيير^(٢) وهذا ما يتطلب دستوراً وكتاباً تربوياً غير متغير ولا يقبل التحريف أو التبديل وهو ما ينبثق على القرآن الكريم.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

من خلال ملاحظة الآية المباركة ﴿لَيْسَ آذَانُكُمْ﴾، يظهر لنا بوضوح استخدام أسلوب الاستئذان، والاستئذان من الطرق التربوية التي يمكن من خلالها إرشاد المتربي

(١) الشاذلي، سيد بن قطب بن ابراهيم ، فى ظلال القرآن، ج٤، ص٢٥٣٢- ص٢٥٣٥.

(٢) انظر، الحسني، سيد نذير، مجلة (قران وعلم)، مقالة (خصائص المنهج التربوي فى القرآن)، العدد ٣، ص١٥٤.

والأخذ بيده من قبل المربي، والاستئذان أسلوب لكبح بعض السلوكيات المنفرة والمبغوضة، وهو في نفس الوقت من أدوات التضعيف والسيطرة على السلوك غير المطلوب عند المتربي، ففيه من التهذيب للنفس المراقبة لها لكي لا تتجاوز على حريات الآخرين، وفيه التعليم على احترام حقوق وحريات وخلوة الآخرين.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: فإنّ النهي المستفاد من الآية عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل الثالث: القرآن كتاب حكيم

أولاً: المقصود منه

١. في اللغة:

الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحُكْم، وهو المنع من الظلم. وسُمِّيَتْ حَكْمَةُ الدَابَّةِ لأنها تمنعُها، يقال: حَكَمْتُ الدَابَّةَ وأَحَكَمْتُهَا^(١)، والحَكْمَةُ: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال: لِمَنْ يُحَسِّنُ دَقَائِقَ الصِّنَاعَاتِ وَيُتَقِنُهَا حَكِيمٌ^(٢).

٢. المقصود من هذا البحث:

أنّ القرآن بعد ما أشرنا إليه في الأصل الأول بأنه كتاب الله وكلماته تعالى شأنه، فهو كتاب حكيم ومن مظاهر حكمة القرآن عبارة عن: الانسجام الداخلي للقرآن أي عدم الاختلاف: فقد أشارت بعض الآيات أنه لا يوجد اختلاف في هذا الكتاب الإلهي.

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا مقاييس اللغة، مادة (حكم).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حكم).

معقولية القرآن: اتصاف القرآن بالحكمة يستلزم معقولية القرآن؛ لأن الحكيم لا يتكلم خلافاً للعقل، بل إن أفعال الحكيم قائمة على أساس العقل. هدفية وهداية القرآن: في آيات عديدة أشار القرآن الكريم إلى أهدافه وصرح بأن أهم هدف له هو هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور^(١) ^(٢).

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لابد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل للآيات القرآنية

وهي مجموعة من الآيات التي تدل على حكمة القرآن وهي كما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ

اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣).

٢. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ﴾^(٤).

(١) راجع: البقرة: ٢، الاعراف، ٢٠٣، يونس: ٥٧.

(٢) انظر كتاب د. الرضائي، محمد علي، منطلق تفسير

قرآن ١ (مباني وقواعد)، ص ١٢٧-١٣١.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) البقرة، ٢٤٢.

٣. قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١).

ب. بيانه:

يمكننا إثبات أن القرآن الكريم كتاب حكيم عن طريق. انسجامه الداخلي وعدم التعارض بين آياته، وكذلك من خلال إثبات أنه كتاب ذو طابع عقلائي وعقلي، أي يدعو إلى التعقل والتفكر والتدبر، كما أنه كتاب هادف، أي يخطط لتحقيق اهداف تربوية معينة ويهدف إلى إلاب تكون الحياة عبثية، بل محددة المسار نحو الهداية والكمال والسعادة، وهذه النتيجة تؤثر على سير عملية التفسير التربوي للقرآن الكريم ونتائجها والعكس بالعكس.

وخير شاهد على ذلك هو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ

فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (٢).

هو وصف للقرآن الكريم، وأنه مودع في أم الكتاب عند الله، وحسبه بهذا علواً وشرفاً، وأنه على في ذاته، حكيم في أحكامه، ومن شأن من يتصل به أن يستعلي بإنسانيته عن مستوى أهل الجهالة والضلال، وأن يتزي بزى الحكمة، التي هي العقل المتحرر من الأوهام والخرافات، المستنير بنور العلم والمعرفة.

(١) إبراهيم: ١.

(٢) الزخرف، ٤.

و قد وصف القرآن الكريم هنا بصفتين من صفات الله سبحانه وتعالى، هما، العليّ والحكيم.. لأنّ القرآن كلام الله. فكل ما لله سبحانه وتعالى من صفات الكمال، هو لكل صفة من صفاته. هذا هو القرآن الذي يدعى العرب إلى تعقله، وتدبره، والحياة معه بعقولهم وقلوبهم. فما ذا كان منهم إزاء هذه الدعوة؟ لقد تلبّثوا كثيراً، ووقفوا طويلاً على حال من التردد بين الإقدام والإحجام، حتى إذا تبخرت سحب الضلال المتكاثفة حولهم، تحت أشعة هذه الشمس الطالعة في سمائهم - صحوا صحوة مشرقة، اهتزت لها أنفسهم من أقطارها، فاندفعوا وراء راية القرآن، اندفاع السيل الهادر، وقد اكتسح بقوته ما بين يديه من حواجز ومعوقات^(١). ولأنّ القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرّقاً بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف؛ لأنّه من عند الله تنزيل من حكيم حميد^(٢).

(١) الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، ج١٣، ص: ١٠٦.

(٢) ابن كثير الدمشقي، محمد بن اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص: ٥٨.

ت. وجه الاستدلال:

في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١).

الاختلاف العرفي، قد يكون مثل العام والخاص، المطلق والمقيد... التي توجد في أي نص.

فإذاً المقصود بعدم الاختلاف هو عدم التناقض والتضاد في آيات القرآن. وعدم الاختلاف من ملازمات المتن الحكيم وحكمة المتكلم؛ لأن الحكيم لا ينطق بكلام متناقض ومتضاد، حيث إن عدم الانسجام في الحديث قبيح وخلاف الحكمة، وبما أن الصفات الإلهية جزء ذاته، فإن الله سبحانه لا يقوم بعمل خلاف الحكمة.

وفي النتيجة؛ فإن القرآن كلام متناسق ومنسجم بانسجام داخلي دون أي اختلاف. وهذا الأمر يتضح أكثر بمراجعة الآيات. وأن الانسجام الداخلي للقرآن وعدم اختلافه، أمر مؤثر في تفسير الآيات، لأنه لو كان فرض المفسر أن القرآن كلام حكيم ومنسجم دون اختلاف، وأن القرآن كله مترابط فيما بينه وأن الآيات شاهد على بعضها البعض، وتفسر بعضها البعض.

وفي الموارد التي يبرز فيها توهم تناقض بين الآيات فهو لا يتهم المتن، بل يبحث عن طرق رفع الاختلاف، أو يعيد النظر في فهمه وتفسيره للقرآن، لأن التفسير

الذي يقتضي التناقض الداخلي في القرآن يكون فاقداً للاعتبار؛ لأنه يخالف صفة حكمة المتن (١).

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ (القرآن كتاب حكيم) تنطبق عليه مناهج أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله (٢).
فهي:

١. (القرآن كتاب حكيم) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو (ليس كتاباً عبيثاً أو عشوائياً أو غير عقلاني أو ممّا فيه من التناقضات والخرافات نعوذ بالله).
٣. وتعتبر هي الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إنّ الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيح، وإلاّ فلا داعي لهذا الاهتمام

(١) انظر كتاب د. الرضائي، منطق تفسير قرآن ١ (مباني وقواعد)، ص ١٢٧ - ١٣١.

(٢) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في الفصل الأول.

الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه .
٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله .

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي، أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على اتجاه التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾^(١).

٢: التفسير:

نهى عن مداراتهم في أمر الدعوة ولين الجانب في التبليغ والمسامحة في الإنذار، كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في النهي والتنفير عن المنهي عنه بنظمها في سلكها وتصويره بصورتها وحمل غير واحد النهي على التهيج والإلهاب، من حيث إنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطعمهم حتى ينهى وجعله بعضهم من باب إياك أعني وأسمعي ياجاره فلا

(١) الاحزاب، ٤٨ .

تغفل^(١).

وهذا التفسير قائم على أن القرآن كتاب حكيم وإلاّ لتغيرت نتائج التفسير

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لو لم نعتمد على هذا الأصل التفسيري وهو أن القرآن كتاب حكيم ولا تناقض فيه وأنه صرح بعصمة النبي الكريم - في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * أَن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢)، لكانت النتيجة التفسيرية هي أن الخطاب موجه إلى النبي - نعوذ بالله، ونحن نعلم أن النبي لم ولا يطع الكافرين وهو معصوم وبهذه القرائن مع قرينة أن القرآن كتاب خال من التناقضات والاختلاف نصل إلى أن الخطاب كان موجه إلى غير النبي - كالأمة.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

من خلال ملاحظة الآية المباركة ﴿وَلَا تَطْعَمُ

الكافرين والمنافقين﴾^(٣)، يظهر لنا بوضوح استخدام أسلوب النهي، والنهي من الطرق التربوية التي يمكن من خلالها إرشاد المتربّي والأخذ بيده من قبل المربّي، والنهي أسلوب لكبح بعض السلوكيات المنفرة والمبغوضة، وهو في نفس الوقت من أدوات

(١) الآلوسي، السيد محمود، روح المعاني، ج ١١، ص ٢٢٤.

(٢) النجم، ١-٤.

(٣) الاحزاب، ٤٨.

التضعيف والسيطرة على السلوك غير المطلوب عند المتربّي. وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد. وبعبارة أخرى: فإنّ النهي المستفاد من الآية عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل الرابع:

نظم كلمات وآيات القرآن الكريم نظم إلهي منسجم

أولاً: المقصود منه

من المعلوم أنّ القرآن الكريم متكون من مفردات ومن آيات وبالتالي من سور. والسؤال الذي يمكن أن يتسرب إلى الكثير هو: هل أنّ ترتيب الكلمات وترتيب الآيات وترتيب السور كان من الله، أو من رسول الله، أو من الناس؟

فالذي نقصده هو: هل أنّ النظم الداخلي للقرآن من كلمات أو آيات أو سور منسجم لا إرباك أو خلل فيه، أو لا؟ وهل هو من الله ورسوله أو لا؟

والمتحصل أنّ ترتيب الكلمات والآيات من الشارع وهو توقيفي وليس الامر كذلك بالنسبة إلى السور.

ثانياً: الدليل عليه

ومن أجل اكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لابدّ أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل:

الشهرة المقاربة لإجماع والنصوص

إنّ الدليل على نظم الكلمات والآيات القرآنية غير ما جاء في النصوص هو ما اشتهر كثيراً بين المتخصصين بشأن القرآن تلك الشهرة التي قال عنها كبار علماء القرآن: إنّها الاجماع^(١).

ب. بيانه:

١. أمّا الإجماع: فنقله غير واحد، منهم الزركشي في (البرهان)، وأبو جعفر بن الزبير في (مناسباته) وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه - وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين^(٢)، فقد اتفقت كلمة الأمة في جميع أدوار التاريخ على أن النظم الموجود والأسلوب القائم في جمل وتراكيب الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السماوي لا غيره. الأمر الذي التزمت به جميع الطوائف الإسلامية، على مختلف نزعاتهم وآرائهم في سائر المواضع. ومن ثمّ لم يتردّد أحد من علماء الأدب والبيان في آية قرآنية جاءت مخالفة لقواعد رسموها، في أخذ الآية حجة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها إلى ما يلتئم تركيب الآية^(٣).

(١) انظر: السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم

القرآن، ج ١، ص ٢١٥.

(٢) السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن،

ج ١، ص ٢١٥.

(٣) معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن،

ج ١، ص ٢٧٤.

٢- أمّا النصوص: أن نظم الكلمات والجمل والتعابير، كلّها كانت بفعله تعالى، لم يحدث فيها أي تغيير أو تبديل، لا بزيادة ولا بنقص ولا بتغيير موضعي أصلاً.. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ...﴾^(١).

وكذا الحال - من باب المعنى الالتزامي - في قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾، كان القسط الأوفر من إعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع وفي أسلوبه التعبيري الرائع، من تناسب نغمي مرن، وتناسق شعري عجيب، وقد تحدّى القرآن فصحاء العرب وأرباب البيان - بصورة عامة - لو يأتون بمثل هذا القرآن، فلو جوّزنا محالاً إمكان تدخل يد بشرية في نظم القرآن، كان بمعنى إبطال ذاك التحدي الصارخ^(٢).

ت. وجه الاستدلال:

ما نقلناه عن المتخصص بالقرآن هو كلام واضح في نصّه على إثبات الإجماع والنصوص على أنّ الآيات القرآنية رتبت فيما بينها داخل القرآن الكريم بأمر النبي - وهو

(١) معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٧٣.

ما نريد إثباته، لربما هناك من خالف أو لا يرتضي هذا النحو من الإجماع في باب الاستنباط الفقهي - وهو غير ما نحن فيه من بحث في علوم القرآن أو شأن من الشؤون التاريخية للقرآن الكريم - فقد قبلناه على أنه شهرة قريبة من الإجماع. كما لا يخفى أن المفسرين قد اعتمدوا في تفاسيرهم على هذا الأصل وتعاملوا معه تعامل المسلمات، ومنهم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان^(١)

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل

نرى أن جملة (نظم كلمات وآيات القرآن الكريم نظم إلهي منسجم) تنطبق عليها مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(٢).
فهى:

(١) انظر: د. الرضائي، محمد علي، منطلق تفسير

القرآن (١) مباني وقواعد، ص ١٤٩.

(٢) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

الفصل الاول.

١. (نظم كلمات وآيات القرآن الكريم نظم إلهي منسجم.) جملة خبرية.
٢. وتحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن نظم كلمات وآيات القرآن الكريم نظم الهي من الشارع وتوقيفي لم يتصرف به المسلمون باجتهاد).
٣. وتعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيح، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرّض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنه تشير إلى التفسير التربوي، أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١).

(١) الحمد، ٤.

٢: التفسير:

حيث يقول نعمد إلى تفسير كلمة أو مفردة (الدين) في هذه الآية بعد أن نتعرض إلى المعاني التي استخدمت فيها بالقرآن الكريم، حيث إنك بمتابعة هذه المفردة القرآنية ستجد أنها جاءت بمعاني مختلفة في القرآن الكريم وذلك بملاحظة السياق المتكون من نظم الآيات، فمثلاً:

١. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ

كُلِّهِ﴾^(١) هنا بمعنى الشريعة^(٢).

٢. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٣) فهو هنا

بمعنى العبادة والإطاعة^(٤).

٣. ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾^(٥)

فهو هنا بمعنى القانون الجزائي^(٦).

(١) التوبة، ٣٣.

(٢) الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٣) البينة، ٥.

(٤) الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان، ج ١٠، ص ٣٨٩، والكرمي الحويزي، محمد، التفسير لكتاب الله المنير، ج ٧، ص: ٤٦.

(٥) يوسف، ٧٦.

(٦) الحسيني الشيرازي، محمد، تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٣، ص: ٢٣.

٤. «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»^(١) ، بمعنى الجزاء^(٢) ، فإنّها فسرت اعتماداً على ذلك الترتيب والارتباط بين الكلمات الذي أنتج قوة السياق القرآني المؤثرة في تحديد معاني الكلمات^(٣)

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

عندما يعرف الإنسان من خلال التفسير لقوله تعالى: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»^(٤) ، أنّ هناك يوم للمجازاة وهو يوم يحاسب به المرء على كل ما عمل من صغيرة وكبيرة، سواء ظلم نفسه أو غيره، سيكون العلم بهذا اليوم رادعاً للمتربّي عن الظلم ودافعاً له إلى فعل الخير والإحسان في كل صغيرة وكبيرة. كلّ ذلك التفسير متوقف على كون السياق يحدد لنا ذلك المعنى وكون الكلمات التي تقرأها في سورة الحمد هي من نظم الله تبارك وتقدس، وإلا، أي إذا لم نحرز ذلك أو اعتقدنا أنّ هذا النظم من اجتهاد

(١) الحمد، ٤.

(٢) الحسيني الشيرازي، محمد ، تقريب القرآن إلى الأذهان، ج١، ص: ١٠٠، والسبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ج١، ص: ١٧

(٣) انظر: د. الرضائي، محمد علي، منطلق تفسير القرآن (١) مباني وقواعد، ص١٥٠.

(٤) الحمد، ٤.

الإنسان الذي قد يصيب وقد يخطأ، حينما لا يمكن أن يتولد سياق حاكم على الآيات القرآنية في سورة الحمد؛ ولا يمكن تفسير ﴿الدين﴾ بالجزاء؛ لعدم وجود قرينة السياق الصارفة إلى ذلك. فتفسير الآيات هنا متوقف على هذا الأصل.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

نرى أنّ هذه الآية: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١)، تشير إلى أصل من أصول التربية الإسلامية، وهو أنّ جميع المملوكات والموجودات هي ملك لله تعالى على نحو الملكية الحقيقية. فمالكية الله في ذلك اليوم دون شك ليست ملكية اعتبارية، نظير ملكيتنا للأشياء في هذا العالم، ملكيتنا هذه عقد يبرم بموجب تعامل ووثائق، وينفسخ بموجب تعامل آخر ووثائق أخرى، لكن ملكية الله لعالم الكون ملكية حقيقية، تتمثل في ارتباط الموجودات ارتباطاً خاصاً بالله. ولو انقطع هذا الارتباط لحظة لزالَت الموجودات تماماً مثل زوال النور من المصابيح الكهربائية حين ينقطع اتصالها بالمولد الكهربائي. وعبارة أخرى: مالكية الله نتيجة خالقيته وربوبيته، فالذي خلق الموجودات ورعاها وربّاهَا، وأفاض عليها الوجود لحظة بلحظة، هو المالك الحقيقي للموجودات.

(١) الحمد، ٤.

و قد يسأل سائل فيقول: لماذا وصفنا الله بأنه مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ بينما هو مالِكِ الكون كله؟
و الجواب: هو أن الله مالِكِ لعالم الدنيا والآخرة، لكن مالكيته ليوم القيامة أبرز وأظهر، لأن الارتباطات المادية والملكيات الاعتبارية تتلاشى كلها في ذلك اليوم، وحتى الشفاعة لا تتم يومئذ إلاّ بأمر الله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (١) (٢).

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أصل وأساس ومبنى من أصول التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد. وبعبارة أخرى: فإن هذا الكلام عبارة عن أصل من أصول التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) الانفطار، ١٩.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص: ٤٦.

الأصل الخامس: يمكن فهم القرآن وتفسيره

أولاً: المقصود منه:

لابد أن نبيّن المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما
١. في اللغة

أ. الفهم: علم الشيء^(١)، والفرق بين الفهم والعلم: أن الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصّة، ولهذا يقال فلان سيئ الفهم: إذا كان بطيء العلم بمعنى ما يسمع، ولذلك كان الأعجمي لا يفهم كلام العربي^(٢).

ب. الإمكان: استمكن: قدر عليه، وله مكنة، أي قوّة وشدّة. وأمكنته منه مثل مكنته. وأمكنتني الأمر: سهل وتيسر^(٣).

٢. المقصود من هذا البحث:

كما لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس اللغة، مادة (فهم).

(٢) العسكري، ابوهلال، الفروق اللغوية، ص ٤١٤.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح، مادة (مكن).

أ. من الفهم: إدراك معنى ومفاد الآيات ومراد الحق تعالى منها وتفسيرها وبيان معانيها ومقاصدها^(١).

ب. من الإمكان: القدرة على إدراك وبيان معنى الآيات ومراد الحق تعالى منها^(٢).

ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل: العقل

ب. بيانه:

وفيه وجهان:

الوجه الأول: أن خير دليل على الإمكان هو الوقوع.

بيانه: لما كان العرب قد فهموا القرآن وآمن منهم من آمن وردّ عليه من كفر وشكّ فيه من شكّ وحاول أن يجاريه من حاول، يعني ذلك أنهم فهموا القرآن الكريم، أي تحقق وجود الفهم وهو خير دليل على إمكانه.

الوجه الثاني: أي أن العقل ولو وحده يكمن أن يثبت لنا هذا الأصل، ولو من خلال

(١) د. الرضائي، محمد علي، منطق تفسير قران (١) مباني وقواعد تفسير قران، ص ١٣٥.

(٢) د. الرضائي، محمد علي، منطق تفسير قران (١) مباني وقواعد تفسير قران، ص ١٣٥.

التلازم بين صفات الله تعالى وبين القضايا الخارجية، هذا فضلاً عن النقل. فعن طريق اتصاف الله تبارك وتعالى بالحكمة^(١) يمكن نفي كثير من القضايا عن القرآن ومنها كونه غير مفهوم، لأنه سيكون حينذاك فعل غير حكيم، بل وإيهام ونوع من المفسدة وهو محال عليه تعالى^(٢).

ت. وجه الاستدلال:

فمن القوانين العقلية أو القضايا العقلية قضية هي: أن الحكيم لا ينقض غرضه؛ إذ إن الفاعل الحكيم لا يصنع ما يصاد غرضه^(٣)، فعلى الحكيم إلقاء كلامه على وفق غرضه ومرامه^(٤)، والله تبارك وتعالى حكيم؛ لما لهذا الكون من نظم وإتقان في الصنع، وغرضه من إرسال إنزال القرآن الهداية؛ حيث قال تعالى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾^(٥)، وعليه فإن القرآن لا يمكن أن ينزل على قوم لا يمكن

(١) العلامة الحلي - الشيخ السبحاني، كشف المراد في

شرح تجريد الاعتقاد قسم الالهيات، ص ٥٤.

(٢) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر،

الألفين، ص: ٦١.

(٣) السبحاني، جعفر، محاضرات في الالهيات، ج ٨، ص ١.

(٤) الحكيم، محمد سعسد، المحكم في أصول الفقه،

ج ٢، ص ١٠١.

(٥) البقرة، ١٨٥.

لهم فهمه لأنه نقض للغرض؛ فلا يهتدون ولا يمكن أن يأمرهم بالتدبر والتعقل، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١) في أنّ هذا القرآن لا يمكن فهمه أو التعقل والتفكير به. فيستحيل أن يكون القرآن غير مفهوم؛ لأنه يلزم نقض الغرض وخلاف الحكمة.

فلأنه تعالى حكيم ونقض الغرض ينافي الحكمة^(٢). وعلى أقل تقدير فهو أمر عبثي وأن الله تعالى حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً؛ لأنّ العبث قبيح وقد أحاط علمه بقبحه، ولا داعي له إليه لغناه عن كل شيء^(٣).

فيمكننا إثبات أنه يمكن فهم القرآن وتفسيره، فلو ثبت أنّ القرآن الكريم كذلك فإنّ هذه النتيجة تؤثر على سير العملية التفسيرية للقرآن الكريم ونتائجها والعكس بالعكس.

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ عبارة: (يمكن فهم القرآن وتفسيره) تنطبق عليه مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول

(١) يوسف، ٢.

(٢) العلامة الحلي، الألفين، ص ٣٨٧.

(٣) الهندي، السيد رضا، الميزان العادل بين الحق والباطل، الدرس الثامن [استحالة الندم على الله

سبحانه]، ص ٤٥.

التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسائله^(١).

فهي:

١. (يمكن فهم القرآن وتفسيره) جملة خبرية.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن القرآن من كلام الله تبارك وتعالى المفهوم والمفسر).

٣. تعتبر هي الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيح، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.

٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسائله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

ونحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير،

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

تمتاز بجانبين: الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (١) .

٢: التفسير:

أي: فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق، غير عادل عنها (٢)، وفي الآية الكريمة من لحن التشديد ما لا يخفى فلا يحس فيها بشيء من آثار الرحمة وأمارات الملاطفة (٣)، أي أن الآية طلبت الاستقامة القصوى وعدم تعدي حدود الله تبارك وتقدس.

لذا ورد في الحديث: في قوله تعالى: «فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ» الآية قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله - آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول

(١) هود، ١١٢ .

(٢) الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٢، ص ٤٣٣ .

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١١، ص ٥٠ .

الله. شيبتني هود والواقعة، والحديث مشهور، وفي بعض الألفاظ شيبتني هود^(١).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لو أنّ الآية الكريمة لا يمكن فهمها لما تأثر النبي - حزناً وخوفاً ممّا هو في الآية من لحن شديد قريب من التهديد بالتزام الشريعة وعدم تجاوز الوحي والدين، والخطاب وان كان للتأكيد على التزام النبي -^(٢)، أو قد لا يخص النبي - أو يعنيه وإنما هو للأمة خاصة من باب إياك أعني واسمعي يا جارة^(٣)، إلا أنّ النبي الرحيم - تأثر أشدّ ما يكون وكذا تأثر المؤمنون الخلص معه ممّا يدل قطعاً على الفهم، بل والفهم العميق؛ ولذا أوجدت الآية الأثر التربوي في نفس النبي - كما أراد الله له أن يكون فهو ربيب الله تبارك وتقدس، وهكذا جميع آيات الخوف أو الخشية التي وردت في القرآن الكريم، نراها تعكس أثرها التربوي في نفوس

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١١، ص ٦٦، والفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج ١٨، ص ٤٠٦.

(٢) البغدادي، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٢، ص ٥٠٦.

(٣) الثعلبي النيشابوري، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٩٢.

الأولياء كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (١).

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

الاستقامة قاعدة تربوية (٢)، يمكن لها أن تتحقق عبر أساليب تربوية عدة مثل: الصبر والتحمل، أو مثل الصدق، اجتناب الحرام، وغيرها. والاستقامة الأمور بها في الآية مرتبة عليا، تقتضي الإيمان بالغيب كله كما جاء في القرآن الكريم، وعدم التفرق والاختلاف في أسس الدين وأصوله الذي وعد الله صاحبه بالهلاك والعذاب، والاستقامة تقتضي كذلك التزام ما أمر به الكتاب من العبادات والمعاملات (٣)، فهي قاعدة تربوية تتفرع عنها أوامر جزئية تربوية، نحو: اصبر، قل الحق، اتعب، جُع. وغيرها لكي تتحقق الاستقامة العظمى التربوية للنفس المسلمة.

(١) الزمر، ٢٣.

(٢) وقد يعبر عنها باللغة الفارسية بـ (اصل تربيتي): يعني امر ودستور تربوي عام، وليس بجزئي.

(٣) الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ج ٢، ص:

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف قاعدة التربية وهي مبتنية على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: فإنّ هذا الكلام عبارة عن قاعدة من قواعد التربية وتتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل السادس: ظواهر القرآن حجة

أولاً: المقصود منه

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

أ. الظهور: من (ظهر) الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز. من ذلك ظَهَرَ الشيءُ يظهرُ ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز^(١).

ب. الحجة: هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيمة من رد الفرع إلى الأصل وهي مأخوذة من الحجة وهي الطريق المستقيم^(٢). أو كل شيء يصلح أن يحتج به على الغير. وذلك بأن يكون به الظفر على الغير عند الخصومة معه^(٣).

٢. المقصود من هذا البحث

لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس اللغة، مادة (ظهر).

(٢) العسكري، ابوهلال، الفروق اللغوية، ص ٢٣٣.

(٣) المظفر، الشيخ محمد رضا، أصول الفقه، ج ٢، ص ١٢.

أ. الظهور في الاصطلاح: اللفظ المفيد أن لم يحتمل غير معناه فهو النص وهو الراجح المانع عن النقيض، وإن احتمل وكان راجحاً فهو الظاهر^(١).

ب. الحجة في الاصطلاح: الحجة كل شيء يكشف عن شيء آخر ويحكي عنه على وجه يكون مثبتاً له) ونعني بكونه مثبتاً له: أن إثباته يكون بحسب الجعل من الشارع لبحسب ذاته فيكون معني إثباته له حينئذٍ في حق المكلف بعنوان أنه هو الواقع^(٢).

ثانياً: الدليل عليه

ومن أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل بناء العقلاء

ان الدليل على حجية الظاهر منحصر في بناء العقلاء^(٣).

ب. بيانه

من الركائز المهمة جداً في فهم القرآن الكريم وتفسيره حجية ظواهره، وأهم دليل أقيم على ذلك هو: بناء العقلاء؛ لأن العقلاء جرت عاداتهم في محاوراتهم ومكاتباتهم على الاعتماد على ظاهر كلام

(١) القمي، الميرزا ابوالقاسم، قوانين الأصول،

ص ١٦٣.

(٢) المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، ج ٢، ص ١٢.

(٣) المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، ج ٢، ص ١٣٠.

المتكلم في تعيين مراده ومقصوده، ويستدلون بها، ولم يصدر من الشارع ردع ومنع عن تلك السيرة كما لم يأت بطريقتة جديدة بدلاً عنها^(١)، فهي سيرة ممضاة من قبل الشارع فعلياً أن نعمل وفقها.

فيمكننا إثبات أن ظهور القرآن الكريم حجة، ولو ثبت أن ظهور القرآن الكريم حجة، فإن هذه النتيجة تؤثر على سير العملية التفسيرية للقرآن الكريم ونتائجها والعكس بالعكس.

ت. وجه الاستدلال

بما أن الشارع لم يردع عن السيرة العقلائية في الاعتماد على الظهورات في الفهم والتفسير والعمل بها والمؤاخذة على أساسها ومنها تفسير القرآن الكريم في أوامره ونواهيه لمن كان يفهمه، يعني أن الشارع ارتضى هذا النحو من التفاهم والتحاكم العقلائي، فالعمل بالظهور معتمد عند الشارع، وهو المطلوب.

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل

نرى أن جملة: (ظواهر القرآن حجة) تنطبق عليها مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن

(١) انظر: الخرساني، محمد كاظم كفاية الأصول مبحث

حجية الظواهر، ج ٣، ص ٤٠٥، الأنصاري، مرتضى،

وفرائد الأصول، ج ١، ص ١٤٠ وما بعدها.

واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. (ظواهر القرآن حجة) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن ظهور وهذا الظهور ملزم وحجة على العاملين به).
٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد عليها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١. الآيات:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾^(١).

٢. التفسير:

حيث يقول العلامة الطباطبائي في تفسيرها: وللمفسرين بحسب اختلافهم في نسبة الأفعال إليه تعالى أقوال في الآية. منها: أن المراد هو التزيين بالأمر والنهي وبيان الحسن والقبح، فالمعنى: كما زيننا لكم أيها المؤمنون أعمالكم زيننا لكل أمة من قبلكم أعمالهم من حسن الدعاء إلى الله وترك سب الأصنام ونهيناهم أن يأتوا من الأفعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق. وفيه أنه مخالف لظهور الآية في العموم، ولا دليل على تخصيصها بما ذكره كما ظهر مما تقدم^(٢) لقد أشار تفسير الآية الكريم إلى وجود ظهور للقرآن وأنه حجة، ثم بدأت بالأوامر التربوية، من حيث بيان الأوامر والنواهي بالأحكام الشرعية، ومن هنا نجد اتجاه التفسير التربوي حاضراً.

(١) الانعام، ١٠٨.

(٢) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، ص: ٣١٧-٣١٨.

٣- محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

ظهر من الآية معنى عام وهو حجة بحسب هذا الأصل التفسيري، وذكر بعض المفسرين معنى لا يتفق تماماً مع الظهور، بل هو أخصّ منه^(١)، لذا فنحن نعمل بالظهور ونلغي ما جاء به بعض المفسرين، وذلك لأنّ الظهور القرآني حجة بخلاف كلام المفسرين. وتتغير هذه النتيجة لو لم نعتبر الظهور القرآني حجة.

فإذا كان المفسر يقول بحجية الظواهر فإنّه لا يقتصر في تفسيره على القرائن النقلية وحسب، بل سيلجأ إلى القرائن العقلية أيضاً بغية التوصل إلى فهم الآيات ويشعر بالتفسير الاجتهادي، وبالخصوص في تلك الموارد التي لا توجد فيها رواية، فإنّه لا يقف عندها، بل يقدم على تفسير ظاهر الآية بناءً على حجّة الظواهر^(٢).

٤- نموذج للتفسير التربوي من الآية

يمكننا أن نستنبط من هذه الآية ﴿كَذَلِكَ زِينًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾^(٣) أسلوب التشبيه، أو طريقة التشبيه التي هي إحدى الطرق المهمة في

(١) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، ، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣١٧-٣١٨.

(٢) انظر: د. رضائي، محمد علي، منطق تفسير قران ١

(مباني وقواعد تفسير قران)، ص١٣٤.

(٣) الانعام، ١٠٨.

التعليم والتربية، فقد أشارت الآية بحرف الكاف في مفردة ﴿كَذَلِكَ﴾، والتشبيه أهم أساليب الموعظة التي هي كذلك أداة تربوية مرشدة يعتمدها المرّبون، من الوعاظ وغيرهم.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: فإنّ هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل السابع: وجود القراءة الصحيحة للقرآن

أولاً: المقصود منه

ولابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:
١. في اللغة:

أ. القراءة من القري: وهو (قري): أصل صحيح يدل على جمع واجتماع^(١) والصحيح بمعنى التلاوة، أي الكتاب المقروء كثيراً، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * أَنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(٢).
وقرآنه أي قراءته^(٣).

ب. الصحيح: الحق، وهو خلاف الباطل^(٤)،، والصحيح من الشجر: ما سلم من النقص^(٥).

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة (قري).

(٢) القيامة، ١٦- ١٧- ١٨.

(٣) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج٧، ص٤٧١.

(٤) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، مادة (صح) .

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة
←

٢. القراءة اصطلاحاً

كما لا بدّ أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

أ. القراءة اصطلاحاً: القراءات: العلم بكيفيات أداء كلمات القرآن^(١)، أي كيف تقرأ آيات القرآن الكريم، أي كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما^(٢).

ب. الصحيح من القراءات: يريد أن القراءة الصحيحة هي التي تتوافق مع الأفصحية والثبت القرآني وعدم مخالفتها دليل قطعي^(٣).

ملاك صحّة القراءة:

وبعد، فإذ قد تبين حديث تواتر القرآن، وثبات نصّ الأصل مدى الأجيال، فإنّ ملاك صحّة القراءة هي: موافقة ذاك النصّ المحفوظ لدى عامّة المسلمين. وتتحقّق هذه الموافقة في كلّ قراءة إذا ما توفّرت فيها الشروط التالية:

أولاً: موافقتها مع الثبوت المعروف بين عامّة المسلمين، في مادّة الكلمة وصورتها

⇒

(صح).

(١) عتر، نور الدين، علوم القرآن الكريم، ص ١٤٦.

(٢) الزركشي، محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٦٥.

(٣) انظر: الشيخ معرفة محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٥٤.

وموضعها من النظم القائم، حسب تعاهد المسلمين خلفاً عن سلف. ثانياً: موافقتها مع الأفصح في اللغة والأعم في العربية، ويُعرف ذلك بالمقارنة مع القواعد الثابتة يقيناً من لغة العرب الفصحى.

ثالثاً: إلا يعارضها دليل قطعي، سواء أكان برهاناً عقلياً، أم سُنَّة متواترة، أم رواية صحيحة الإسناد مقبولة عند الأئمة. فإذا اجتمعت في قراءة هذه الشروط جميعاً فإنها هي القراءة المختارة، الجائزة في الصلاة وغيرها، أما الفاقدة لجميعها أو لبعضها فإنها تصبح شاذة، ولا أقل من الشك في ثبوتها قرآناً، فلا تجوز قراءتها في صلاة ولا في غيرها بعنوان أنها قرآن^(١)

ثانياً: الدليل عليه

من أجل اكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل: التاريخ

يمكننا أن نستند إلى تاريخ القراءات أو تاريخ القرآن لمعرفة وجود هذه القراءة الصحيحة للقرآن الكريم.

(١) الشيخ معرفة، محمد هادي، تلخيص التمهيد، ج١،

ب. بيانه:

علم التاريخ من الركائز المهمة التي يمكنها أن تثبت الأشياء والحقائق العلمية، بل والعلمية التخصصية، ونحن إذا طالعنا التاريخ الخاص بالقرآن وعلوم القرآن يمكننا أن نجد ما يثبت لنا هذا الأصل بسهولة، وعليه سنقدم بعض هذه الوثائق.

١. أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت الاختلاف بين القراءات، ص: ٧٦.

٢. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص: ٣٥٤ (مسألة: القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه).

٣. أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠١، (٧ - في أركان القراءة الصحيحة ص: ٤٣).

٤. محمد فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن ٢٠٠٥، ط١، حلب، (مقاييس القراءة الصحيحة، ص ١٣٩).

تقرير بمجموعة من الكتب:

تقرير بمجموعة من الكتب في هذا المجال، والتي نصت مفاد هذا الأصل، فقد ذكر المحقق لكتاب البرهان في علوم القرآن للشيخ الزركشي، عند وصوله لهذا الموضوع في الحاشية ما يلي:

(و من الكتب المؤلفة في هذا النوع - سوى ما ذكره المصنف-: «احتجاج القراءات للمبرّد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، ت ٢٨٥ هـ (الفهرست: ٦٥) «جامع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه» لابن جرير الطبري، محمد بن جعفر. ت ٣١٠ هـ (بروكلمان ٣ / ٥٠) «احتجاج القراءات» لابن السراج، أبي بكر محمد بن السري بن سهل البغدادي، ت ٣١٦ هـ (الفهرست: ٦٨) «الاحتجاج للقراء» لابن درستويه، أبي محمد عبد الله بن جعفر بن محمد، ت ٣٣٠ هـ (الفهرست ٣٨ و ٦٩) «احتجاج - القراءات» لابن مقسم، أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم بن يعقوب، ت ٣٣٢ هـ (الفهرست: ٣٦) «الفصل بين أبي عمرو والكسائي» لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار، ت ٣٤٩ هـ (الفهرست: ٣٥) «السبعة بعلمها الكبير» للنقاش، أبي طاهر، علي بن عبد الواحد ت ٣٥١ هـ (الفهرست: ٨٦) «الحجة» لابن خالويه، الحسين بن أحمد بن محمد، ت ٣٧٠ هـ (الفهرست: ٧٣) (١).

(١) الزركشي، محمد بن عبد الله البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٨٨، النوع الثالث والعشرون معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ.

ت. وجه الاستدلال:

نرى بوضوح ما ورد تاريخياً لإثبات وجود القراءة القرآنية الصحيحة، للقرآن الكريم، وهذا العدد من الكتب والمصادر يدفع بالقارئ إلى القطع بالأمر والاعتماد عليه وجعله من المسلمات والأصول التفسيرية.

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة: (توجد القراءة الصحيحة للقرآن) تنطبق عليها منطقات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. (توجد القراءة الصحيحة للقرآن) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو (وجود القراءة الصحيحة للقرآن).
٣. وتعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إنّ الاعتقاد بها

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلاّ فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.

٤. كما أنّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنّها تشير إلى التفسير التربوي أو أنّ التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(١). وموضع الشاهد قوله تعالى: ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

٢: التفسير:

حيث يقول الشيخ الطوسي: وقرأ نافع وحده (يقتلون) بالتخفيف. الباقون

(١) الاعراف، ١٤١.

بالتشديد. من شدّد أراد التكثر. ومن خفّف، فلأنّه يحتمل القلة والكثرة^(١). فالمبالغة في الآية ناتجة عن القراءة بالتشديد، والقلة في القتل هو المفهوم من القراءة بالتخفيف بدون شدة على التاء.

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لو لم نقل بوجود القراءة صحيحة لما تأتى لنا المعنى الثاني من قلة القتل في بني اسرائيل، ولو عممت قراءات القرآن الصحيحة بأكثر من واحدة، وبخلاف الأصل الذي ثبتناه أعلاه لأصبح التفسير الثاني للآية بقلة القتل حجة والذي هو متوقف على القراءة الثانية والتي هي لنافع (٢).

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

يمكن أن نستنبط من القراءة المشهورة أسلوباً من أساليب التربية، وهي التذكير.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان، ج ٤، ص

٥٣٠، والبغوي، حسين بن مسعود، معالم التنزيل في

تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٨.

(٢) انظر: الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان،

ج ٤، ص ٥٣٠، والبغوي، حسين بن مسعود، معالم

التنزيل في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٨.

من باب التفعيل الدال على المبالغة في الشيء^١، والتذكير بالنعمة أو بالبلاء أسلوب تتم الفائدة منه، إذا كلما كان المذكر به أعظم، وهو ما ينسجم مع القراءة المشهورة للآية أي بالتحديد **﴿يَقْتُلُونَ﴾**، وبالعكس فعلى القراءة الثانية، أو إذا منع وجود القراءات ومنع وجود القراءة الأولى سوف لن نحصل على فائدة التذكير ولن تتحقق طريقته التربوية.

و الكلام بعبارة أخرى: عن أسلوب من أساليب التربية توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) السبزواري، عبدالاعلى، مواهب الرحمن، ج ١١،

الأصل الثامن: التفسير حجة وقد لا يطابق الواقع

أولاً: المقصود منه

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

أ. التفسير في اللغة يدلُّ على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَّرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ، وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِيرَةُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ^(١).

ب. الحجة في اللغة هي: الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيمة من رد الفرع إلى الأصل وهي مأخوذة من الحجة وهي الطريق المستقيم^(٢). أو كل شيء يصلح أن يحتج به على الغير. وذلك بأن يكون به الظفر على الغير عند الخصومة معه^(٣).

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس

اللغة، مادة (فسر).

(٢) العسكري، ابوهلال، الفروق اللغوية، ص ٢٣٣.

(٣) المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، ج ٢، ص ١٢٠.

٢. المقصود من هذا البحث:

كما لا بدّ أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

أ. التفسير في الاصطلاح: عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدي لله تعالى منها، طبق قواعد اللغة العربية وأصول المحاوراة العقلانية^(١).

ب. الحجة في الاصطلاح: الحجة كلّ شيء يكشف عن شيء آخر ويحكي عنه علي وجه يكون مثبتاً له) ونعني بكونه مثبتاً له: أنّ إثباته يكون بحسب الجعل من الشارع لبحسب ذاته فيكون معني إثباته له حينئذ في حق المكلف بعنوان أنّه هو الواقع^(٢).

ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بدّ أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل: بناء وسيرة العقلاء والقرآن الكريم

إنّ الدليل أثبت حجّة التفسير من خلال سيرة العقلاء وتعاملهم الطبيعي واليومي، وكذا من خلال آيات القرآن الكريم.

(١) بابائي، روش شناسي تفسير القرآن، ص ٢٣.

(٢) الشيخ محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج ٢، ص ١٢.

ب. بيانه:

سنحاول أولاً: إثبات الموجبة الجزئية من خلال القرآن الكريم، ثم إثبات الموجبة الكلية من خلال دليل السيرة العقلانية. والبحث كما يلي:

١. القرآن الكريم: قال تبارك وتقدس: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١).

التفسير: لقد جعل الله إلى رسول الله - بيان ما كان منه مجملاً وتفسير ما كان منه مشكلاً وتحقيق ما كان منه محتملاً^(٢)، وأناط القرآن مهمة التبين إلى النبي - كما أوجب طاعته^(٣)، وفي الآية دلالة على حجّية قول النبي - في بيان الآيات القرآنية^(٤).

٢. بناء العقلاء وسيرتهم:

١. تعريف السيرة العقلانية: السيرة العقلانية: عبارة عن ميل عام عند العقلاء المتدينين وغيرهم نحو سلوك معين دون أن يكون للشرع دور إيجابي في تكوين هذا

(١) النحل، ٤٤.

(٢) القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لاحكام

القرآن، المقدمة، ج١، ص ٢.

(٣) انظر: القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لاحكام

القرآن، المقدمة، ج١، ص ٣٧.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير

القرآن، ج١٢، ص ٢٦١.

الميل. ومثال ذلك: الميل العام لدي العقلاء نحو الأخذ بظهور كلام المتكلم^(١).
 ٢. البيان: أَنَّ النَصَّ القرآني وإن كان متواتراً وثابتاً لدينا، إِلَّا أَنَّ كشف المعنى القرآني عن طريق ظهوره ليس كشفاً قطعياً، بل هو كشف ظني، ولا بد من إثبات حجّية هذا الظن من خلال البحوث المتعلقة بـ (حجية الظهور) في علم الأصول^(٢). كما أنّه لا ينبغي الارتياح في أنّ القرآن إنّما أنزل وأتى به النبي - ليفهم الناس معانيه، ويتدبّروا آياته، ويجعلوا أعمالهم مطابقة لأوامره ونواهيه، وعقائدهم موافقة للعقائد الصحيحة التي يدل عليها^(٣).

إنّ الميل الموجود عند العقلاء نحو سلوك معين يعتبر قوة دافعة لهم نحو ممارسة ذلك السلوك، فإذا سكنت الشريعة عن ذلك الميل ولم تردع عن الانسياق معه كشف سكوتها هذا عن رضاها بذلك السلوك وانسجامه مع التشريع الاسلامي.

ومثال ذلك: سكوت الشريعة عن الميل العام عند العقلاء نحو الأخذ بظهور كلام المتكلم وعدم ردعها عنه، فإنّ ذلك يدل

(١) الصدر، محمد باقر، دروس تمهيدية في علم

الأصول (المعالم الجديدة)، ص ١٤١.

(٢) العاملي جعفر مرتضى، دروس في تفسير القرآن

تفسير سورة الفاتحة، ج ٤، ص ١٢.

(٣) الفاضل النكراني، محمد، مدخل التفسير، ص ١٦١.

على أنها تقرّ هذه الطريقة في فهم الكلام وتوافق على اعتبار الظهور حجة وقاعدة لتفسير ألفاظ الكتاب والسنة، وإلاّ لمنعت الشريعة عن الانسياق مع ذلك الميل العام وردعت عنه في نطاقها الشرعي. والاستدلال بالسيرة العقلانية يقوم على أساس تجميع القرائن كما رأينا سابقا في سيرة المتشعبة أيضاً لأننا إذا حللنا السيرة العقلانية إلى مفرداتها وجدنا أنّ الميل العام عند العقلاء نحو سلوك معين كالأخذ بالظهور مثلاً يعبر عن ميول متشابهة عند عدد كثير من الأفراد تشكل بمجموعها ميلاً عاماً، وحين نأخذ فرداً من أولئك الأفراد الذين يميلون إلى الأخذ بالظهور مثلاً ونلاحظ؟ سكوت المولى عنه وعدم ردعه له عن الجري وفق ميله، يمكننا أن نعتبر سكوت المولى هذه قرينة ناقصة على حجّية الظهور عند المولى، لأنّ من المحتمل أن يكون هذا السكوت نتيجة لرضا المولى وموافقته، وهذا يعني الحجّية. ومن المحتمل في نفس الوقت أيضاً إلاّ يكون السكوت ناتجاً عن رضا المولى بالأخذ بالظهور وإنّما سكت عن ذلك الفرد بالرغم من أنّه لا يقرّ العمل بالظهور بالأدلة الشرعية لسبب خاص، نظير أن يكون المولى قد اطلع على أنّ هذا الفرد لا يرتدع عن العمل على وفق ميله ولو ردعه فتركه وشأنه، أو أنّ المولى قد اطلع على أنّ هذا الفرد سوف لن يجري على وفق ميله ولن يأخذ بالظهور في الدليل الشرعي دون سؤال من الشارع، أو أنّ هذا الفرد لن

يصادفه ظهور في النطاق الشرعي ليحاول الأخذ به وفقاً لميله.. إلى غير ذلك من الأمور التي يمكن أن تفسر سكوت المولى عن ذلك الفرد وتجعل منه قرينة ناقصة لا كاملة على رضا المولى، ولكن إذا أضيف إلى ذلك فرد آخر له نفس الميل وسكت عنه المولى فيقوى احتمال الرضا لاجتماع قرينتين، وهكذا يكبر هذا الاحتمال حتى يؤدي إلى العلم حين يوجد ميل عام ويسكت عنه المولى^(١).

ت. وجه الاستدلال:

١. وجه الاستدلال بالقرآن الكريم:
الآية تصرّح بأنّ لنزول القرآن الكريم غاية وهدف قائم ببيان النبي - وشرّحه وتفصيله للقرآن ولو بخطابه للأمة، ﴿لَتَبَيَّنَّ﴾، وهو التفسير، ومن جهة أخرى أمر الله الأمة باتّباع كلام النبي - إذ قال تبارك وتقدس: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢)، وهي عامة مطلقة تلزم المسلمين بالأخذ بكلام النبي - ومنه التفسير، فتفسيره - حجة، وهو إثبات الموجبة الجزئية، كلية حجّية التفسير القرآني الصحيح.

٢. وجه الاستدلال ببناء العقلاء وسيرتهم:

(١) الصدر محمد باقر، دروس تمهيدية في علم الأصول

(المعالم الجديدة)، ص ١٤٢.

(٢) الحشر، ٧.

إنّ ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بدّ منها للفهم^(١)، ومن المعلوم أنّ الشارع لم يخترع لنفسه طريقة خاصّة لإفهام مقاصده، بل تكلم مع الناس بالطريقة المألوفة المتداولة في فهم المقاصد والأغراض من طريق الألفاظ والعبارات، وحينئذٍ فلا محيص عن القول باعتبار ظواهر الكتاب كظواهر سائر الكتب الموضوعة للتفهم وإراءة المقاصد والأغراض، كيف وقد حثّ الكتاب بنفسه الناس على التدبر في آياته، واعترض على عدم التدبر بلسان التخصيص، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢) (٣).

وهو الطريق الصحيح الذي يكون فيه التفسير معتبر وحجّة على المتلقّي، لأنّه النهج العقلاني للتخاطب والتعلّم والبيان ولم ينه عنه الشارع المقدس، فكان السكوت إقراراً له وتصحيحاً للعمل والاعتماد عليه، وهو إثبات الموجبة الكلية، كلية حجّية التفسير القرآني الصحيح.

ث. احتمال مخالفة التفسير للواقع: أنّ واحدة من مميزات لغة القرآن وخصائصها بيانها الواقع؛ لأنّه لا مجال في القرآن

(١) الفيض الكاشاني، محسن، تفسير الصافي، ج١، ص:

.٣٨

(٢) سورة محمّد، ٢٤.

(٣) الفاضل النكراني، محمد، مدخل التفسير، ص ١٦١.

للباطل^(١) — الكذب والأمور المخالفة للواقع وعديمة الفائدة — بل هو القول الحق^(٢) المطابق للواقع.

ولكن يقع الكلام في التفسيرات التي يقدمها مفسرو القرآن هل هي حق ومطابقة للواقع دائماً؟ بالخصوص عند ملاحظة وجود المتشابه والناسخ والمنسوخ والأبحاث المعقدة في القرآن، فهل أن تفسير المفسرين يكون حجة ومعتبراً؟

جواب هذا السؤال واضح؛ لأننا شاهدنا على طول التاريخ ونشاهد أخطاء المفسرين المتكررة في فهم القرآن وتفسيره، بل من الأصول المسلمة وقوع الفكر البشري بالأخطاء لا في التفسير وحسب، بل في كل العلوم البشرية فكل معرضون للخطأ والاشتباه عدا المعصومين). إذاً لا يمكن القول أن كل استفادات المفسر حق — مطابقة للواقع دون أي خطأ^(٣).

كما لا يمكن تخطئة الاستنتاج والاستنباط إذا كان طبق الضوابط العلمية دون دليل؛ لأن آلة ذهن الإنسان توصله بصورة طبيعية إلى الواقع إلا إذا ثبت خطؤه، وهذا يجري

(١) (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) فصلت / ٤٢.

(٢) (وَيَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ) الاسراء / ١٧.

(٣) صرح بذلك بعض المعاصرين، انظر: بابائي وآخرون، روش تفسير شناسي قران، ص(٤١)

في التفسير وفي غيره وفي كل العلوم العملية^(١).

ج. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة: (التفسير حجة ولكنه قد لا يطابق الواقع) تنطبق عليها مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(٢).

فهي:

١. (التفسير حجة ولكنّه قد لا يطابق الواقع) جملة خبرية.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو (التفسير حجة ولكنّه قد لا يطابق الواقع).

٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إنّ الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنىً صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام

(١) انظر: الرضائي، محمد علي، منطق تفسير قرآن

(١) مباني وقواعد تفسير قرآن، ص ١٧٢.

(٢) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

الفصل الاوّل.

الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه .
 ٤. كما أنّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله .
 ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

ونحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأوّل: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنّها تشير إلى التفسير التربوي أو أنّ التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾^(١)

٢: التفسير:

الآية توصي النبي موسى وأخاه النبي هارون ٣ بأن يفاوضا فرعون الطاغى بالكلام اللين، فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة. ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان. اذهباً إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. فالداعية الذي يئس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها

(١) طه، ٤٤ .

بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار^(١). إنما أمرهما بالملاينة معه في الخطاب لأنه كان أول من دعوه إلى الدين، وفي حال الدعوة يجب اللين، فإنه وقت المهلة، فلا بد من الإمهال ريثما ينظر^(٢).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

نحن إذا اعتبرنا التفسير حجة علينا أن نتعامل مع هذا الإرشاد الإلهي السياسي على صورة الإلزام وأن نتعامل بلين في المفاوضات السياسية والدولية من أجل تحقيق مطالبنا، وأما إذا ذهبنا إلى أن التفسير ليس بملزم لنا وليس بحجة سيكون العبد مخيراً في العمل بهذا الدستور الإلهي السياسي.

فالآيات بظهورها ملزمة لنا بالعمل بالقول اللين - بناءً على هذا الأصل - فيجب العمل بهذا التفسير. وهو أصل من أصول التفسير العامة التي تدخل في جميع الاتجاهات التفسيرية، إذ به تقوم حججة جميع أنواع التفسير.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

اللين من الأساليب التربوية الناجمة، فهو طريق لتزريق المعارف وتصحيح سلوك

(١) شاذلي، سيد بن قطب بن ابراهيم، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٣٣٦.

(٢) القشيري، عبدالكريم بن هوازن، لطايف الإشارات، ج ٢، ص: ٤٥٩

الآخرين وتربية المقابل على الصورة الأحسن، فلا ينفّر ولا يكره ولا ينزعج ولا ينصدم بما يخالف طبيعته أو عادته، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ يدل على وجوب استعمال اللين والرفق وترك الفظاظة^(١). وهو أسلوب تربوي نكتشفه من خلال تفسير القرآن تربوياً، أي أنّ هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، ج ٢، ص:

الأصل التاسع:

للتاريخ وشأن النزول مدخلية في تفسير القرآن

أولاً: المقصود منه:

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

أ. التاريخ: أرخ: التَّأْرِيخُ: تعريف الوقت، والتَّوْرِيخُ مثله. أرَّخَ الكتابَ ليوم كذا: وَقَّته^(١)،
ب. الشأن: شَأْن: الشأن: الخطب، والجميع: الشؤون^(٢)، أو هو الحال والأمر الذي يتَّفَق^(٣).

٢. المقصود من هذا البحث:

كما لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ارخ).

(٢) الفراهيدي، الخليل ابن احمد، العين، مادة (شأن).

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مادة (شأن).

أ. التاريخ اصطلاحاً: فعلم التاريخ (هو ذلك الفرع من المعرفة الإنسانية الذي يستهدف جمع المعلومات عن الماضي وتحقيقتها وتسجيلها وتفسيرها^(١)).

ب. شأن النزول اصطلاحاً: الأمر الذي نزل به القرآن- آية أو سورة- لتعالج شأنه بياناً وشرحاً أو اعتباراً بمواضع اعتباره^(٢)، والفارق بين قولهم: «سبب النزول» أو «شأن النزول»؟ هو: أن كانت هناك مشكلة حاضرة، سواء أ كانت حادثة أبهم أمرها، أم مسألة خفي وجه صوابها، أم واقعة ضلّ سبيل مخرجها، فنزلت الآية لتعالج شأنها وتضع حلاً لمشكلتها، فتلك هي أسباب النزول، أي السبب الداعي والعلة الموجبة لنزول قرآن بشأنها، وهذا أخصّ من قولهم: «شأن النزول». لأنّ الشأن أعمّ مورداً من السبب^(٣)

ت. الطريق إلى معرفة أسباب النزول

لمعرفة الصحيح من أسباب النزول طرق معهودة تعارف عليها أهل الاصطلاح، من تصحيح الإسناد أو استفاضة النقل أو توأته، ممّا يقطع معه من صحّة الحادثة. لكن هناك وسيلة أخرى لعلها أدقّ وأوفق

(١) رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، ص٧.

(٢) الشيخ محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ٢٥٤.

(٣) الشيخ محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ٢٤٥.

للاعتبار وأكثر اطرادا مع ضوابط دراسة التاريخ: أن يكون المأثور من شأن النزول مما يرفع الإبهام عن وجه الآية تماما ويحل مشكلة تفسيرها على الوجه الأتم. على قيد إلا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنا فرأ مع بديهية العقل الرشيد. الأمر الذي يكفي بنفسه شاهد صدق على صحة الحديث أيًا كان الإسناد^(١).

ث. حدود اعتبار شأن النزول وأسبابها والحقائق التاريخية

كل ما ورد من شأن النزول وهو الأمر أو الحادثة التي تعقب نزول آية أو آيات في شخص أو واقعة لا يوجب قصر الحكم على الواقعة لينقضي الحكم بانقضائها ويموت بموتها؛ لأنّ البيان عام والتعليل مطلق، فإنّ المدح النازل في حق أفراد من المؤمنين أو الذم النازل في حق آخرين معللاً بوجود صفات فيهم، لا يمكن قصرهما على شخص مورد النزول مع وجود عين تلك الصفات في قوم آخر بعدهم وهكذا، والقرآن أيضاً يدل عليه، قال تعالى: (يهدى به الله من اتبع رضوانه)^(٢) وقال: (وأنّه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)^(٣) (٤).

(١) الشيخ محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم

القرآن، ج ١، ٢٤٥.

(٢) المائة - ١٦.

(٣) السجدة - ٤٢.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل بناء العقلاء (القرينية المتصلة)

إنّ أفضل دليل على اعتبار التأريخ وله شأن النزول ومدخلية في تفسير القرآن هو بناء العقلاء وسيرتهم، لأنّ التفسير قائم على أصول المحاورة العقلانية^(١).

ب. بيانه:

لما كان التفسير - فيما إذا أشكل اللفظ - لا يمكن بمجرد اللجوء إلى تلكم الأصول المقررة لكشف مرادات المتكلمين حسب المتعارف؛ إذ له طرق ووسائل خاصة - في تلك الحالة المشكلة والاستثنائية - غير ما يتعارفه العقلاء في فهم معاني الكلام العادي^(٢)، وإلاّ فهو عملية فهم

⇒

القرآن، ج، ص.

(١) لأنّ عملية التفسير عملية عقلانية عقلانية، كما عرف بانه عبارة عن: بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدي لله تعالى منها، طبق قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلانية. انظر الفصل الاول، التفسير اصطلاحاً، تعريف رجبى، محمود، روش تفسير قرآن، ص ١٢.

(٢) الشيخ محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون،

ج ١، ص ٧١.

قائمة وفق الأصول العامة العقلانية للخطاب وللتفهم والتفسير، كما هو حال أغلب عناصر عملية التفسير التي لا دليل على اعتبارها إلاّ بناءً العقل على العمل بظواهر الكلمات، وتشخيص المرادات من طريق الألفاظ والمكتوبات^(١).

ت. وجه الاستدلال:

بما أنّ التفسير للخطاب عقلياً يعتمد على جمع القرائن المتقدمة والحالية والمتأخرة، ومنها القرائن التاريخية وما يصطلح عليه بأسباب النزول أو شأن النزول فيه، إذ أنّ من محددات المعاني القرآنية ومن الأسس التي تعتمد عليها التفسير عامة أو التفسير التربوي. فمن وجوه الحاجة إلى علم التفسير، تأثير أسباب النزول وشأن نزول الآيات في تفسير القرآن؛ حيث لا يمكن استكشاف مراد الله- كما هو عليه- في كثير من الآيات القرآنية بظواهرها ومداليلها اللفظية، بل يحتاج إلى الاطلاع على القرائن الخارجية الحافّة بنزول الآية، من أسباب النزول وشأنه ومورده. وإنّ دخل - القضايا التاريخية المحيطة بالآيات - شأن نزول الآيات في فهم مضامينها والاستظهار منها، ممّا لا ينبغي إنكاره في الجملة^(٢).

(١) محمد اللانكراني، مدخل التفسير، ص ١٧٥.

(٢) سيفي مازندراني، على أكبر، دروس تمهيدية في

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة: (للتأريخ وشأن النزول مدخلية في تفسير القرآن) تنطبق عليها مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. أنّ قضية: للتأريخ وشأن النزول مدخلية في تفسير القرآن) جملة خبرية.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (للتأريخ وشأن النزول مدخلية في تفسير القرآن).

٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.

⇒

القواعد التفسيرية، ص ٥١.

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في الفصل الأوّل.

٤. كما أنّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله .

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبيين: الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنّها تشير إلى التفسير التربوي أو أنّ التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ

اللَّهِ﴾ (١) .

٢: التفسير:

والمراد من هذه الآية هو أنّ الأرض والجهات والأشياء كلها لله، فأينما تعبدتم، وانى انجهتم قاصدين بالعبادة وجه الله فالله يتقبل منكم، فمن منع من العبادة في المساجد، فليتعبد حيث شاء، ويتجه إلى أية جهة أراد، فإنّ الأرض كلها

(١) البقرة، ١١٥.

مسجد، والجهات كلُّها قبلة^(١)، إذ لا يخلو منه مكان، ولا تخفى عليه خافية^(٢).
 وبعبارة أخرى: في أيِّ مكان فعلتم التَّولية، يعنى تولىة وجوهكم شطر القبلة، بدليل قوله:
 ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣)، ﴿فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي جهته التي أمر بها ورضيها، والمعنى أنكم إذا منعم أن تصلُّوا في المسجد الحرام فقد جعلت لكم الأرض مسجداً في أي بقعة شتم من بقاعها، وافعلوا التَّولية فيها [٤]، فإنَّ التَّولية لا تختصُّ بمسجد دون مسجد^(٤).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

فلو كانت الآية منسوخة لما تحقق لدينا ظهورها في جواز التعبد حيثما شاء المرء، فلقد نسب إلى جماعة منهم ابن عباس، وأبو العالية، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وزيد بن أسلم أن الآية منسوخة واختلف في ناسخها، فذكر

(١) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج ١، ص ١٨٥.

(٢) الكاشاني، محمد بن مرتضى، تفسير المعين، ج ١،

ص: ٦٧

(٣) البقرة، ١٤٤.

(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع

الجامع، ج ١، ص: ٧٤.

ابن عباس أنّها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١)

وذهب قتادة إلى أنّ الناسخ قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٢).

كذلك ذكر القرطبي، وذكروا في وجه النسخ: أنّ النبي - وجميع المسلمين كانوا مخيرين في الصلاة إلى أية جهة شاؤوا وأن كان رسول الله - قد اختار من الجهات جهة بيت المقدس، فنسخ ذلك بالأمر بالتوجه إلى خصوص بيت الله الحرام.

و لا يخفى ما في هذا القول من الوهن والسقوط، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ﴾ (٣).

صريح في أنّ توجهه إلى بيت المقدس كان بأمر من الله تعالى لمصلحة كانت تقتضي ذلك، ولم يكن لاختيار النبي - في ذلك دخل أصلاً.

و الصحيح أن يقال في الآية الكريمة: إنّها دالة على عدم اختصاص جهة خاصة بالله تعالى، فإنّه لا يحيط به مكان، فأينما توجه الإنسان في صلاته ودعائه وجميع عباداته فقد توجه إلى الله تعالى. ومن

(١) البقرة، ١٥٠.

(٢) البقرة، ١٥٠.

(٣) البقرة، ١٤٣.

هنا استدل بها أهل البيت) على الرخصة للمسافر أن يتوجه في نافلته إلى أيّة جهة شاء، وعلى صحة صلاة الفريضة فيما إذا وقعت بين المشرق والمغرب خطأ، وعلى صحة صلاة المتحير إذا لم يعلم أين وجه القبلة. وعلى صحة سجود التلاوة إلى غير القبلة^(١).

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

قبل النسخ تدل الآية على أسلوب تربوي لأحد الأبعاد التربوية، وهي التربية العبادية أو المعنوية، وهي التوجه لله تبارك وتعالى، لكي يحس الإنسان أنه أمام خالقه وجهاً لوجه، فيدعو بروحية أفضل وإخلاص أكثر وتوجه لله لاحساسه بالقرب له بقلبه ووجهه، وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد. وبعبارة أخرى: فإنّ هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) الخوئي، السيد ابو القاسم، البيان في تفسير

القرآن، ص: ٢٨٦-٢٩٠.

الأصل العاشر:

أن القرآن لا ينفصل عن سنة النبي - وأهل البيت

أولاً: المقصود منه:

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

أ. الفصل: كلمة صحيحة تدلّ على تمييز الشيء عن غيره من الشيء، وإبانتة عنه^(١)، والفصل: فصلته عن غيره من باب ضرب: نحيته أو قطعتة^(٢)، هو ما يقابل الوصل^(٣).

ب. السنة: من سنّ: أصل واحد مطّرد، وهو جريان الشيء واطّراده في سهولة^(٤)،

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس اللغة، مادة (فصل).

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة (فصل).

(٣) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (فصل).

(٤) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس

والسنة: السيرة حميدة كانت أو ذميمة،
والجمع سنن^(١).

٢. المقصود من هذا البحث:

لابد أن نحدد المقصود من عنوان الأصل في
هذه الدراسة، وذلك كما يلي:
أ. عدم الفصل: نقصد به عدم الانفصال
والافتراق هنا ليس الافتراق في السلطة
الروحية الزمنية حيث ينتقض بزمن الغيبة،
إنما هو افتراق وحي الكتاب عن وحي السنة،
فالسنة لا تفترق عن الكتاب فإنها الوحي
الفرع المفسر والمؤول للوحي الأصل، وهي
مستفادة من القرآن، فلا تنسخه أو
تخالفه^(٢). والكتاب لا يفترق عن السنة لأنه
الذي يأمر باتباع السنة وأن الرسول - هو
المذكر بالقرآن «فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ
وَعِيدِ»^(٣). فالسنة لا تتعارض مع القرآن لأنها
طريق الهداية المستمر كما في تفسير قوله
تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ أي النبي والقرآن^(٤)،
وكذا لا تتناقض مع القرآن الكريم^(١).

⇒

اللغة، مادة (سَنَ) .

(١) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح

الكبير، مادة (سَنَ) .

(٢) الصادقي الطهراني، محمد، الفرقان في تفسير

القرآن بالقرآن، ج ٥، ص: ٣١٣

(٣) سورة (ق) ، ٤٥ .

(٤) المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، ج ٥،

⇐

ب. السنّة في الاصطلاح: ما يصدر من النبي -، أو مطلق المعصوم من قول أو فعل أو تقرير غير عادي^(٢).

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل اكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لابد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل:

القرآن (السنخية الوحيانية بين القرآن والسنّة) والحديث.
إنّ الدليل على أنّه لا اختلاف أو افتراق بين القرآن وسنّة النبي - هو القرآن والدليل على أنّه لا اختلاف أو افتراق بين القرآن وسنة أهل البيت) هو الحديث.

ب. بيانه:

١. أنّ الدليل على أنّه لا اختلاف أو افتراق بين القرآن وسنّة النبي - هو القرآن، حيث يقول الله تبارك وتقدس: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣)، أي ليس يتكلم بهواه وشهوته، إنّما يتكلم بما يوحى الله

⇒

ص: ٤٩٣.

(١) باباي، علي اكبر، مكاتب تفسيري، ج ٢، ص ١٤٠.

(٢) غفاري، علي اكبر، دراسات في علم الدراية، ١١.

(٣) النجم، ٣ و ٤.

إليه^(١)، بحيث لا يتفوه إلاّ بما هو من عند الله تبارك وتقدس^(٢).

٢. أنّ الدليل على أنّه لا اختلاف أو افتراق بين القرآن وسنة أهل البيت) هو حديث الثقلين عن أبي جعفر % دعا رسول الله أصحابه بمنى، قال: (يا أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يرادا عليّ الحوض)^(٣)، وهو الحديث المتواتر بين السنة والشيعة^(٤). فأقام الله للحقّ دليلاً يهدي إليه، ويدل عليه من الفطرة وكتاب الله، ومن نبيه الأكرم، وأهل بيته الأطهار الذين ساوى صاحب البيت بينهم وبين القرآن بأمر من الله، كما جاء في حديث الثقلين^(٥).

(١) الغرناطي، محمد بن أحمد ابن جزي، كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل، ج ٢، ص ٣١٦.

(٢) النخجواني، نعمة الله بن محمود، الفواتح الإلهية

والمفاتيح الغيبية، ج ٢، ص: ٣٦٢.

(٣) الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ، بصائر الدرجات

في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج ١، باب في قول

رسول الله - إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل

بيتي، ص: ٤١٢. وذكر روآيات عدّة بنفس المعنى،

انظر المصدر.

(٤) البيضاني، قاسم، مباني نقد الحديث، ص ١٠٣.

(٥) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج ١، ص: ١٧٥.

ت. وجه الاستدلال:

بما أنّ الكلام في المقام حول دليلين منفصلين يقوم كل بدوره فنحن كذلك، نقسم بيان وجوه الاستدلال إلى نقطتين، وهما كما يلي:

١. بحسب مضمون قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ الْهَوَىٰ، أَنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١)، سيكون نطقه وما يصدر عنه بقوة القرآن؛ لأنه وحي؛ والوحي بنفسه لا يعارض الوحي؛ لأنه صادر من حكيم^(٢)، اذن سيرة النبي وسنته ص لا تعارض القرآن فلا بد أن تكون منسجمة معه ومفسرة له؛ إذ لا بد من أحد الضدين.

٢. بحسب مضمون حديث الثقلين: فقد صرح النبي - بأنهما (الكتاب والعترة) لن يفترقا إلى يوم القيامة، فهم المفسرون للقرآن بعد النبي -^(٣)، وهم كما جعلهم النبي الأكرم مرجعاً للمسلمين والثقل الآخر الذي لا يفترق عن القرآن الكريم^(٤)، فلا بد أن تكون سنة أهل البيت مفسرة ومبيّنة للقرآن وإلا لزم الافتراق وهو يؤدي إلى كذب النبي - نعوذ بالله وهو

(١) النجم، ٣ و ٤.

(٢) كما قال الله: الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود: ١).

(٣) كمالي دزفولي، سيد علي، تاريخ تفسير، ص: ١١.

(٤) الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص ٣٣٩.

محال؛ لأنه صادق مصدق بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(١)، فهو النبي محمد ص^(٢)، وقد عصم الله لسانه - حيث يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٣).

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة: (إنّ القرآن لا ينفصل عن سنّة النبي - وأهل البيت) تنطبق عليها مناسبات ومعايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(٤).

فهي:

١. (أنّ القرآن لا ينفصل عن سنّة النبي - وأهل البيت) جملة خبرية.

(١) الزمر، ٣٣.

(٢) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٤، ص: ٨٩.

(٣) النجم، ٣.

(٤) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في الفصل الأول.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو:
(أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَنْفَصِلُ عَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ -
وَأَهْلِ الْبَيْتِ).
٣. تعتبر من الأسس المؤثرة على صحة
عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها
وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى
صحيحاً، وإلاّ فلا داعي لهذا الاهتمام
الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه
والعمل على نهجه.
٤. أنّها من مقدمات علم التفسير وليست
من مسائله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد
تعرّض لها المفسّرون في كتب التفسير،
تمتاز بجانبين: الأول: أنّها تشير إلى
الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا،
والثاني: أنّها تشير إلى التفسير
التربوي، أو أنّ التفسير الذي نقله عن
المفسرين يدل على التفسير التربوي.
فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما
يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (١).

٢: التفسير:

لقد فسرت الآية بالكعب هو العظم النابت في القدم عند معقد الشراك والمعنى: امسحوا بعض رؤوسكم وبعض أرجلكم من أطراف الأصابع إلى الكعب من كل رجل^(١)، فأوجب المسح بصريح اللفظ^(٢)، قال الحنابلة: يجب مسح الرأس والأذنين، ويجزي الغسل عن المسح بشرط إمرار اليد على الرأس.

وقال المالكية: يجب مسح جميع الرأس دون الأذنين. وقال الحنفية: يجب مسح ربع الرأس، ويكفي إدخال الرأس في الماء، أو صبه عليه. وقال الشافعية: يجب مسح بعض الرأس ولو قل، ويكفي الغسل أو الرش.

وقال الشيعة الامامية: يجب مسح جزء من مقدم الرأس، ويكفي أقل ما يصدق عليه إسم المسح، ولا يجوز الغسل ولا الرش. وعليه يكون معنى الباء الإلصاق على القولين الأولين، والتبعيض على الأقوال الأخيرة الثلاثة^(٣). وهنا نقدم تقريراً بالتفسير الروائي لأهل البيت لهذه الآية المباركة: في الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن إسماعيل، عن

(١) السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، إرشاد

الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ١١٣.

(٢) الشيخ المفيد، تفسير القرآن المجيد، ص: ١٧١.

(٣) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج ٣، ص: ٢٢.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ٣ / ٢٨، ح ٥.

الفضل بن شاذان جميعاً، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر⁰: ألا تخبرني من أين علمت وقلت: أن المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك، ثم قال: يا زرارة، قال رسول الله- ونزل به الكتاب عن الله، لأن الله- عز وجل- يقول: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ فَعَرَفْنَا أَنَّ الْوَجْهَ كُلَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَغْسَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ثُمَّ فَصَلَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ «١» فَقَالَ: وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ فَعَرَفْنَا حِينَ قَالَ: بِرُءُوسِكُمْ أَنَّ الْمَسْحَ بِبَعْضِ الرَّأْسِ لِمَكَانِ الْبَاءِ، ثُمَّ وَصَلَ الرَّجْلَيْنِ بِالرَّأْسِ كَمَا وَصَلَ الْيَدَيْنِ بِالْوَجْهِ فَقَالَ: وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ فَعَرَفْنَا حِينَ وَصَلَهَا بِالرَّأْسِ أَنَّ الْمَسْحَ عَلَى بَعْضِهِمَا، ثُمَّ فَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ- ذَلِكَ لِلنَّاسِ فَضِيَعُوهُ .

قوله⁰: «فعرفنا أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء»، معناه: أن الفعل متعد إلى المفعول بنفسه، فإذا زيد الباء أفاد التبعيض، لا أن الباء للتبعيض. وَ أَرْجُلَكُمْ: نصبه نافع وابن عامر وحفص ويعقوب، وجزه الباكون. فالنصب على العطف على محل «رؤوسكم» كقولك: مررت بزيد وعمرو. والجر على العطف على لفظه.

و في كتاب (التّهذيب) (١): عن الباقر⁰ أنه سئل عن قول الله عز وجل:

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ١/

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ على الخفض هي أم على النَّصْب؟

قال: بل هي على الخفض. و العطف على الوجوه على تقدير النَّصْب، وعلى الجواز على تقدير الجرّ- كما ذهب إليه العامة- عربيّ رديء فلا يصار إليه. والعامة ذهبوا إلى وجوب غسل الرّجلين إذا لم يكن عليهما شيء، والمسح على ما عليهما من الخفّ وغيره إذا كان عليه.

و في كتاب التّهذيب^(١): عن أبي جعفر%: جمع عمر بن الخطّاب أصحاب رسول الله- وفيهم علي% فقال: ما تقولون في المسح على الخفّين؟

فقام المغيرة بن شعبة وقال: رأيت رسول الله- يمسح على الخفّين.

فقال علي%: قبل المائدة أو بعد المائدة؟ فقال: لا أدري.

فقال علي%: سبق الكتاب الخفّين، إنّما أنزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين أو ثلاثة.

و المغيرة بن شعبة، هو أحد رؤساء المنافقين من أصحاب العقبة والسقيفة.

⇒

٧٠، ح ٣٧.

(١) الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام،

١ / ٣٦١، ح ٢١.

وفي (من لا يحضره الفقيه) ^(١): روت عائشة عن النبيّ - أنّه قال: أشدّ النَّاس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره.

وروي عنها أنّها قالت: لئن أمسح على ظهر عير بالفلاة أحبّ إليّ من أن أمسح على خفي. ولم يعرف للنبيّ خفّ إلاّ خفّ أهداه له النّجاشي، وكان موضع ظهر القدمين منه مشقوقاً، فمسح النبيّ - على رجليه وعليه خفّاه. فقال النَّاس: أنّه مسح على خفيه. و على أن الحديث في ذلك غير صحيح الإسناد. (انتهى كلام الفقيه).

و في التّهذيب ^(٢): عن الباقر % أنّه سئل عن مسح الرّجلين؟ فقال: هو الذي نزل به جبرئيل. و في الكافي ^(٣): عن الصادق % أنّه يأتي على الرّجل ستّون وسبعون سنة ما قبل منه صلاة.

ف قيل: وكيف ذلك؟
قال: لأنّه يغسل ما أمر الله بمسحه.

(١) الشيخ الصدوق، محمد بن الحسن، من لا يحضره الفقيه ١ / ٣٠، ح ٩.

(٢) الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، هذيب الأحكام ١ / ٦٣، ح ٢٦.

(٣) الشيخ الكليني محمد بن يعقوب، الكافي ٣ / ٣١، ح

و في (من لا يحضره الفقيه) (١): عن الصادق %: أن الرجل ليعبد الله أربعين سنة ما يطيعه في الوضوء، لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه (٢).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لقد وصلنا إلى معنى للآية وهو: أن المسح هو الحكم في الوضوء، وكذا أن يكون المسح لبعض القدم، وهذا المعنى متوقف تماماً على كون أن سنة أهل البيت ع - من قول أو فعل أو تقرير - إنما هي منسجمة ومتماشية مع القرآن الكريم ولا تعارض بينهما. وإلا لما تم هذا المعنى التفسيري للآية الكريمة.

فعلى أساس الآية (تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (٣) يكون النبي - مبيناً للقرآن وبيانه حجة في التفسير، وعلى أساس حديث الثقلين سيكون بيان أهل البيت) للآيات حجة في التفسير أيضاً، وأنهم لا يفترقون عن القرآن أبداً.

وعليه يكون عدم الالتفات إلى سنة النبي - وأهل بيته غير جائز في التفسير.

(١) الشيخ الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٤، ج ٥.

(٢) انظر: القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، ج ٤، ص: ٥٠.

(٣) النحل، ٤٤.

وهو أحد الأصول الموضوعية للتفسير، حيث يلقي بظلاله على تفسير كل الآيات.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

قال تعالى: ﴿مَسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (١).

الآية الكريمة في مقام الإرشاد نحو التربية العبادية وهي أحد الأبعاد التربوية الإسلامية، وتعطي للمسلم طريقة للعبادة والتقرب إلى الله، فهي تكشف عن أسلوب تربوي عبادي يبني به الإنسان نفسه ويصلح به ذاته من خلال التقرب به إلى الله وإلى رضوانه.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: أن هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) المائدة، ٦.

الأصل الحادي عشر: للقرآن بطون عدّة

أولاً: المقصود منه:

١- في اللغة:

الباء والطاء والنون أصل واحد لا يكاد يُخْلِف، وهو إنْسِي الشيء والمقْبَلِ مِنْهُ. فالْبَطْنُ خِلافُ الظْهَرِ. تقول بَطَنْتُ الرَّجْلَ إِذَا ضَرَبْتُ بَطْنَهُ. قال بعضهم:

إِذَا ضَرَبْتُ مُوقِراً فابْطُنْ لَهُ

وباطِنُ الأمرِ دَخَلْتَهُ، خِلافُ ظاهِرِهِ. والله تعالى هو الباطن؛ لأنّه بَطَنَ الأشياءَ خُبْراً^(١).

٢. المقصود من هذا البحث:

ذهب الشيخ معرفة إلى «البطن» فهو عبارة عن المفهوم العام الشامل، المستنبط من فحوى الآية وتأويلها إلى

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا مقاييس اللغة،

مادة (بطن).

حيث تنطبق عليه من موارد مشابهة، حسب مرّ الدهور^(١).

البطن بمعنى المفهوم العام المنتزع من الآية^(٢) وبطون القرآن، هي عدد المستويات المعرفية التي يحملها نصّ معين، هي من الطرق العقلانية والحكيمة لبيان مستويات مختلفة من العلوم في نصوص ذات سابقة تاريخية طويلة في حياة البشر^(٣).

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لابد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل: الآيات القرآنية

الآيات التي تدعو المخاطبين بالقرآن إلى تدبره والتفكر، مثلاً:

١. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَقْفَالًا﴾^(٤).

(١) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٥٢٧.

(٢) انظر: محمد هادي معرفة، التفسير الأثري الجامع، ج ١، ص ٣١.

(٣) انظر: د، الرضائي، محمد علي، منطق تفسير قرآن (مباني وقواعد)، ص ١٩٨.

(٤) محمد، ٢٤.

٢. قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

ب. بيانه:

هذه الآيات تشير^(٢) إلى أن وراء الألفاظ القرآنية والمعاني الظاهرية معانٍ عميقة ودقيقة مخفية عن أفهام العامة، وهي المقصودة والمرادة من الخطاب الإلهي، وهي التي تمثل بطون القرآن^(٣)، وبهذه الآيات استدل الدكتور الذهبي على وجود البطون في القرآن، حيث قال بعد نقله للآيات: فهذه الآيات كلها تشير إلى أن القرآن له ظهر وبطن^(٤).

ولقد فسر الشيخ الطوسي هذه الآية قائلاً: ثم قال موبخاً لهم ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ معناه أفلا يتدبرون القرآن بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به، أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك تنبيهاً لهم على أن الأمر بخلافه. وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكير والتدبر في النظر في

(١) النحل، ٤٤.

(٢) وهناك الآيات التي تدل على ضرورة الاعتبار من القصص القرآنية، واحاديث عن النبي واله تدل على وجود البطون في القرآن.

(٣) انظر: د، الرضائي، منطق تفسير قران (مباني وقواعد)، ص ٢٠٧.

(٤) د. الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ٣٥٣.

موجب الأمر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدبر القرآن.

وفي ذلك حجة على بطلان قول من يقول لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع، وفيه تنبيه على بطلان قول الجهال من أصحاب الحديث، أنه ينبغي أن يروى الحديث على ما جاء وإن كان مختلفاً في المعنى، لأن الله تعالى دعا إلى التدبر والتفقه وذلك منافٍ للجاهل والتعامي^(١).

ومن هنا يمكننا إثبات أن للقرآن بطون عدة، ولو ثبت أن للقرآن بطون عدة، فإن هذه النتيجة تؤثر على سير وسعة العملية التفسيرية للقرآن الكريم ونتائجها والعكس بالعكس.

ت. وجه الاستدلال:

دعت الآيات إلى التدبر في القرآن الكريم وهذا يعني وجود أرضية في القرآن لاكتشاف أشياء خلف الظواهر النصية، وذلك لحكمة القرآن، كما دعا القرآن إلى التفكير فيه وهو يدل على إمكان الاستنتاج منه، أي فيه أرضية مهيئة لذلك وهو معنى وجود معاني للقرآن وراء الحدود اللفظية يمكن الوصول إليها من خلال التدبر أو التفكير وهي التي نسميها البطون بحسب الاصطلاح في علوم القرآن.

(١) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩،

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ (للقرآن بطون عدة) تنطبق عليه مناسبات ومعايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. (للقرآن بطون عدة) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن القرآن من كلام الله تبارك وتعالى وله مستويات متعددة من المعارف والمعاني).
٣. تعتبر هي الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إنّ الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلاّ فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق والتدبر والتفكير في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في الفصل الأول.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

ونحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ أَنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ^(١).

٢: التفسير:

مثال ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ أَنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بأنهم آل محمد - فقد وردت هذه الآية في سورة النحل: ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ أَنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٢).

(١) النحل، ٤٣.

(٢) النحل، ٤٣.

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ أَنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وظاهر الآيتين يقضي بكون الخطاب موجَّهاً إلى المشركين، الذين استغربوا نزول الوحي على بشرٍ أو على رجلٍ منهم؛ حيث قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ (٣).

ورفعاً لاستغرابهم أفسح لهم المجال كي يتساءلوا بذلك أهل الكتاب ممن يلونهم وكانوا يعتمدونهم. ومن ثم جاءت في الآية الأولى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾، أي لا تعلمون الكتاب ولا تاريخ الأنبياء والأمم السالفة، فعليكم بمراجعة من يعلم ذلك من أهل الكتاب.

كما جاء تعقيب الآية الثانية بقوله: وما جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ حيث استغرابهم أن يكون النبي إنساناً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

هذا هو ظاهر معنى الآيتين: تفسير «أهل الذكر» ب «أهل الكتاب».

لكن ورد في تأويلهما ما يقتضي بالعموم، بأن تشمل الآية كل ذوي العلم

(١) الأنبياء، ٧.

(٢) الأنعام / ٩١.

(٣) يونس / ٢.

من أهل الثقافة والمعرفة، وعلى رأسهم أئمة أهل البيت).
و ذلك بإلقاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام، والأخذ بعموم اللفظ وعموم الملاك، أي عموم مناط الحكم، وهو ما يقتضيه العقل من رجوع الجاهل إلى العالم إطلاقاً، وفي جميع مجالات العلم والمعرفة، بما يعم جميع الثقافات.
فهذا من التأويل الذي هو مفاد باطن الآية، وليس من التفسير الذي هو مفاد ظاهرها^(١).

لقد اكتشف من الآية الكريمة بطن جديد من القرآن، ثم بدأت بالأوامر التربوية، حيث تأمر الجاهل بالرجوع إلى أهل العلم والأخذ منهم، ومن هنا نجد اتجاه التفسير التربوي حاضراً.

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لو كان القرآن خال من البطون لما أمكن انتزاع مفهوم جديد وهو الأمر بسنة رجوع الجاهل إلى العالم والتأدب بها والتربي عليها، وعليه - لو أن القرآن ليس فيه بطون - لما أمكن تفهم الروايات الواردة في كثير من التأويل القرآني، وفي بيان مصاديق الآيات القرآنية الكريمة، حيث هناك روايات تبين تأويلات للنص وهو ليس من ظاهر اللفظ.

(١) معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون، ج١، ص:

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

السؤال: أسلوب تربوي وطريقة يمكن بها تعليم وتربية المتلقي ودفعه نحو التكامل الأخلاقي والعلمي والروحي؟ وأشار القرآن الكريم، وبطن القرآن إلى الرجوع إلى العالم بالسؤال، إذ أٌحدّد البطن القرآني نوعية الأسلوب وهو السؤال ونوعية المسؤل وهو العالم، فقال: ﴿فَسْئَلُوا

أهل الذِّكْرِ أَنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(١).

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

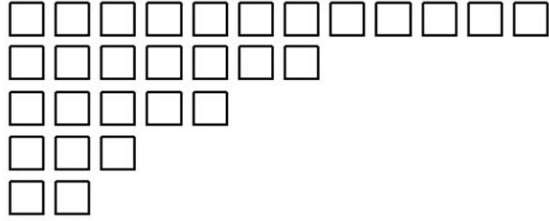
(١) النحل، ٤٣.

خلاصة الفصل الثاني

احتوى الفصل الثاني على المقدمة، حيث أردنا أن نقدم للفصل الثاني بما يناسب أن يمهد لمباحثه الطريق، فارتأينا أن تكون المقدمة عبارة عن: تمهيد، وبيان الأهداف المتوخاة من هذا الفصل وبيان للمنهج التطبيقي وبحث الأصول العامة، أي الخطوات التي يمر بها البحث في كل أصل..

وكانت نتائج هذا الفصل هي كما يلي:

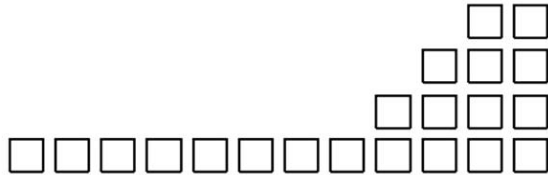
١. القرآن هو وحي إلهي.
٢. القرآن غير قابل للتحريف.
٣. القرآن كتاب حكيم.
٤. النظم والترتيب الإلهي كلمات وآيات القرآن.
٥. يمكن فهم القرآن وتفسيره.
٦. ظواهر القرآن حجة
٧. توجد القراءة الصحيحة للقرآن
٨. التفسير حجة وقد لا يطابق الواقع.
٩. للتأريخ وشأن النزول مدخلية في تفسير القرآن.
١٠. أنّ القرآن لا ينفصل عن سنة النبي - وأهل البيت).
١١. للقرآن بطون عدة.



الفصل الثالث

الأصول العلمية في التفسير التربوي

(التي تدخل في الاتجاهات العلمية للتفسير)



الفصل الثالث:

الأصول العملية في التفسير التربوي

المقدمة

المقدمة عبارة عن: تمهيد، وبيان الأهداف المتوخاة من هذا الفصل وبيان للمنهج التطبيقي في بحث الأصول الخاصة.

تمهيد

نريد في هذا الفصل أن نتطرق إلى ذكر وتعداد الأصول التي يبتني عليها التفسير التربوي بطابعه الخاص.

نقصد بالأصول العلمية: هي أصول التفسير التربوي التي تشترك بينه وبين الاتجاهات العلمية للتفسير، كالتفسير الاقتصادي أو التفسير الاجتماعي أو التفسير النفسي.

فللتفسير التربوي أشقاء تشترك معه في كون العلوم البشرية أو الإنسانية أدوات له وقرائن لتأملاته ومفاتيح لفهمه التخصصي للقرآن الكريم. فإن المسالك متقاربة والمشارب متشابهة، وذلك الكتاب هو واحد وهو القرآن الكريم، هذا من جهة، والعلوم البشرية متقاربة ولها

أصول متحدة وأدوات بحثية موحدة وفرضيات ونتائج مشتركة.

ومن هنا تظهر حالة الاشتراك في الأصول التفسيرية بين مجموعة الاتجاهات التفسيرية العلمية.

أهداف الفصل الثالث

إنّ الهدف الأصلي من هذا الفصل هو: تعداد الأصول العلمية للتفسير والتي يبتني عليها التفسير التربوي. وأما الأهداف الفرعية فهي:

١. شرح وبيان تلك الأصول ومفاهيمها.
٢. عرض الأدلة المؤدية إليها.
٣. ذكر نماذج تطبيقية من التفسير لتلك الأصول وأثرها فيه.

خطوات البحث في كل أصل

وسيكون العمل عبر خطوات بحثية تكمل بعضها البعض لرسم الصورة الأوضح لكل أصل تفسيري مدروس، وهذه الخطوات هي عبارة عن:

١. عنوان الأصل: أي نذكر إسم الأصل فقط
٢. بيان معناه: أي نبين المراد منه وما هو معناه.
٣. الدليل عليه، وفيه:
 - أ. (عنوان الدليل).
 - ب. بيانه.
 - ت. وجه الاستدلال.
 - ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل.
٤. تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير نذكر هنا أمثلة على التفاعل بين الأصول،

-
- وعمليّة التفسير أي نماذج تطبيقية لتأثير الأصول على الاستنباط التفسيري، اختصرنا على نموذج واحد للاختصار.
٥. محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري.
٦. نموذج للتفسير التربوي من الآية.

الأصل الأول: القرآن لا يتعارض مع العلم

أولاً: المقصود منه:

الأصل هنا يقصد العلوم التربوية وإن كان يشمل العلوم الأخرى، ولا بد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

(أ) علم يعلم علماً، نقيض جهل^(١)، والعلم: إدراك الشيء بحقيقته^(٢)،
(ب) العَرَضُ: خلافُ الطُّولِ، وعَارَضَ الشيءَ بالشيءِ مُعَارِضَةً: قَابَلَهُ، وعَارَضْتُ كِتَابِي بَكِتَابِهِ أَي قَابَلْتَهُ. وفلان يُعَارِضُنِي أَي يُبَارِينِي^(٣).

(١) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين،، مادة (علم) .

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، مادة (علم) .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرض) .

٢. المقصود من هذا البحث

لابد أن نحدد المقصود اصطلاحاً من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

أ) العلم: هو مجموعة القضايا الحقيقية - غير الاعتبارية - التي تدور حول محور خاص، والتي تقبل الصدق والانطباق على مصاديق متعددة. وبعبارة ثانية: هو مجموعة من القضايا الحقيقية القابلة للإثبات عن طريق التجربة والحس^(١). والأصل هنا يقصد به العلوم التربوية وإن كان يشمل العلوم الأخرى.

ب) التعارض: هو تنافي الدليلين أو الأدلة بحسب الدلالة ومقام الإثبات - فحصر التعارض في مقام الإثبات ومرحلة الدلالة^(٢)، فالأولى في تعريف التعارض أن يقال: التعارض: هو تنافي الدليلين أو الأدلة بحيث لا يمكن الجمع بينهما^(٣)، أو التعارض هو تنافي الحجتين من حيث المدلول^(٤).

(١) د. الرضائي الأصفهاني، محمد علي، دروس في

المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص ١٤٧.

(٢) الشيخ محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج ٢، ص

١٤٦.

(٣) آمل، ميرزا هاشم، مجمع الافكار، ج ٤، ص ٤٥٦.

(٤) الحسيني البهسودي، السيد محمد سرور، مصباح

الأصول، تقارير بحوث السيد ابوالقاسم الخوئي،

ج ٣، ص ٣٥٣.

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

(أ) عنوان الدليل العقل (عدم اجتماع النقيضين)

إنّ العقل لا يمكنه أن يصدّق بقطعيتين متخالفين في نفس الوقت؛ لأنّ أحدهما يكذب الثاني بالملازمة .

(ب) بيانه:

إنّ العقل لا يمكنه أن يصدّق بقطعيتين متخالفين في نفس الوقت، لأنّ أحدهما يكذب الثاني بالملازمة . ولأنّ التفسير لا بد أن يبتني على العلم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١) ، فلا

يمكن أن نعلم بصحة العلم التجريبي من جهة وبالدليل المخالف، هل من القرآن من جهة أخرى؛ إذ لا يتعارض دليان قطعيان لاستلزامه اجتماع النقيضين انتهى كلامه وقال في محكي المنية الأدلة القطعية عقلية كانت أو نقلية لا يجوز تعادل دليلين متقابلين منها بالنفي والإثبات، أمّا العقلية فلوجوب حصول المدلول عند حصول دليله، فلو تحقق دليان على نقيضين لزم اجتماعهما وهو محال بالضرورة، وأمّا النقلية فلأنه يلزم إمّا اجتماع النقيضين أو الكذب على الشارع وهما محالان^(٢) .

(١) الاسراء، ٣٦ .

(٢) ميرزائي آشتياني، بحر الفوائد، ج٤، ص٩ .

فإذا ما لاحظنا في مورد من الموارد أن هُنَاك تعارضاً بين الأحكام القطعية للعقل مع ظاهر رواية أو آية، فهنا يوجد احتمالان:

الأول: الخطأ في مقدمات حكم العقل، أي أنها غير تامة.

الثاني: إذا ثبتت قطعية حكم العقل فهذا يعني أن ظاهر الآية أو الرواية ليس مراداً للشارع، فمثلاً إذا دلت الرواية على خلاف حكم العقل القطعي كاستحالة اجتماع النقيضين، فلا بد من التصرف في ظاهر هذه الرواية وحملها على خلاف هذا الظاهر بالقرينة العقلية؛ لأن فهمنا للآية أو الرواية كان خاطئاً، أو إذا كان ظاهر الآية [يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ] يتعارض مع حكم العقل في مورد عدم كون الله جسماً، فلا بد من تأويل ظاهر الآية ونفسر [يَدُ اللَّهِ] هنا بمعنى قدرة الله^(١).

(ج) وجه الاستدلال:

نحن نقطع بصحة القرآن؛ لما له من الإعجاز، فلا يمكننا أن نقطع بصحة دليل ثانٍ يعارض القرآن تعارضاً مستقراً، لأنه يلزم اجتماع النقيضين.

(د) تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة (القرآن لا يتعارض مع العلم) تنطبق عليها مناطات أو معايير

(١) د. الرضائي الأصفهاني، محمد علي، دروس في

المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص ١٣٦.

الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. (القرآن لا يتعارض مع العلم) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن القرآن لا يتعارض مع العلم).
٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الان أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير،

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي، أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(١)

٢: التفسير:

هذا قسم من الله تعالى بالسماء ذات الرجوع. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: ذات المطر. وقال ابن زيد: يعني شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع. وقيل: رجع السماء إعطاؤها الخير يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأزمان، رجعه يرجعه رجعاً إذا أعطاه مرة بعد مرة^(٢)، إرجاعاً لما يصعد إليها من أبخرة أرضية، ورجوعاً إلى ما كانت دخاناً^(٣).

في الآيات الكريمة أعلاه يجد العالم بالغلغلاف الجوّي الأرضي الخطوط الرئيسية لهذا

(١) الطارق، ١١.

(٢) الطوسي، محمد بين الحسن، التبيان في تفسير

القرآن، ج ١٠، ص: ٣٢٦.

(٣) الصادقي الطهراني، محمد، البلاغ في تفسير

القرآن بالقرآن، ص: ٥٩١

العلم كما كشفها الإنسان منذ مدة قصيرة فقط، أمّا بالنسبة للمسلم غير المطلع على التفاصيل العلميّة لتركيب الغلاف الجوّي فلا يتبيّن له ذلك إلاّ من خلال دراسة علميّة مبسّطة لما تضمّنته كلّ آية من معلومات، وعلى ضوء تاريخ اكتشاف الإنسان لها، وعندها تتبيّن المعجزة العلميّة القرآنيّة التي من خلالها نجد الدليل الذي لا جدال فيه على وجود الخالق وعلى أنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وبذلك نفسه أيضاً منطلق كلّ مشكّك بالله وبالقرآن الكريم وعلمه غير المستند إلى دليل، كما ننتقل بالمسلم من إيمان الفطرة إلى يقين الإيمان العلميّ، فكل إيمان حقّ، هو بنظرنا وخاصّة في القرن العشرين، نتيجة دراسة علميّة لآيات الله قبل أن يصبح مسألة شعوريّة وجدانيّة، فلا التزام بتعاليم الإسلام بدون إيمان صحيح ولا إيمان صحيح بدون حجّة قاطعة، والحجّة القاطعة هي الثوابت أو البراهين العلميّة القرآنيّة مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَيُرِي الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى

صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^{(١)(٢)}.

التعليق العلمي

في المعلومات الفلكية التالية يجد المسلم بعضاً من الحقائق العلميّة الإعجازيّة الكامنة في قول تعالى:

(١) سبأ، ٦.

(٢) الشريف، عدنان، من علوم الأرض القرآنيّة، ص: ٥٩.

والسَّمَاءِ ذاتِ الرَّجْعِ كما كشفها علماء الفلك في القرن العشرين:

أ- السماء بمعنى الغلاف الجوي الأرضي: لكلمة السماء معانٍ كثيرة كما أسلفنا، فإذا عينا بالسماء مختلف الطبقات التي يتألف منها الغلاف الجوي المحيط بالأرض (TerrestreAtmosphere) نجد أن من خصائص بعضها إعادة الأشياء إلى ما كانت فيه. فالطبقة السفلى من الغلاف الجوي (Troposphere) تعيد بخار الماء المتصاعد إليها من الأرض بشكل مطر، وكذلك القسم الأكبر من الحرارة المنعكسة والمتصاعدة من الأرض.

و الطبقات الرابعة والخامسة والسادسة من الغلاف الجوي (Ionosphere) ترجع إلى الأرض موجات الراديو الطويلة والمتوسطة وبعض الموجات القصيرة المتأتية من الأرض، كما تعكس نفس هذه الموجات، إذا كانت متأتية من الفضاء الخارجي وترجعها إليه.

و الطبقة السابعة أو الحزام المغنطيسي الأرضي (Magnatosphere). ترجع إلى الفضاء الخارجي الإشعاعات الكونية الضارة بالحياة على الأرض كأشعة «غاما» و«ألفا» والقسم الأكبر من الأشعة ما تحت الحمراء والمجهولة.

ب- السماء بمعنى الكون: و إذا عينا بالسماء الكون وما فيه من نجوم ومجرات وما بينها من غيوم فكل شيء في الكون يرجع إلى ما كان عليه.

فمن المتفق عليه اليوم بين أكثر علماء الفلك أن الكون ليس أزلياً، بل بدأ منذ خمسة عشر مليار سنة تقريباً بكتلة بدائية هائلة انفجرت وتشتتت في أرجاء الكون ومنها تكونت لاحقاً النجوم والكواكب والمجرات والسدم.

فالنجوم تنشأ من غيمة كونية خلال ملايين بل مليارات السنين بفعل تكثف المواد التي تؤلف الغيمة وتحول جزء منها إلى نجم يضيء خلال ملايين أو مليارات السنين، ثم ينفذ وقوده فيتحول إلى نجم هائل متفجر ما يلبث أن ينفجر، ثم يموت ليرجع كما بدأ غيمة كونية، ثم تعاد الكرة التي تتطلب ملايين السنين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ﴾ (١).

و لقد رأى العلماء في القرن العشرين كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده، ليس فقط في النجوم، بل في كل المخلوقات. أما في زمن التنزيل فلم يكن باستطاعة العلم أن يرى شيئاً عن عملية بدء الخلق وإعادته، فسبحان الذي صدقنا وعده. كيف لا، وهو القائل: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مَسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢)، وقد وعدنا بأننا سنرى كيف يبدأ الخلق ثم يعيده، واستقر خبر ما أنبأنا به بعد خمسة عشر

(١) سورة العنكبوت، الآية ١٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٦.

قرناً من التنزيل من خلال الكشف العلمي لدورة الحياة في المخلوقات الحية وغير الحية [(١)]

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لولا العلم التجريبي العصري لما استقر رأي العلماء بالقاطعية على هذه التفاسير، ونلاحظ أنّ المفسرين بنوا على الانسجام بين العلم والقرآن لا التناقض بينها.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

القسم: أسلوب تربوي وسبيل قانوني، يعلمنا الله أنّه من أجل تطبيق وتنفيذ القانون، أو حل المشاكل أو إثبات أمر ما لابس بأس بسلوك القسم، ففيه تربية قانونية واجتماعية، وفيه بيان لعظم ومنزلة المقسم به (٢). وأسلوب القسم أنّ ذلك ممّا له خطورة في أذهان الناس أو واقع حياتهم. سواء أكان ذلك بسبب ما فيه من عظمة مشهد وروعة مظهر وقوة صورة، أم بسبب ما يثيره من معانٍ وآثار نفسية، أم بسبب ما له من نفع عظيم، أم بسبب ما يتصل به من عادات وتقاليد ومفاهيم. وإنّ ممّا هدفت إليه الأقسام التوكيد واسترعاء الأذهان والأسماع لما

(١) الشريف، عدنان، من علم الفلك القرآني، من علم

الفلك القرآني، ص: ٦١

(٢) البغدادي، علاء الدين علي بن محمد، لباب

التأويل في معاني التنزيل، ج٤، ص: ٣٦٩.

يأتي بعد القسم من تقريرات متنوعة الأهداف والمعاني^(١). وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) عزت ، دروزة محمد، التفسير الحديث، ج١، ص:

الأصل الثاني:

لم يتأثر القرآن بثقافة عصره سوى استخدامه لأساليب الكلام.

أولاً: المقصود منه:

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

أ. الثقافة: أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو الإدراك الدقيق المحيط^(١)، ثقفت الحديث: فهمته بسرعة^(٢).
ب. الأسلوب: الطريق والفن^(٣).

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، مادة (ثقف).

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح، مادة (ثقف).

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح، مادة (سلب).

٢. المقصود من هذا البحث

لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

أ. الثقافة: تتضمن الثقافة أموراً مشتركة بين جميع أبناء الوطن الواحد أو البيئة الواحدة. ومن أمثلة هذه الأمور المشتركة اللغة، والتاريخ، والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم^(١)

ب. الأسلوب: هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفضل في نفوس سامعيه^(٢)، الأسلوب. أو هو الطريقة التي يستخدم الكاتب بها الكلمات في صياغة الأدب^(٣).

المفهوم من هذا الأصل: والذي نريده أن القرآن لم يتأثر سلبياً بثقافة العرب التي واكبها في النزول، فمهما كانت من تقاليد أو خرافات أو عادات أو قيم سلبية أو جاهلية، بل هو وحي من الله مجرد عن تلك الماديات والأمور البشرية الباطلة والخرافات. سوى الأسلوب اللغوي.

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لابد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

(١) الشنتوت، خالد أحمد، خطر المربيّات، ج ١، ص ٥٣.

(٢) الجارم، علي وأمين، مصطفى، البلاغة الواضحة، ص ١٢.

(٣) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، باب الادب، ص ٨.

أ. عنوان الدليل: القرآن الكريم

إنّ الدليل على عدم سريان الثقافة الجاهلية العربية إلى القرآن هو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١).

ب. بيانه: الآية تصرّح بعصمة الأفكار القرآنية من كل ما سوى الحق والوحي وعدم تسرب الباطل إليه من الماضي أو المستقبل أو بالنقل أو المجاورة، وبتعبير آخر: فالقرآن مصون من ذلك مطلقاً^(٢)

ت. وجه الاستدلال:

بما أنّ الآية نفت كل ما هو باطل فهي نفت تأثير للثقافة الجاهلية على الوحي ونفت تسرب أي شيء من التقاليد العربية إلى متن الوحي ونصّ القرآن الكريم، وبعبارة أخرى: الآية كما نفت التأثير المستقبلي والماضي عن زمان نزول القرآن فهي كذلك - من باب الأولى - أن تنفي التأثير عليه زمن النزول.

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أن جملة: (لم يتأثر القرآن بثقافة عصره سوى استخدامه لأساليب

(١) فصلت، ٤١-٤٢.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٣، ومحمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، ج ٣،

الكلام.) تنطبق عليها مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. (لم يتأثر القرآن بثقافة عصره سوى استخدامه لأساليب الكلام.) جملة خبرية.
٢. تحكي عن امر واقعي بالخارج وهو أنه: (لم يتأثر القرآن بثقافة عصره سوى استخدامه لأساليب الكلام.)
٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى﴾ (١).

٢: التفسير:

حيث يقول بعض المفسرين في تفسير الآية: أي جعل الصّينفين من جميع الحيوانات، وذلك. ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى﴾ أي من نطفة - نواة صغيرة جداً - تصير مع المنى في رحم المرأة ويخلق منها الولد (٢). فالمقصود من النطفة في الآية هي نطفة الرجل وماؤه (٣).

(١) النجم، ٤٥، ٤٦.

(٢) محمد بن حبيب الله السبزواري النجفي، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٥٣،

(٣) محمد الهويدي البغدادي، التفسير المعين

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

فلو كان القرآن قد تأثر بثقافة العرب المعاصرين لنسب صيرورة الذكر والأنثى إلى الأم وإلى ماء الأنثى لا كما صرح القرآن الكريم. ومن هنا ذهب الكثير من المفسرين إلى أنّ المقصود من ﴿نُطْفَةٌ﴾ هو ماء الرجل، وأما لو لم نعتقد بهذا الأصل وذهبنا إلى أنّ القرآن الكريم قد تأثر بثقافة عصره فلا بدّ أن نحمل هذه الآية على التاويل لكي يوافق معناها ثقافة العرب الجاهلية القائلة: إنّ الأمّ هي المسؤولة عن ولادة الأنثى أو الذكر.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية:

يصرّح القرآن في الآية التالية مبيناً حاكمية الله في أمر ربوبيته وانتهاء أمور هذا العالم إليه فيقول: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ وهذه الآيات الأربع وما قبلها في الحقيقة هي بيان جامع وتوضيح طريف لمسألة انتهاء الأمور إليه وتدبيره وربوبيته، لأنّها تقول: أن موتكم وحياتكم بيده واستمرار النسل عن طريق الزوجين بيده، وكلّ ما يحدث في الحياة فبأمره، فهو يُضحك، وهو يبكي، وهو يميت، وهو يحيي، وهكذا فإنّ أساس الحياة والمعول عليه من

⇒

البداية حتى النهاية هو ذاته المقدسة^(١). وهذا الكلام عبارة عن أصل من أصول التربية وأصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٧، ص ٢٦٨.

الأصل الثالث: القرآن كتاب خالد وتعاليمه خالدة

أولاً: المقصود منه:

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:
١- الخلود في اللغة: خلد: الخلد: من أسماء الجنان، والخلود: البقاء فيها^(١)، والخُلد: دوام البقاء في دار لا يخرج منها. خَلَدَ يَخْلُدُ خُلْدًا وَخُلُودًا: بقي وأقام^(٢)، فالخلود: هو تبرّي الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها^(٣).

٢- ما نقصده في هذا البحث:

كما لابد أن نحدد المقصود اصطلاحاً من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي: الخلود هو الدوام في لغة العرب، وكذلك التأييد وأن استعمل في

(١) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، مادة (خلد).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلد).

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة (خلد).

غير ذلك فعلى سبيل المجاز^(١)، الخلود هو الدوام لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾^(٢)، فلو كان الخلود هو المكث الطويل وقد سبق قبله من عمر زماناً طويلاً لما كان هذا النفي صادقاً^(٣). فالخلود هو الدوام من وقت مبتدأ، ولهذا لا يقال لله تعالى خالد^(٤).

ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

- (١) المؤيدي، ابراهيم بن محمد بن احمد ي، الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح، ص ١٢٣ (٥) الانبياء، ٣٤.
- (٣) البحراني ابن ميثم، قواعد المرام في علم الكلام، ص: ١٦٥
- (٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص: ١٦٣.

أ- عنوان الدليل: القرآن الكريم

إنّ الدليل على أنّ القرآن يربّي جميع أبعاد الإنسان، هو قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١).

ب- بيانه:

إنّ إتيان الباطل إليه: وروده فيه، وصيرورة بعض أجزائه أو جميعها باطلاً بأن يصير ما فيه من المعارف الحقّة أو بعضها غير حقّة أو ما فيه من الأحكام والشرائع وما يلحقها من الأخلاق أو بعضها لغواً لا ينبغي العمل به^(٢)، والآية تنفي أن يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات أو ممّا فيه من الأخبار الماضية والأمور الآتية^(٣)، فالقرآن خالد لا يبطله شيء ممّا وجد قبله أو معه ولا يوجد بعده^(٤)، فلا يأتيه التبدّل والتحريف، أو التناقض بوجه من الوجوه^(٥)، ومن معاني الباطل الزيادة والنقصان^(١).

(١) فصلت، ٤٢.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٣٦٨.

(٣) البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٥، ص: ٧٣.

(٤) النيشابوري محمد بن ابي الحسن، إيجاز البيان عن معاني القرآن، ج ٢، ص: ٧٣١.

(٥) ابن عجيبة، احمد بن محمد، البحر المديد في

ت- وجه الاستدلال:

لِمَ امتنع الباطل أن يدنو من القرآن الكريم؟ دل ذلك على أنّ القرآن خالد، لأنّ الزوال والفاء والتبدل من معاني الباطل فلا يأتيه التبدل والتحريف، أو التناقض بوجه من الوجوه^(٢)، ومن معاني الباطل الزيادة والنقصان^(٣). فالقرآن ذكر خالد لأنّه محفوظ من الزوال أو النسيان^(٤)، ومفهوم الباطل لا يمكنه أن يعيق القرآن عبر العصور أو يعطله خصوصاً وأنه تعالى قال قبلها: ﴿وانه لكتاب عزيز﴾^(٥)، التي تدل على بقاءه وثباته.

⇒

تفسير القرآن المجيد، ج ٥، ص: ١٨٣.

(١) المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، ج ٨، ص: ٣٠١، و/ الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج ٤، ص: ٥٩٥.

(٢) ابن عجيبة، احمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج ٥، ص: ١٨٣.

(٣) المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، ج ٨، ص: ٣٠١، و/ الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج ٤، ص: ٥٩٥.

(٤) جلالان، حبيب الله، تاريخ تفسير قرآن كريم، ص: ١٩٣.

(٥) فصلت، ٤١.

ث- تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة: (القرآن كتاب خالد وتعاليمه خالدة) تنطبق عليها مناسبات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١- (القرآن كتاب خالد وتعاليمه خالدة) جملة خبرية.

٢- تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أنّ القرآن كتاب خالد وتعاليمه خالدة) .

٣- تعتبر هي من الأسس المؤثرة على عملية التفسير، إذ إنّ الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.

٤- كما أنّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

الفصل الأول.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرّض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنّها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنّها تشير إلى التفسير التربوي أو أنّ التفسير الذي ننقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تكون من محاور وهي كما يلي:

١ - الآيات

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرٌّ

السَّحَابِ﴾^(١).

٢- التفسير:

حيث يمكن أن نقسم كلام المفسرين لهذه الآية إلى قسمين: تفسير الأوائل وتفسير المتأخرين.

فمن تفسير الأوائل: عن ابن عباس في قوله ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾، قال قائمة^(٢)، أو يعنى تحسبها مكانها ﴿وهي تمرّ السحاب﴾ فتستوي في الأرض^(٣)، وقال ابن عربي: ﴿وَتَرَى﴾

(١) النمل، ٨٨.

(٢) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في تفسير المأثور، ج ٥، ص: ١١٨.

(٣) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٢، ص ٤٨٧.

جبال الأبدان ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ ثابتة في مكانها ﴿وَهِيَ تَمْرٌ﴾ وتذهب وتتلشى بالتحليل كالسحاب لتجتمع أجزاءؤها عند البعث^(١)، وقال الفخر الرازي: إعلم أنّ هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة وهي تسيير الجبال، والوجه في حسابانهم أنّها جامدة فلأنّ الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمّت والكيفية ظن الناظر إليها أنّها واقفة مع أنّها تمر مرّاً حثيثاً^(٢).

وأما تفسير المتأخرين:

الرؤية قد تكون بصرية مجردة، أو ببصيرة حاصلة أو محصلة علمية، أو ببصيرة الوحي، أترى «و ترى» هنا تعني الرسول - أم وكل راءٍ سواه؟ إنّها تعني الرسول كمخاطب أوّل بوحى القرآن، ثمّ سائر المكلفين بما يحمله الرسول إليهم، اللهم إلاّ بقريظة قاطعة تخص الخطاب به وليست هنا فليس.

فكل راءٍ إلى الجبال كقواعد للأرض يحسبها بقواعدها جامدة لا حراك لها «و هي تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ» خارجاً عن الإحساس،

(١) ابن عربي، محي الدين محمد، تفسير ابن عربي، ج ٢، ص: ١١٣.

(٢) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص: ٥٧٤.

والرسول هنا كسائر الناس إلا أن يوحى إليه بما يتجاوز الإحساس، وقد أوحى إليه «وَهِيَ تَمُرُّ» وما أجمله تعبيراً وأمثله مثلاً حيث السحاب المارة لا ترى بداية الرؤية أنها تمر، إلا بعد رجوع البصر وقياس بعضها إلى بعض، فهي متحركة بحسب أنها جامدة كما كانت الأرض محسوبة على جمود، ومن حراك الجبال أن قسماً منها تنقل من قواعدها إلى أخرى خلال رده بعيد من الزمن كما كشف عنها علم معرفة الأرض^(١). وقال الشيخ مكارم الشيرازي: وما نستنتجه من هذا التفسير، هو أن هذه الجبال التي نتصورها ساكنة «جامدة» هي في سرعة مطردة في حركتها... ومن المقطوع به أنه لا معنى لحركة الجبال من دون حركة الأرض المتصلة بها، فيتضح من الآية أن الأرض تتحرك كما يتحرك السحاب! ووفقاً لحسابات علماء اليوم فإن سرعة حركة الأرض حول نفسها تقرب من (٣٠) كيلومتر في كل دقيقة، وسرعة سيرها في حركتها الانتقالية حول الشمس أكثر من هذا المقدار...

لكن علام عني بالجبال دون غيرها؟ لعل ذلك إنما هو لأن الجبال يضرب بها المثل لثقلها وقرارها، وتعدّ مثلاً حسناً لبيان قدرة الله سبحانه، فحيث إن هذه الجبال

(١) صادقي طهراني، محمد، الفرقان في تفسير القرآن

على عظمتها وما فيها من ثقل، تتحرك كالسحاب بأمر الله «مع الأرض» فقدرته على كل شيء «بيّنة، وثابتة»!.
و على كل حال، فالآية آنفة الذكر تعدّ من معاجز القرآن العلمية... لأننا نعلم أنّ أول العلماء الذين اكتشفوا حركة كرة الأرض هو «غاليلو» الإيطالي و«كبرنيك» اللذين أظهرتا هذه الحقيقة للملأ في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر! بالرغم من أنّ رجال الكنيسة حكموا عليهما حكماً صارماً، وتعرضا لمضايقات كثيرة..

إلا أن القرآن كشف الستار عن وجه هذه الحقيقة قبل ذلك بألف عام تقريبا وبيّن حركة الأرض بالأسلوب الأنف الذكر على أنّها بعض أدلة التوحيد! ويرى بعض فلاسفة الإسلام في الوقت الذي يقبلون فيه التفسير الثاني، وهو الإشارة إلى حركة الجبال في هذا العالم، أن الآية ناظرة إلى «الحركة الجوهرية» في الأشياء، واعتقدوا أن الآية منسجمة والنظرية المعروفة بالحركة الجوهرية ومؤيدة لها^(١).

محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

فلو أنّ القرآن الكريم محصوراً في القرون الأولى ومواضيعه ومحدداً بمفاهيمه ولا يناقش أو يشير إلا إلى احتياجاته، لما

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله

اختلف المفسرون وتطور التفسير مواكباً لحركة العلم والمعرفة والمعطيات التجريبية، فالقرآن كتاب لجميع الأجيال ويتفاعل مع جميع الحقائق الكونية والطبيعية، لذا استخدم بعض المفسرين العلوم نتائج العلوم الحديثة وفسروا القرآن وفقها لها، اعتماداً على أن القرآن كتاب خالد وتعاليمه خالدة ليست محددة بقرن أو إقليم أو عرق.

نموذج للتفسير التربوي من الآية

التربية العلمية هي أحد الأبعاد التربوية التي يجب أن يملأها القرآن الكريم، وذلك لأن الإنسان الكامل في نظر القرآن والتربية الإسلامية هو الإنسان العالم، وعليه نرى أن القرآن الكريم في هذه الآية بدعوته إلى النظر ﴿وترى﴾ و﴿وهي تمر مر السحاب﴾، إذاً الفقرتين بسياقهما وجمعهما يظهر منهما الدعوة إلى التأمل في الجبال وأسرارها، وهو أحد أساليب التربية العلمية للإنسان، كما أننا يمكن أن نعتبر القرآن مصدراً علمياً جيولوجياً وبذلك يسهم القرآن في زيادة المعرفة وهو إثراء وتكميل للتربية العلمية عند الإنسان.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية أو التربية العلمية ومصدر من مصادرها وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

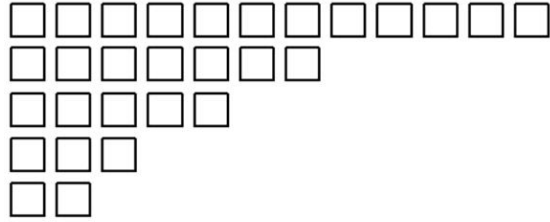
وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب وطريقة من أساليب التربية أو

التربية العلمية ومصدر من مصادرها وتوقف
على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن
الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه
التفسير التربوي الجديد.

خلاصة الفصل الثالث

احتوى الفصل الثالث على المقدمة، حيث أردنا أن نقدم للفصل الثالث بما يناسب أن يمهد الطريق لمباحثه، فارتأينا أن تكون المقدمة عبارة عن: تمهيد، وبيان الأهداف المتوخاة من هذا الفصل وبيان للمنهج التطبيقي، بحث الأصول الخاصة، أي الخطوات التي يمر بها البحث في كل أصل. وكانت نتائج هذا الفصل أن الأصول الخاصة في التفسير التربوي هي كما يلي:

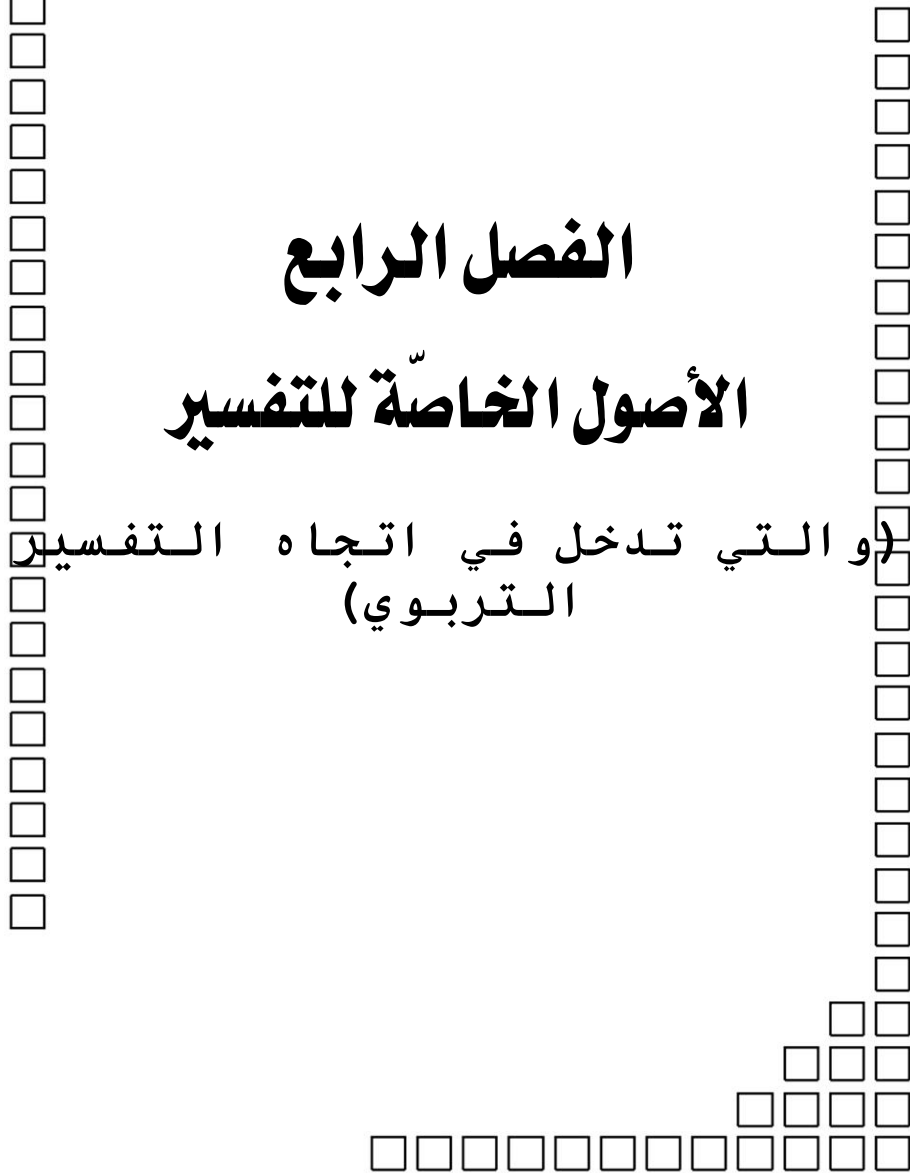
١. القرآن لا يتعارض مع العلم.
٢. لم يتأثر القرآن بثقافة عصره سوى استخدامه لأساليب الكلام.
٣. القرآن كتاب خالد وتعاليمه خالدة.



الفصل الرابع

الأصول الخاصّة للتفسير

(والتّي تدخل في اتجاه التفسير
التربوي)



الفصل الرابع: الأصول الخاصة للتفسير

المقدمة

نحاول أن نقدم للفصل الرابع بما يناسب أن يمهد لمباحثه الطريق، فارتأينا أن تكون المقدمة عبارة عن: تمهيد، وبيان الاهداف المتوخاة من هذا الفصل وبيان للمنهج التطبيقي في بحث الأصول الخاصة.

تمهيد

نريد في هذا الفصل أن نتطرق إلى ذكر وتعداد الأصول التي يبتني عليها التفسير التربوي بطابعه الخاص، وهي الأصول التي تختص باتجاه التفسير التربوي. فالتفسير التربوي والذي يحتاج إلى أصول خاصة متأخرة مرحلياً عن البيان أو التفسير العام الأولي للقرآن الكريم والذي كذلك يحتاج إلى أصول يبتني عليها، إذ أن الأصول الخاصة للتفسير هي في الحقيقة جزء من الأصول التي يتأسس عليها التفسير التربوي، ولا يمكن الوصول

إلى التفسير التربوي إلاّ بعد طي شوط مهم وهو الكشف عن مداليل القرآن الكريم بشكله العام والتخصصي من خلال بيان المفردات أو التفاعل بين الآيات مطلقها ومقيدها وعامها ومخصصها.

وبعبارة أخرى: أنّ التفسير التخصصي لا يمكن أن يولد إلاّ في أحضان التفسير التقليدي، الترتيبي منه أو الموضوعي، والتفسير التخصصي مرحلة متطورة عن العام أو البسيط أن صحّ التعبير. فلا يمكن أن يؤسس التفسير التربوي بدون الأصول الخاصة للتفسير، فالأصول الخاصة للتفسير هي في الحقيقة أصول للتفسير التربوي، ومقدمة له وأساس يقوم عليها وتحدد مجاله العلمي ودائرته المعرفية.

أهداف الفصل الرابع

إنّ الهدف الأصلي من هذا الفصل هو: تعداد الأصول الخاصة للتفسير والتي يبتني عليها التفسير التربوي. وأمّا الأهداف الفرعية فهي:

١. شرح وبيان تلك الأصول ومفاهيمها.
٢. عرض الأدلة المؤدية إليها.
٣. ذكر نماذج تطبيقية من التفسير لتلك الأصول وأثرها فيه.

الخطوات: البحث في كلّ أصل

سيكون العمل إن شاء الله تعالى - في تعداد وبيان الأصول الخاصة للتفسير التي يقوم التفسير التربوي عليها - عبر خطوات بحثية تكمل بعضها البعض لرسم

- الصورة الأوضح لكل أصل تفسيري مدروس، وهذه الخطوات هي عبارة عن:
١. عنوان الأصل: أي نذكر أسم الأصل فقط
 ٢. بيان معناه: أي نبين المراد منه وما هو معناه.
 ٣. الدليل عليه، وفيه:
 - أ. عنوان الدليل.
 - ب. بيانه.
 - ت. وجه الاستدلال.
 - ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل.
 ٤. تطبيقاً لهذا الأصل من خلال التفسير نذكر هنا أمثلة على التفاعل بين الأصول وعملية التفسير أي نماذج تطبيقية لتأثير الأصول على الاستنباط التفسيري (اختصرنا على نموذج واحد للاختصار).
 ٥. محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري.
 ٦. نموذج للتفسير التربوي من الآية.

الأصل الأول: القرآن كتاب تربوي

أولاً: المقصود منه

لابد أن نبيّن المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:
١. في اللغة

التربوي: نسبة إلى التربية، والتربية تكون بمعنى التزييد وإصلاح الشيء نحو تكامله من حيث رفع نقصه وتولي أمره (١).

٢. المقصود من هذا البحث

كما لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

كتاب تربوي: أي هو كتاب يقدم يعرض عملية علمية – وفقاً للتعاليم الإسلامية – طرفينية تهدف تنمية الاستعدادات والإمكانات الموجودة في المتربي

(١) انظر الفصل الأول من هذه الرسالة، ١-٤ تعريف التربية لغة واصطلاحاً، ٢: النتيجة النهائية.

وإيصاله إلى الكمال المنشود وهو سعادة الدنيا والآخرة^(١).

ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل: الشهرة بين المتخصصين

إنّ الدليل على أنّ القرآن كتاب تربية هو ما اشتهر بين المفسرين والمتخصصين في علوم القرآن، والتي تعبّر عن قناعتهم التي توصلوا لها من خلال تفسير الآيات ومن خلال دراسة القرآن وسبر أغواره.

ب. بيانه: وهنا نحاول عرض بعضاً من كلمات المتخصصين بشأن القرآن:

١. القرآن كتاب تربية عملية وتعليم، لا كتاب تعليم فقط، فلا يكفي أن يذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمعهد في متون الفنون وكتب القوانين، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله في موضوع البعثة المحمدية: ﴿يَسِّحُ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَأَنْ كَانُوا مِنْ قَبْلٍ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، فأياته المتلوة هي سور القرآن، المرشدة إلى سننه في

(١) انظر الفصل الأول من هذه الرسالة، ١-٤ تعريف

التربية لغة واصطلاحاً، ٥ التعريف المختار.

(٢) الجمعة: ١، ٢.

الأكوان، والتزكية هي التربية بالعمل وحسن الأسوة، و(الكتاب) هو الكتابة التي تخرج العرب من أميتهم، و(الحكمة): هي العلوم النافعة الباعثة على الأعمال الصالحة^(١).

٢. القرآن كتاب تربية وتهذيب قبل كل شيء، فهو يمهد الطريق إلى العقول والقلوب، قبل أن يغرس فيها ما يغرس من حقائق، شأن المرابي الذي يقدم وسائل الإيضاح بين يدي الحقائق التي يريد عرضها على الطالبين^(٢).

٣. أن القرآن أولاً وقبل كل شيء هو كتاب تربية وتقويم لأن الله تعالى رب العالمين المرابي لهم والمقوم، ووسيلته الأولى في التربية التعاليم المنزلة، وأهمهما القرآن الكريم. فهو يرابي ويسعد وينظم العلائق لتؤهل الفرد والمجتمع للسعادة في الدارين، وهو هدف واضح في كل الأحكام التي هي روح القرآن. ومن هنا يحمل المفسرون كل إطلاق يوهم خلاف هذا على هذا المقيّد^(٣).

(١) محمد رشيد رضا الوحي المحمدي، الوحي المحمدي، ص ١١٩.

(٢) سيد علي موسى داراني، نصوص في علوم القرآن، ص: ٤٨٧.

(٣) محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص: ١٤٢.

٤. بما أن القرآن كتاب تربية، وبما أن صفات النفس ترتبط ببعضها، فإن القرآن المجيد يلاحق النفس البشرية بما يصلحها من التوجيهات أن طغت - إفراطاً - صفة عليها عالجهما بحكمة. فإن طغت - تفريطاً - عالجهما بحكمة أخرى، ولا يزال يعدلها حتى تتحول إلى نفس سوية. ونستفيد من دراسة علاقة الآيات التربوية ببعضها، نستفيد علماً بخبيئة النفوس، ومعرفة بالقوانين التربوية التي تتحكم فيها. وكمثل لهذه العلاقة نذكر قوله سبحانه: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). أن جمل هذه الآية ثلاث: الأولى في الإنفاق. والثانية في النهي عن إلقاء النفس في التهلكة. والثالثة في الإحسان^(٢).

٥. القرآن كتاب تربية عملية وتعليم، لا كتاب تعليم فقط، فلا يكفي أن يُذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمعهود في كتب الفنون والقوانين^(٣).

٦. أن القرآن إنما جاء ليتدبره الناس، فيصباحوا عبيداً لله بالطوع

(١) البقرة، ١٩٥.

(٢) مركز الثقافة والمعارف القرآنية، علوم القرآن عند المفسرين ج١، ص: ٤٨١.

(٣) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج١١، ص١٧١.

والاختيار، كما خلقهم عبداً له بالفطرة. ومن أجل هذا، كان لا بد أن ينهج بالناس نهجا تربوياً في كل ما يأتيهم به من أخبار وآيات وعظات وأحكام. ومن أجل هذا كان هذا الكتاب أعظم مصدر للتربية إلى جانب أنه أعظم كتاب يقدم للإنسان حقائق الكون كله^(١).

٧. لا شك أن القرآن كتاب حكمة وهداية وتربية وإرشاد ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٢) (٣).

٨. أن القرآن الكريم كتاب هداية وتربية وتوجيه، وقد أنزله الله تعالى لتربية هذه الأمة وإنشائها وإعدادها إعداداً كاملاً لتكون أمة سالحة، فلا بد أن يكون جامعاً وحاوياً لجميع ميادين التربية في حياة الإنسان، فهو كتاب توحيد خالص من شوائب الشرك والإلحاد، وكتاب حكمة ومعارف حقة، وكتاب تربية الروح والعقل، وتزكية النفس وتربية الجسد، وكتاب تربية الفرد والمجتمع، وسوق كل منهما إلى منتهى الكمال، وكتاب أخلاق يحتوي على جميع الفضائل العامة

(١) محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص:

٢١١.

(٢) آل عمران، ١٤٦.

(٣) محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج٦،

ص: ٦.

الإنسانية. كما أنه كتاب يوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح، وبين الدنيا والآخرة، بلا اختلاف يتداخل فيه جميع الشؤون المرتبطة بالإنسانية على نحو الإعجاز في كل جانب، فهو كتاب كما وصفه عليّ%: «ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه، لا تكشف الظلمات إلاّ به» فهدفه إعداد الإنسان الصالح وترقيته من حضيض الرذيلة إلى أوج الشرف والكمال^(١).

٩. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾^(٢)، يقول الشيخ السبزواري النجفي: تأكيداً لكون القرآن متصفاً بالهداية والإرشاد للطريقة التي هي أقوم الطرق وأشدها استقامة^(٣).

١٠. أن القرآن كما يكون كتاب هداية وتعليم، يكون كتاب اصطلاح كسائر الكتب العلمية والفتية^(٤).

(١) السبزواري، عبدالاعلي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج ٩، ص: ٧٩.

(٢) الاسراء، ٩.

(٣) السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٨٨.

(٤) الخميني، السيد مصطفى، تفسير القرآن الكريم، ج ٣، ص: ١٥٧.

١١. القرآن كتاب هداية ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١)

هذه هي الصفة الثالثة من صفات الكتاب الكامل في كل شيء الذي لا ينبغي لأحد أن يرتاب فيه، فهو هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ. أنه كتاب هداية، وهذا هو دوره الأصيل، وليس دوره أن يكون كتاباً يتحدث عن المخترعات أو عن أي شيء آخر مما ينسب إليه، إنما هو كتاب هدى للإنسان ليوجهه إلى الطريق الصحيح والصراط المستقيم^(٢).

ت. وجه الاستدلال

لقد صرح المتخصصون بالمطلوب وهو أن القرآن كتاب تربوي، وذكر بعضهم الدليل، هو الآية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، فالهداية هي التربية كما صرح بذلك الدكتور علي شريعت مداري^(٤).

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أن جملة: (القرآن كتاب تربوي) تنطبق عليها مناسبات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي

(١) البقرة، ٢.

(٢) تفسير من وحي القرآن، ج١، ص: ١٠٤.

(٣) البقرة، ٢.

(٤) شريعت مداري، علي، تعليم وتربيت اسلامي، ص٤٢.

الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. (القرآن كتاب تربوي) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن القرآن كتاب تربوي).
٣. وتعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيقاً لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرّض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني أنها تشير إلى التفسير التربوي وان التفسير الذي ننقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (١).

٢: التفسير:

أَنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا تَطَرَّقَتْ لَهُ الْآيَاتُ الْمُبَارَكَاتُ هُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَبِينٌ لِكُلِّ شَيْءٍ .
«تبيان» (بكسر التاء أو فتحها) له معنى مصدرى، ويمكن الاستدلال بوضوح على كون القرآن بياناً لكل شيء من خلال ملاحظة سعة مفهوم «كل شيء»، ولكن بملاحظة أَنَّ القرآن كتاب تربية وهداية للإنسان، وقد نزل للوصول بالفرد والمجتمع - على كافة الأصعدة المادية والمعنوية - إلى حال التكامل والرقي، يتَّضح لنا أن المقصود من كل «شيء» هو كل الأمور اللازمة للوصول إلى طريق التكامل، والقرآن ليس بدائرة معارف كبيرة وحاوية لكل جزئيات العلوم الرياضية والجغرافية والكيميائية والفيزيائية... إلخ، وإنما القرآن دعوة حق لبناء الإنسان، صحيح أَنَّهُ وَجَّهَ دَعْوَتَهُ لِلنَّاسِ لِتَحْصِيلِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنَ الْعُلُومِ، وَصَحِيحٌ أَيْضاً أَنَّهُ قَدْ كَشَفَ السِّتَارَ عَنِ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَجْزَاءِ الْحَسَّاسَةِ فِي جَوَانِبِ عِلْمِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ ضَمَّنَ بَحْوْثَهُ التَّوْحِيدِيَّةَ وَالتَّرْبَوِيَّةَ، وَلَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ الْكَشْفُ هُوَ الْمُرَادُ، وَإِنَّمَا تَوْجِيهِ النَّاسِ نَحْوَ التَّوْحِيدِ وَالتَّرْبِيَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي تُوَصِّلُ الْإِنْسَانَ

إلى شاطئ السعادة الحقّة من خلال الوصول لرضوانه سبحانه.

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

فقد تغير ظهور قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، من الإطلاق إلى خصوص الشأن التربوي، وذلك لقريظة لُبِيّة مصاحبة لمضامين الآيات القرآنية، وهي أنّ القرآن كتاب تربية، فالغرض التربوي الرئيس هو: إيجاد التغيير الاجتماعي (الجزري) للإنسانية، من خلال رسم الطريق والمنهج لهذا التغيير، و(خلق القاعدة الثورية) التي تميزت بهذا المنهج والتزمت وتغيرت على أساسه^(٢). فالتفسير المختار توقف على كون أنّ القرآن كتاب تربوي، وهذه القريظة أصل تفسيري مساهم في الفهم القرآني.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

يمكننا الاستفادة من هذه الآية أنّ البيان التام من طرق التربية الإسلامية الصحيحة، فبالبيان تتضح المسائل التربوية والإرشاد التربوي والهداية إلى الصواب وتنمّي القدرات عند المتربّين، بعكس الغموض أو عدم الوضوح في التربية أو الضبابية في التعاليم أو حتى عدم القطع أو النص على سبل التربية، فإنّها ممّا يوهم المتربّي، فالبيان التام - في

(١) النحل، ٨٩.

(٢) الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص: ٤٧.

الإرشاد والتربية - بحد ذاته طريقة تربوية ناجحة.
وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.
وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل الثاني: القرآن هادف وهاد

أولاً: المقصود منه

١. في اللغة:

أ. (هدف): الهاء والذال والفاء: أُصِيْلُ يدلُّ على انتصابٍ وارتفاع. وَالْهَدَفُ: كُلُّ شَيْءٍ عَظِيمٍ مَرْتَفِعٍ، وَالْهَدَفُ: الْغَرَضُ^(١).
ب. (هدي) الهاء والذال والحرف المعتل: أصلان [أحدهما] التقدُّم للإرشاد، والآخر بَعَثَةٌ لَطْفٍ. فالأوَّلُ قولهم: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أي تقدَّمْتُه لأرشدَه. وكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لذلِكَ هَادٍ. والأصل الآخر الهَدِيَّةُ: ما أَهْدَيْتَ مِنْ لَطْفٍ إِلَى ذِي مَوَدَّةٍ^(٢).

٢. المقصود من هذا البحث:

إنَّ القرآنَ كتابَ يسعى لتحقيقِ هدفٍ معيَّنٍ وهو هداية الإنسان والمجتمع البشري نحو الكمال المطلق. ولم تكن آيات القرآن ارتجالية أو غير مدروسة النزول أو

(١) انظر: الرازي، أحمد بن فارس زكريا مقاييس اللغة، مادة (هدف).

(٢) انظر: الرازي، أحمد بن فارس زكريا مقاييس اللغة، مادة (هدي).

الترتيب أو لا يربطها محاور أساس تمشي نحو تحقيقه بل العكس تماماً.

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ. عنوان الدليل: الآيات القرآنية

وهناك الكثير من الآيات التي تشير إلى ذلك منها:

١. قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١).

٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٢).

ب. بيانه:

إنَّ القرآن الكريم ينص على أمر مهم وواضح وهو أنه كتاب الله أي القرآن الكريم هادف ويتحرك في سبيل تحقيق هدفه بجميع الوسائل المتاحة من البلاغة والأدب والقصة والمثل والعلم، وهاتان الآيتان من الآيات التي تؤكد بأن القرآن الكريم هادف هاد وأن الهداية هي الهدف الأكبر للقرآن الكريم، وبظهور هاتين الآيتين يمكننا إثبات أن القرآن الكريم هادف وهاد، فلو ثبت أن القرآن الكريم هادف

(١) إبراهيم، ١.

(٢) الاسراء، ٩.

وهاد فإن هذه النتيجة تؤثر على سير العملية التفسيرية للقرآن الكريم لا سيما ذات الطابع التربوي ونتائجها والعكس بالعكس.

ت. وجه الاستدلال:

١. لقد علل في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ﴾^(١)، نزول القرآن بسبب صريح وهو: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، إذ إن اللام لام التعليل^(٢).
٢. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾^(٣)، أي يدعو للطريقة التي هي أشد استقامة^(٤)، ففي الآية (تأكيد لكون القرآن متصفاً بالهداية والإرشاد بحيث ما كان غيره من الكتب السماوية بهذه الكيفية، ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾ للطريقة التي هي أقوم الطرق واشدها استقامة... و استدل بهذه الآية على أن هذا القرآن يهدي إلخ...) ^(٥).

(١) إبراهيم، ١.

(٢) محمود بن عبد الرحيم الصافي، الجدول في إعراب القرآن، ج ١٣، ص ١٥١.

(٣) الاسراء، ٩.

(٤) محمد بن مرتضى الكاشاني، تفسير المعين، ج ٢، ص ٦٩٨.

(٥) انظر: محمد بن حبيب الله، السبزواري النجفي، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ج ٤، ص ٢٧٤.

ث. تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ (القرآن هادف وهاد) تنطبق عليه مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله (١).

فهي:

١. (القرآن هادف وهاد) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو أن القرآن ذو هدف وذو هداية).
٣. وتعتبر هي الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إنّ الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلاّ فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تكون من محاور وهي كما يلي:

١-: الآيات:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

٢-: التفسير:

سيكون التفسير ناظراً إلى كلمة ﴿شِفَاءٌ﴾ في الآية المباركة فإن الشفاء المراد ليس من الأمراض البدنية وذلك هو الشفاء المتعارف من الأمراض الجسدية، وإنما المراد من الشفاء هو تحصين العقل وطرده الشبهات والوصول للإيمان وصحة العقيدة وإبطال مفاسد الشيطان وزيوغ القلب. وإليه ذهب كثير من المفسرين^(٢). هي

(١) يونس ٥٧.

(٢) نور الثقلين، ج ٢، ص ٣٠٧، وجوامع الجامع، ج ٢، ص ١١٧ والتبيان ج ٥، ص ٣٩٤.

شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ بَرءٌ لِلنَّفُوسِ تَعَاْفِيهَا مِمَّا فِيهَا مِنَ الْجَهْلِ. وَقَدْ ذَكَرَ الصُّدُورِ لِأَنَّهَا تَحْوِي الْقُلُوبَ وَالنَّفُوسَ الَّتِي هِيَ مِنْ أَشْرَفِ مَا فِي الْبَدَنِ، فَمَوْعِظَتُهُ سَبْحَانَهُ شِفَاءٌ لِلنَّفُوسِ مِنَ الْجَهْلِ، وَلِلْقُلُوبِ مِنَ الْغَلِّ وَهُدًى: أَي دَلَالَةٌ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَي نِعْمَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِهَا وَأَنْتَفَعَ بِمَا فِيهَا. وَجَمِيلٌ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ (الْمَجْمَعِ) (: مِنْ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَصَفَ الْقُرْآنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَرْبَعِ صِفَاتٍ: بِالْمَوْعِظَةِ، وَالشِّفَاءِ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَبِالْهُدَى، وَالرَّحْمَةِ^(١) .

وهذه دلالات واضحة من الآيات القرآنية على أن القرآن الكريم كتاب هادف وهاد، لقد أشارت الآية الكريمة حقائق تربوية يمكن للقرآن الإتيان بها وهي الشفاء العلمي والعقدي والفكري والديني، ومن هنا نجد اتجاه التفسير التربوي حاضراً.

٣- محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

إذا فسرنا الآية دون الالتفات إلى هذا الأصل (القرآن هادف وهاد) فقد يكون المعنى من الشفاء هو الشفاء من الأمراض البدنية والجسدية، أما إذا اعتقدنا أن التفسير يجب أن يبنى على هذا الأصل وإلا يتجاوزه وأن أهداف القرآن هي قرائن لبية لفهم القرآن عندها سيكون معنى

(١) محمد بن حبيب الله، السبزواري النجفي، الجديد في

تفسير القرآن المجيد، ج ٣، ص: ٤٣٤.

الآية: الشفاء المعنوي، لأن القرآن كتاب هداية^(١) وليس بكتاب طب.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

يمكننا أن نفهم أنّ الموعظة أسلوب تربوي على المرّبي أن يحترفها لما لها من أثر إيجابي على المتربي، فمن قوله تعالى ﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يشير إلى أنّ المرّبي ﴿رَبِّكُمْ﴾ يمكنه استخدام الوعظ لإحياء القلوب وإنارتها.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وقد توقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) انظر: السيد محمد باقر الحكيم تفسير سورة

الأصل الثالث: اللغة القرآنية لغة تربية

أولاً: المقصود منه:

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

من اللغو واللغا: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع^(١). واللغو: أصلان صحيحان: أحدهما يدل على الشيء لا يعتد به. والآخر على اللهج بالشيء، فالأول - اللغو: ما لا يعتد به من أولاد الإبل في الدية، واللغا هو اللغو بعينه. واللغو في الأيمان: ما لم تعقدوه بقلوبكم. والثاني - لغى بالأمر، إذا لهج به^(٢)، واللغة: من الأسماء الناقصة وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم^(٣).

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (لغا).

(٢) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس اللغة، مادة (لغو).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (لغا).

٢. المقصود من هذا البحث:

لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:
 إنَّ الخطاب القرآني موجه لكل الناس وفي جميع الأزمان^(١)، قال عزَّ من قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٢)، وكل من لغة القرآن أو لسان القرآن أو أسلوب القرآن أو خطابه، سنتعامل معها في معنى واحد وهو كيفية الخطاب القرآني وأسلوبه أو طريقة خطابه ويعبر عن ذلك بـ (لغة القرآن). فقد استعمل اللسان في القرآن بمعنى اللغة^(٣)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾^(٤). أن المقصود من لسان القرآن ليس لغته، بل المقصود هو أن القرآن الكريم من حيث الكلمات والأدوات اللغوية والجمل بما تحملها من مزايا وخصائص سواء كانت إخبارية أم انشائية، حقيقية أم مجازية، تمثيلية أم اسطورية، مؤلفة من مقطع واحد أم من مقاطع، وبكلمة المفردات المستخدمة في القرآن هل تدل

(١) النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ص ١٨٢.

(٢) يونس، ٥٧.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢١٤.

(٤) ابراهيم، ٤.

على هذه المعاني العرفية الوضعية المتداولة لدى البشر أم هي تدل على المسميات الحقيقية؟ ثم إن القرآن عند تفهيمه للخطاب ما هو الأسلوب الذي استعمله، هل هو الأسلوب العام أم العاطفي، أو العلمي أو الرمزي، فهل ساحته ومجاله العام تربوى أو غير ذلك؟ ذهب أحد الكتاب المعاصرين إلى تعريف لسان وخطاب الكتب السماوية والتي منها القرآن بـ (لسان الدين والإيمان) وبخصوص الخطاب القرآني كتب: أن لغة القرآن هي لغة هداية لروح الإنسان وقلبه، وحث الناس على النهج الروحي عبر التعلق بالله والآخرة في جميع مفاصل الحياة ووقائعها الدنيوية، ويثير فيهم عمق المسؤولية والواجب إزاء الحق تبارك وتعالى^(١).

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ - عنوان الدليل: قطع المتخصصين بالعلوم القرآنية.

ب - بيانه:

نتطرق إلى ذكر بعض الآراء لبعض المتخصصين الذين ثبت عندهم هذا الأصل التفسيري:

(١) فراستخواه، مقصود، زبان قرآن، ص ٢٧.

١. إذ يعتقد بعض المعاصرين أيضاً أنّ لسان القرآن هو لسان هداية فيقول: (اعتقد أنّ أقرب معنى إلى المنطق في تفسير اللغة والخطاب القرآني أن نطلق عليه خطاب ولسان الهداية، والهداية تعني الإرشاد نحو الهدف، وهو سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية والاستجابة لنداءه تعالى في الارتقاء بوجوده وصقل استعداده وقدراته وليبلغ الهدف الذي خلق من أجله وهو الفوز بالكمال الإنساني^(١)).

٢. ويستمر الأسلوب القرآني في تربية الإنسان على تنمية التصور الفكري والروحي لعقيدة التوحيد، من خلال ما أودعه الله في الكون من مواقع نعمه وأسرار عظمته، في ما يريد الله له أن يفكر به، ويحرك عقله في آفاقه، ويهتدي به^(٢).

٣. أن القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً ولا كتاباً مدرسياً - كما عرفنا ذلك في بحث الهدف من نزول القرآن - فهو ليس كتاب فقه أو تاريخ أو أخلاق، وإنما هو كتاب هداية وتربية وهدفه الأساس هو إحداث التغيير الاجتماعي؛ والأسلوب

(١) سعيدى روشن، محمد باقر، تحليل زبان قرآن، ص ٣٨٦.

(٢) فضل الله، السيد محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، ج ١٣، ص: ٢٠١.

القرآني خضع لهذا الهدف في طريقة العرض وفي التدرج في النزول وفي غير ذلك من الظواهر القرآنية، كوجود الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه. وهذه الطريقة في العرض من الخصائص البارزة في القرآن الكريم التي خضعت لهذا الهدف للتمكن من إحداث التأثير المطلوب في نفسية الإنسان المعاصر لنزول القرآن، بل ولكل إنسان يستمع للقرآن الكريم أو يقرأه. والنتائج العظيمة التي حققها القرآن الكريم في المجتمع الجاهلي أفضل شاهد على انسجام هذا الأسلوب مع الهدف الأساس للقرآن الكريم^(١).

٤. الآية ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(٢) قد احتوت تقرير كون المرأة في

الخطاب القرآني التشريعي الاجتماعي والتأديبي أيضاً طرفاً مسؤولاً مثل الرجل كما هو شأنها في الخطاب التشريعي المالي والسياسي والتعبدي والقضائي والشخصي^(٣).

٥. أن هذه السورة المكية [السجدة] نموذج آخر من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري بالعقيدة الضخمة التي جاء القرآن ليوقظها في الفطرة، ويركزها في

(١) الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ص: ١٤١.

(٢) النور، ٣١.

(٣) دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، ج ٨، ص:

القلوب: عقيدة الدينونة لله الأحد الفرد الصمد، خالق الكون والناس، ومدبر السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما من خلائق لا يعلمها إلا الله. والتصديق برسالة محمد- صلى الله عليه وسلم- الموحى إليه بهذا القرآن لهداية البشر إلى الله^(١).

٦. أن أسلوب القرآن في رسم الأشخاص وفي تصوير الأحداث وفي إقامة الحوار وفي توزيع العناصر القصصية وتحريكها وهي العملية الفنية المبتغاة أو المقصودة. هي أن تكون هذه القصص مصدر هداية وإرشاد ووعظ وترغيب وبالمقابل ترهيب وتنفير وزجر ووعظ^(٢).

٧. لقد كان الأسلوب القرآني يؤكد على إثارة هذا الجانب [التربوي]، في أكثر الآيات التي تتحدث عن الأحكام الشرعية أو المفاهيم الأساسية العامة، وهذا هو الأسلوب الذي ينبغي للعاملين في حقل التربية الإسلامية أن يثيروه في مجالات الدعوة والتبليغ^(٣).

(١) السيد بن قطب بن ابراهيم الشاذلي، في ظلال

القرآن، ج ٥، ص: ٢٨٠٢.

(٢) محمد احمد خلف الله، خليل عبد الكريم، الفن

القصصي في القرآن، ص، ٤٤٣.

(٣) فضل الله، السيد محمد حسين، تفسير من وحي

القرآن، ج ٧، ص: ٢٢٤.

ت. وجه الاستدلال:

إِنَّ المتخصصين بالقرآن عرفوا أَنَّ لغة القرآن لا تنفك عن ماهية القرآن، ولأنَّ القرآن كتاب هداية وتربية^(١)، فليس من الحكمة إِلَّا تكون لغة القرآن مِنْ سِنخ الكتاب وضمن هدفه. والله حكيم - ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) - الذي لا ينقض غرضه

ث- تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أَنَّ جملة: (اللغة القرآنية لغة تربوية) تنطبق عليها مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أَنَّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(٣). فهي:

(١) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، ج ٢، ص: ٤٤٠، والخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، ج ٥، ص: ٤٥.

(٢) الانعام، ١٨.

(٣) كما مرَّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في الفصل الاوّل.

١. (اللغة القرآنية لغة تربوية) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن اللغة القرآنية لغة تربوية).
٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلاّ فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسائله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرّض لها المفسّرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبيين: الأول: أنّها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنّها تشير إلى التفسير التربوي أو أنّ التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(١)

(١) النساء، ٤٣.

٢: التفسير:

الملامسة التي هي الجماع^(١)، وهو قول علي %، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبو علي الجبائي، واختاره أبو حنيفة^(٢). وعن عبد الله % قال سألته عن قول الله عز وجل ﴿وَأَلْمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قال: هو الجماع، ولكن الله ستير يجب الستر فلم يسم كما تسمون^(٣). الملامسة كناية عن الجماع^(٤)، فعن ابن عباس: أن اللمس والمسّ والمباشرة الجماع، لكن الله يكتئ عمّا يشاء بما يشاء^(٥)، وهذه المفردة «لامستم» أولى وأحرى في أدب الفصاحة القمّة! ولأنّها مفاعلة بادئة من الرجال مع النساء وهي

(١) الكاظمي، جواد بن سعيد، مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، ج ١، ص: ٨٠، والحائري الطهراني، السيد علي، مقتنيات الدرر وملقطات الثمر، ج ٣، ص: ١٠٧.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٥.

(٣) عن: العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص: ٤٨٥.

(٤) الحسيني الشيرازي، السيد محمد، تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ٤٨٤.

(٥) الثعلبي النيشابوري، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٤.

كالصريحة في الوقاع^(١)، فالتعبير بالملامسة أرق وأحشم وأرقى- واللامسة قد تكون مقدمة للفعل أو تعبيراً عنه- وعلى أية حال فهو أدب يضربه الله للناس^(٢)، وعليه نتعلم وجوب رعاية الأدب في جميع الشؤون حتى الخاصة منها^(٣). وقد استخدم القرآن الكريم هذه اللغة في غير هذه الآية، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ﴾^(٤)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾^(٥).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لقد تغير تفسير الآية إلى معنى مكثى عنه وهو الجماع دون اللمس الحقيقي، وإلاّ كان المعنى مختلف كما ذهب إليه بعض المفسرين، حيث قيل: إنّ المراد به: اللمس باليد والبدن وغيرها^(٦). وهذا مبني على القرآن كتاب تربوي ويعلمنا

(١) صادقي طهراني، محمد، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج ٨، ص: ١٨٠.

(٢) السيد بن قطب بن ابراهيم الشاذلي، في ظلال القرآن، ج ٢، ص: ٦٧١.

(٣) قرائتي، محسن، تفسير نور، ج ٢، ص: ٢٩٧.

(٤) المجادلة، ٣.

(٥) البقرة: ٢٣٧.

(٦) الحائري الطهراني، السيد علي، مقتنيات الدرر وملقطات الثمر، ج ٣، ص: ١٠٧.

الأدب وأدب الحوار والحياء واختيار المفردات الرصينة دون الركيكة.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

اختيار الكلمات الموقرة والباعثة على الحشمة والأدب في طرح المواضيع الخاصة أسلوب تربوي وطريقة أخلاقية يربينا القرآن عليها، وهي من الأساليب التربوية الإسلامية الهامة الباعثة على الحياء والوقار والاحتشام والترفع عن الكلمات الضعيفة.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل الرابع: القرآن منسجم مع فطرة الإنسان

أولاً: المقصود منه

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

فطر: أصل صحيح يدلّ على فتح شيء وإيراده، من ذلك الفطر من الصوم^(١)، فطر الله الخلق، أي: خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض^(٢).

٢. المقصود من هذا البحث

لابدّ أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي: الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق^(٣)، والفطرة: التي طبعت عليها

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس اللغة، مادة (فطر).

(٢) الفراهيدي، الخليل ابن احمد، العين، مادة (فطر).

(٣) ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير والتنوير، ج ٢١، ص: ٤٨.

الخليقة من الدين^(١)، والفطرة هي الخلقة الإلهية التي نظمها الله بحيث تسلك إلى السعادة والأحكام الناشئة منها والأفكار المنبعثة منها لا تخالف أصلها الباعث لها^(٢).

ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ - عنوان الدليل القرآن الكريم

إنّ الدليل هو قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ب - بيانه:

﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ أي الكيفية التي خلقها الله سبحانه، فإنّه خلق الإنسان بحيث لا يصلحه، إلاّ الدين ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي خلق الناس على تلك الفطرة^(٤)، وهكذا القرآن معجزة

(١) الفراهيدي، الخليل ابن احمد، العين، مادة (فطر) .

(٢) الطباطبائي ، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣١٦ .

(٣) الروم، ٣٠ .

(٤) الحسيني الشيرازي، السيد محمد، تقريب القرآن

(فمن وجوه اعجازه) أن تشريعات القرآن جاءت حكيمة ومتينة، متوافقة مع الفطرة ومتوائمة مع العقل السليم^(١). وهو دستور الإسلام الجامع لكافة مبادئ الحياة الإنسانية تجاوباً مع الفطرة وانبثاقاً من صميم الإنسانية^(٢). وأن سلوك طريق الحق «سبيل الله» أي طريق الدين الإلهي مع احتوائه على مشاكل ومصاعب كثيرة إلا أنه سهل يسير لتوافقه مع الفطرة والروح الإنسانية للأشخاص المؤمنين^(٣). ثم إن مسيرة التكامل الإنساني هي المسيرة التي تكون منسجمة مع تلك المثل والقيم الفطرية المودعة فيه من قبل الله تبارك وتعالى، فبذرة التكامل موجودة في نفس الإنسان أوجدها الله فيه من خلال تعليمه الأسماء - على ما سوف يأتي - فإذا كانت خطواته ومسيرته منسجمة مع طبيعة هذه البذرة الخيرة كانت تكاملية، ودور الدين والشريعة هو رسم الخطوات ومعالم هذا الطريق التكاملي المنسجم مع الفطرة

⇒

إلى الأذهان، ج ٤، ص: ٢٤٢.

(١) الشيخ معرفة، محمد هاديمحمد هادي، التمهيد في

علوم القرآن، ج ٤، ص: ٢٨.

(٢) الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، كلمة المجمع،

ص ٥.

(٣) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله

المنزل، ج ٢، ص: ٢٠.

الإنسانية، ولذلك كان الدين الإسلامي الذي هو دين الحق، (دين الفطرة)، قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾^(١).

و إنما الأخلاق والفضيلة في القرآن، مجموعة الاعتبارات والمناهج السلوكية التي تتلاءم مع الفطرة الإنسانية الصافية من جانب وتساعد في إرساء قواعد السعادة الإنسانية للفرد والجماعة من جانب آخر^(٢).

ج - وجه الاستدلال:

فالفطرة من خلق الله في الإنسان، لأننا أثبتنا أن القرآن هادي للإنسان^(٣)، فعليه لابد أن يكون القرآن منسجماً مع الفكرة المودعة وإلا للزم التعارض بينهما وهو ما يتنافى مع كون القرآن هاد للإنسان ومسعد ومربي.

د - تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل

نرى أنّ جملة: (القرآن منسجم مع فطرة الإنسان) تنطبق عليها منطقات أو معايير

(١) الحكيم، محمد باقر، تفسير سورة الحمد، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص: ٢٢٠.

(٣) كما في الأصول العامة، الفصل الثاني، الأصل الخامس (القرآن هادف وهاد).

الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله (١).

فهي:

١. (القرآن منسجم مع فطرة الإنسان) جملة خبرية.
٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن القرآن منسجم مع فطرة الإنسان).
٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير،

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(١).

٢: التفسير:

أن من المعلوم من مذاق هذا الدين أنه لا يمنع أحداً عن الطيبات المحللة التي تضطر الفطرة إلى استباحتها في الحياة^(٢)، والاستفهام إنكاري، والزين يقابل الشين وهو ما يعاب به الإنسان، فالزينة ما يرتفع به العيب ويذهب بنفرة النفوس، والإخراج كناية عن الإظهار واستعارة تخيلية كأن الله سبحانه بإلهامه وهدايته الإنسان من طريق الفطرة إلى إيجاد أنواع الزينة التي يستحسنها مجتمعة ويستدعي انجذاب نفوسهم إليه وارتفاع نفرتهم واشمئزازهم عنه يخرج لهم الزينة وقد

(١) الاعراف: ٣٢.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير

القرآن، ج ٦، ص: ١٢٦.

كانت مخبية خفية فأظهرها لحواسهم^(١).
 خذوا زينتكم عند المساجد وأداء
 العبادات، وكلوا واشربوا من الطيبات، ولا
 تسرفوا فيها، بل عليكم بالاعتدال في جميع
 ذلك، لأن الله الخالق لهذه النعم لا يحب
 المسرفين فيها، بل يعاقبهم على هذا
 الإسراف بمقدار ما ينشأ عنه من المضار
 والمفاسد، لأنهم قد خالفوا سنن الفطرة
 وجنوا على أنفسهم في أبدانهم وأموالهم^(٢).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لو كان القرآن غير منسجم مع الفطرة
 الإنسانية لما استقر هذا التفسير، ولما
 ظهرت هذه النتيجة التفسيرية، إذ كانت
 النتيجة مثلاً، حرمة الزينة والدعوة إلى
 الإنزواء والتقشف والابتعاد عن النعم
 الإلهية، وهذا ما واجهه القرآن بالاستفهام
 الإنكاري. أن انسجام معارف القرآن مع فطرة
 الإنسان نكتة مهمة ولها أثر في فهم وتفسير
 آيات القرآن، لأنه من جانب يجب تفسير
 القرآن على ضوء ميولات الفطرة الإنسانية -
 لأنه إذا فسرت الآيات بشكل لا تنسجم والفطرة
 السليمة للإنسان فإنّ هذا التفسير سيفقد
 اعتباره العلمي، وهو دلالة على خطأ
 استنباط المفسر- ومن جانب آخر فإنّ على

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير

القرآن، ج ٨، ص: ٨٠.

(٢) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج ٨،

ص: ١٣٤.

المفسر إلا يخرج ويحيد عن دائرة الفطرة ويتجه نحو القرآن بفكر لا يشوبه هوى النفس والتراكمات المذهبية والقومية، ويستسقي معارف القرآن من معين الوصي الخالص.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

الزينة من الأساليب التربوية التي تبني شخصية الإنسان والشاب، والتزين من الطرق التربوية الصحيحة التي تدفع إلى السعادة والسلامة النفسية، وهذا الأسلوب يمكن أن نفهمه من دعوة الآية إليه، والإنكار على منعه.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل الخامس : القرآن يربّي جميع أبعاد الإنسان

أولاً: المقصود منه

لابدّ أن نبيّن المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة

البُعد: اتساع المدى، المدى: المسافة^(١)، وقد يطلق على معنيين: ضد القرب، ومقابل (قبل)^(٢)، وتستعمل في أبعاد الطول والعرض والارتفاع^(٣)، فمثلاً، تستخدمها الشيخ المصطفوي وهو المتخصص باللغة في هذا المعنى، فيقول: هو تعالى أكبر وأعلى من عالم المادّة التي هي محدودة بأبعاد الزمان وأبعاد المكان التحقيق في أبعاد الذاتيات وحدودها. وأعلى وأكبر من الأبعاد التي في عالم البرزخ من الحدود العرضيّة

(١) المعجم الوسيط، مادة (بعد).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (بعد).

(٣) الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، كلمة (طول)، والهروي، محمد بن يوسف، بحر

الجواهر (معجم الطب الفخر الطبيعي)، ص ٢٤٦.

والطوليّة في عالمه ومن الحدود الذاتيّة فيه^(١).

٢. المقصود من هذا البحث

لابدّ أن نحدد المقصود اصطلاحاً من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

كثيراً ما تُستعمل في الكتابات المعاصرة كلمتا (بُعْد) و(أبعاد) استعمالاً لا هو على الحقيقة، ولا على المجاز. فأبعاد (الهندسة) امتدادات تُقاس بها الأشكال أو المجسّمات، وهي ثلاثة: الطول، والعرض، والعمق، أو العُلُوّ. وأبعاد جسم: قياس جسم في اتجاه معيّن، - ثلاثي الأبعاد: متكون من ثلاثة أبعاد أو جوانب، طول وعرض وارتفاع، وتستخدم بمعنى الجانب من الشخصية^(٢)، كما وأننا نقصد منها ما استخدمت فيه، بمعنى الجهات الوجودية المختلفة في إنسان، فالزينة الحقيقية: هي الجمال الظاهري والباطني والديني والأخروي والفكري والأخلاقي والإيماني والعملي وبالتالي تعني السير نحو الكمال المطلق في جميع الأبعاد الوجودية^(٣).

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (سمع).

(٢) الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المقدمة، ص٦.

(٣) غلام رضا خسروي الحسيني، ترجمة وتحقيق مفردات

ثانياً: الدليل عليه

لأنّ الإنسان ذو جوانب وأبعاد وجودية مختلفة (البعاد العقلي والأخلاقي والاجتماعي والجسمي) فلا بدّ أن يغطي علم التربية جميع جوانبه، والحال كذلك، كما أنّ الفقه يغطي جميع أبعاد الإنسان الوجودية والتربوية^(١)، أنّ التشريعات الإسلامية - بما فيها التشريعات العبادية - قد لاحظت جميع الأبعاد الإنسانية في ما تشتمل عليه من جوانب روحية ومادية في آفاق الفرد والمجتمع، انطلاقاً من أنّ الإنسان كلّ مترابط الأجزاء في ما ينطلق فيه من إيجابيات وسلبيات^(٢)، ومن أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بدّ أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

⇒

الفاظ قرآن، راغب اصفهاني، حسين بن محمد، مادة

(زين)، ج ٢؛ ص ١٦٧.

(١) بناري، علي همت، نكرش بر تعامل فقه وتربيت،

ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، ج ٥،

ص: ٨٦.

أ - عنوان الدليل القرآن الكريم

إنّ الدليل على أنّ القرآن يربّي جميع أبعاد الإنسان، هو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

ب - بيانه:

أن هذه الرحمة الواسعة يمكن أن تكون إشارة إلى النعم والمواهب الدنيوية التي تشمل الجميع ويستفيد منها الكل، براً وفاجراً، صالحاً وطالحاً. كما يمكن أن تكون إشارة إلى أنواع الرحمة المادية والمعنوية، لأنّ النعم المعنوية لا تختص بقوم دون قوم، وإن كان لها شرائط تتوفر لدى الجميع^(٢). و﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لأنّها صفة الوجود، والوجود قد أحاط بكلّ موجود في الدنيا والآخرة^(٣).

إنّ القرآن ليس كتاباً كبقية الكتب ذات النمط الكلاسيكي الذي يعتمد نظام الفصول والأبواب الخاصة، بل هو كتاب نزل «نجوماً» وبصورة تدريجية طوال ثلاثة وعشرين عاماً، وذلك طبقاً للاحتياجات التربوية المختلفة، وفي أماكن وأزمنة

(١) الاعراف، ١٦٥.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٥، ص ٢٤١.

(٣) كنبادي، السلطان محمد، تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، ج ٢، ص: ٢١٠.

مختلفة، فيوم حدثت معركة أحد ووقائعها نزلت الآيات التي تتحدث عما يرتبط بهذه المعركة من برامج وقضايا حربية، ويوم كانت الحاجة تتطلب بيان بعض البرامج والتعاليم الاقتصادية كالموقف من الربا، أو بعض المسائل الحقوقية كأحكام الزوجية أو بعض القضايا التربوية والأخلاقية كالتوبة كانت تنزل الآيات التي تتناول هذه الأمور.

فيستنتج من هذا أنه قد لا يوجد أي إرتباط خاص بين بعض الآيات وبين ما قبلها أو ما بعدها، وليس من الضروري أن نبحت عن مثل هذا الإرتباط - كما يحاول بعض المفسرين ذلك - أو أن نتكلف افتعال ذلك بين قضايا لم يرد الله سبحانه الاتصال والارتباط بينها، لأن مثل هذا العمل لا يتفق مع روح القرآن وكيفية نزوله في الحوادث المختلفة، والمناسبات المتنوعة وحسب الاحتياجات والظروف المنفصلة.

على أنه لا ريب في أن جميع السور والآيات القرآنية مرتبطة و مترابطة - على وجه - وهو أن جميعها تؤلف برنامجاً كاملاً ومنهاجاً متكاملماً مترابطاً لصنع الإنسان وصياغته، وتربيته بأفضل تربية وصياغة وأسمائها، كما أنها بمجموعها نزلت لإيجاد مجتمع فاضل، واع متقدم في جميع الأبعاد والجوانب المادية والمعنوية^(١). فتتحرك

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله

رحمته في كل اتجاه، لتمنح الناس من رضوانه ومغفرته ما يوحي لهم بأن رحمته سبقت غضبه (١).

ج - وجه الاستدلال

الرحمة وسعت كل شيء، والهداية والتربية من الرحمة، فهما وسعا جميع أبعاد الإنسان الوجودية التربوية.

د - تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل

نرى أن جملة: (القرآن يربي جميع أبعاد الإنسان) تنطبق عليها منطقات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله (٢).

فهي:

١. (القرآن يربي جميع أبعاد الإنسان) جملة خبرية.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن القرآن يربي جميع أبعاد الإنسان).

(١) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، ج ١٠، ص: ٢٥٨.

(٢) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في الفصل الأول.

٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.

٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

٢: التفسير:

فهم المنافقون، لأنهم بوقوفهم النفاقي ضد الإسلام، يكونون مفسدين إفسادا بالغاً أكثر من إفساد الكفار، ولذا قال تعالى

(١) البقرة، ١٢.

في آية أخرى: ﴿هَمَّ الْعَدُوُّ﴾^(١) على نحو الحصر ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢) بذلك، بل ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَنَعًا﴾^(٣). و لما بالغ المنافقون، في إظهار الأصلاح، بولغ في إفسادهم^(٤)، فإنَّ الجاهل بجهله على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتمَّ جهالة من المعترف بجهله، فإنَّه ربَّما يعذر وتنفعه الآيات والنذر. وإنَّما فصلت هذه الآية بـ «لا يعلمون» والتي قبلها بـ «لا يشعرون» لأنَّه أكثر طباقاً لذكر السفه، فإنَّ الفساد يدرك بالحسِّ فناسب «لا يشعرون»، أي: لا يحسُّون، وإنَّ خفة العقل والرأي يدرك بالعقل فناسب «لا يعلمون». ولأنَّ الوقوف على أمر الدين والتمييز بين الحقِّ والباطل ممَّا يفتقر إلى نظر وتفكير، وأمَّا النفاق وما فيه من الفتن والفساد من التغاور والتحارب والتناحر فإنَّما يدرك بأدنى تفتُّن وتأمُّل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم، فهو كالمحسوس والمشاهد، ولأنَّه قد ذكر السفه فكان ذكر العلم معه أحسن^(٥).

(١) المنافقون: ٥.

(٢) البقرة، ١٢.

(٣) الحسيني الشيرازي، السيد محمد، ت قريب القرآن إلى الأذهان، ج ١، ص: ١٠٧.

(٤) القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ١، ص: ١٨٧.

(٥) الكاشاني، المولى فتح الله، زبدة التفاسير، ج ١،

ولأنّ النفاق يؤثر في جميع جوانب الإنسان النفسية، والتربوية، والأخلاقية، والعقائدية، والفردية، والاجتماعية، فهو الداء العضال الذي لا يمكن أن يزول بأدنى استغفار كما في سائر المعاصي لما له من الجذور التي يصعب قلعها من النفس^(١).

و لأن المنهج القرآني يمتاز عن غيره بوجوه عديدة أهمها:
الأول: أنّ المنهج التربوي والتعليمي في الإسلام ليس مادياً صرفاً ولا عقلياً بحتاً بل، هو يشمل الجانبين ويعطي لكل جانب حقه.

الثاني: أنه يراعي الجانب التطبيقي ويعطي للعمل أهميته ويهتم بالمربين والمعلمين قبل كل شيء، فهو يأمر بالتزكية وإتيان العمل الصالح ولا يكتفي بالجانب النظري فقط.

الثالث: أنه يهدف الكمال الإنساني ويبغى سعادة الفرد والاجتماع ووضع لكل ذلك أسسا وقواعد لا يمكن التخلي عنها.

الرابع: أنه عام يشمل جميع مراحل الإنسان وجميع جوانب حياته، بل يشمل مرحلة ما بعد الموت أيضاً بحسب الآثار.

الخامس: أنه مرتب ترتيباً دقيقاً يبتدئ بالتلاوة، ثمّ التزكية فالتعليم وطلب

⇒

ص: ٦٥.

(١) السبزواري، عبدالاعلى، مواهب الرحمن في تفسير

القرآن، ج ١٠، ص: ٨٤.

الحكمة، والتجاوز عن هذا الترتيب لا يوصل إلى ما يريده الإسلام^(١).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

بناءً على هذا الأصل يمكننا أن نعرف أن النفاق مؤثر سلبي على فكر الإنسان وعقله وتربيته وقسم من أبعاده الوجودية التربوية، ولولا هذا الأصل لما أمكن التعدي إلى هذه الجوانب التي أشار إليها المفسرون.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

موانع التربية كثيرة ومنها ما أشارت إليه الآية الكريمة، وهو النفاق، فهو يعيق التطور التربوي والتكامل الأخلاقي والروحي والفكري والاجتماعي وغيرها من أبعاد تربوية أخرى.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف مانع من موانع التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن مانع من موانع التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) السبزواري، عبدالاعلى، مواهب الرحمن في تفسير

القرآن، ج ٢، ص: ١٦٢.

الأصل السادس: التربية القرآنية تدريجية

أولاً: المقصود منه

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

من دَرَجَ الصبي دروجاً: إذا مشى قليلاً في أول ما يمشي، ودرّجته إلى الأمر: تدريجاً فتدرّج، واستدرجته: أخذته قليلاً قليلاً^(١).

٢. المقصود من هذا البحث:

كما لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

ونقصد بالتدريج: عدم التدافع^(٢)، دفعة دفعة، و: التدريج، هو الذي يعبر عنه بالتكثير، أي: يفعل مرة بعد مرة

(١) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح، مادة (درج)

.(

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج ١٥،

(١)، فالمراد من التدريج هو: المرحلية في التربية لا الدفعية والخطوة الواحدة. ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ - عنوان الدليل: القرآن الكريم

إنّ الدليل على هذا الأصل هو من آيات القرآن الكريم وهو كما يلي:

ب - بيانه:

هو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (٢).

في هذه الآية سؤال عن هدف التمهّل في إنزال القرآن وتفريقه علي سنوات حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها طيلة ثلاث وعشرين سنة وكان سبحانه وتعالى قادراً أن ينزل القرآن الكريم جملة، ينزله كله في ليلة واحدة، فيأتي الجواب الذي يعتبر منهجاً لكل مسلم في هذه الحياة إنه: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، وتثبيت الفؤاد يعني

قوة القلب وصحة النفس التي هي شرط لتحقيق النجاح في جميع مجالات الحياة، ومثل هذا البناء التربوي لا يتناسب معه

(١) القمي المشهدي، محمد بن محمد ر ضا، تفسير كنز

الدقائق و بحر الغرائب، ج١، ص: ٢٥٧.

(٢) الفرقان، ٣٢

العجلة، بل يحتاج إلى التدرج والتمهل، لأنّ بناء النفوس يختلف عن بناء أيّ شيء في هذه الحياة يحتاج إلى قاعدة: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾، فثبات اللفظ ورسوخ المعنى الذي يسهل ربط العلم بالعمل وتكوين المهارات التربوية يحتاج إلى ترتيل، أي تمهّل وطول نفس وصبر وأناة، أمّا الاستعجال فلا يبني الرجال.

فمن أجل ذلك كان نزول القرآن منسجماً على الأيام والسنين تربية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حالاً بعد حال وسنة بعد سنة، وهو منهج لتربية الناس في كل العصور

فهذا سرّ عظيم من أسرار التربية بالقرآن الكريم، فمن أراد أن يحصل على طمأنينة القلب وسكينة النفس وثبات الفؤاد فعليه بحفظ القرآن رويداً ومهلاً وتؤدة وسكينة وليحذر من العجلة^(١).

وفي الآية دلالة على أنّه سبحانه كان يرفق برسوله - في إنزال القرآن نجومياً كما أرفق بأمته، فتدبّر في ذلك وتأمّله، وفي ذيل الآية قوله: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾^(٢).

من الواجب أن يتذكر أنّ السلوك من الإجمال إلى التفصيل والتدرج في إلقاء

(١) د. اللاحم، خالد بن عبد الكريم، الحفظ التربوي

للقرآن وصناعة الإنسان، ص ٤٨.

(٢) الفرقان، ٣٢.

الأحكام إلى الناس من باب الإرفاق وحسن التربية ورعاية المصلحة غير المداهنة والمساهلة وهو ظاهر^(١).
 فالآية تجيب لقد أنزلناه منجماً متفرقاً بحسب الوقائع والمناسبات في مدى ثلاث وعشرين سنة، لتثبيت فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم، وليحفظه لكونه أمياً، وليتطابق مع الأسباب المؤقتة، فيكون ذلك أدعى للإيمان به، ولدفع الحرج عن المكلفين بتكليفهم بجملة أحكام في زمن واحد، ولمراعاة مبدأ التدرج في التشريع والتناسب مع مقتضيات التربية، والانتقال من حال سيئة إلى حال أحسن بتهيئة الظروف والأجواء، وجعله مرتلاً شيئاً فشيئاً، والترتيل: التفريق بين الشيء المتتابع^(٢).

فالذي صنعه السماء، في التدرج في الدعوة إلى الله، هو الأسلوب الحكيم في التربية.. فالصغير لا يحتمل عقله أحكام المنطق، ولا يخضع تفكيره لمعطيات ما بين الأسباب والمسببات من ارتباط.. وأنه لمن الخطأ وسوء التقدير، بل ومن القسوة عليه، أن يؤخذ بمنطق العقل، ويحمل على أحكامه، على حين أن الذي يصلحه ويصلح

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج٤،

ص: ١٦٠.

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، تفسير الوسيط، ج٢، ص:

.١٧٩٧

له، هو أن يخاطب بلغة الحس، وبمنطق المادة.. فإذا نما عقله شيئاً، كان من التدبير الحكيم أن يخاطب بأسلوب المنطق العقلي والحسي معاً، وأن يزاوج له بينهما، بنسب تكثر فيها العناصر العقلية شيئاً فشيئاً، كلما نما عقله، واتسعت مداركه، حتى إذا بلغ مبلغ النضج والرشد، أمكن أن يكون عقله هو موضع الاعتبار في مخاطبته ومحاسبته..

و الإنسانية- في تقديرنا- بدأت وجودها كما يبدأ كل كائن حي وجوده.. نبتة صغيرة، ثم شجيرة لا زهر فيها، ثم شجرة مزهرة.. ثم شجرة مزهرة مثمرة! وشواهد التاريخ تؤيد هذا وتشهد له.

و الإنسانية في زمن البعثة المحمدية كانت- كما قلنا- في آخر مرحلة من مراحل سيرها نحو النضج العقلي، والكمال الإنساني.. كانت بمثابة طفل درج في مدارج الحياة حتى بلغ مبلغ الرجال^(١).

ج- وجه الاستدلال

الآية تشير - من خلال تصريحها بقوله تعالى ﴿كذلك﴾ أي جعلناه في نزول تدريجي^(٢)

- إلى التدرج التعليمي وهو التدرج التربوي، لأن التعليم أو التربية

(١) الخطيب، عبدالكريم، التفسير القرآني للقرآن،

ج ١١، ص: ٨١٨.

(٢) السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، إرشاد

الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٣٦٧.

الدفعية للأمة توجب الحرج والعسر^(١)،
وعليه يجب أن تكون التربية والتعليم
أمراً تدريجياً^(٢).

د - تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة: (التربية القرآنية
تدرّجة) تنطبق عليها مناسبات أو معايير
الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق
على هذه الجملة أنّها من الأصول
التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية
الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة
عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو
ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا
يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في
تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير
وليست من مسأله^(٣).

فهي:

١. (التربية القرآنية تدرّجة) جملة
خبرية.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو:
(أنّ التربية القرآنية تدرّجة).

٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على
صحة عملية التفسير، إذ إنّ الاعتقاد بها
وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنىً
صحيحاً، وإلاّ فلا داعي لهذا الاهتمام

(١) انظر، قرائتي، محسن، تفسير نور، ج ٨، ص ٢٥٠.

(٢) انظر، قرائتي، محسن، تفسير نور، ج ٨، ص ٢٥١.

(٣) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه .
٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله .

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أن تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

آيات تحريم الخمر، فقال تعالى: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(٣).

٢: التفسير:

التدرج في التشريع، وذلك أنه - بُعث والعرب على عادات مستحكمة فيهم، منها

(١) البقرة، ٢١٩.

(٢) النساء، ٤٣.

(٣) المائدة، ٩٣، ٩٤.

ما هو صالح للبقاء لا ضرر فيه على تكوينها، ومنها ما هو ضار يجب إبعادهم عنها، فاقتضت حكمته أن يتدرج في نهيهم عنها شيئاً فشيئاً، كالخمر والميسر، حين سئل عنهما في المدينة، أنزل الله فيهما ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١)، ففهم بعض، أن ما كثر إثمه حرم فعله، فانتهى لنفسه، وأكب عليها من لم ينتبه لذلك، وهذه الآية بعد أن عرض عن الخمر في معرض النعم التي عددها على عباده في قوله عز قوله ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾^(٢)، لأن العطف يعم على أنها ستحرم بعد، لأنها لم توصف بالحسن، إذ وصف المباح من ثمراتها بالحسن، كالتمر والعنب والمريس والزبيب واللدبس والخل وسائر الأشربة المتخذة من عصيرها، كما سيأتي تفصيله في تفسيرها، دون السكر فإنه لم يصفه بذلك، وهذه الآية مبدأ التعريض بتحريمها لأنها أول ما نزل منها في مكة شرفها الله.

أما آية البقرة فما بعدها، فقد نزلت بالمدينة المنورة، الآية الثالثة قوله تبارك وتعالى ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(٣) فقد نهاهم فيها عن السكر في الصلاة، وهو نهي

(١) البقرة، ٢١٩.

(٢) النحل، ٦٧.

(٣) النساء، ٤٣.

مؤكد للأول، فانتهى عنها فيها فقط من لم تكن نفسه زكية عارفة مغزى هذا النهي، واجتنبها ذوو العقول الكبيرة، والفظن الحاذقة، والفراسة الماهرة، والنفوس الطاهرة فيها وفي غيرها، لأنه عرف رجس الخمرة في النهي عن تعاطيها في الصلاة التي هي صلة بين العبد وربّه، وأن تركها في غيرها ممّا يرضي ربه الذي نهاه عنها فيها.

ثم أنزل رابعاً: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(١) فعرف الكل تحريمها في كل حال^(٢). وأن النهي عن الصلاة في حالة السكر في الآية يأتي كخطوة تشريعية ثانية في الخمر. والخطوة الأولى جاءت في آية سورة البقرة [٢١٩] التي ذكرت أن إثم الخمر أكبر من نفعها. وقد عرض القرآن المكي بآثار خمر الدنيا وما تحدثه من أعراض كريهة ضارة أكثر من مرة في سياق وصفه خمر الآخرة وكونها مبرأة من ذلك. وهذه الخطوة الثانية ليست حاسمة أيضاً لأنها إنما تنهى عن الصلاة في حالة السكر التي تنجم عن شرب الخمر. وقد نزل التشريع الحاسم الأمر بالانتهاز من شربها والجامع في الإثم بينها وبين الميسر والأنصاب والأزلام بعد مدة ما من

(١) المائدة، ٩٠.

(٢) ملا حويش آل غازي، عبدالقادر، بيان المعاني،

ج ١، ص: ٢١.

هذه الآية في سورة المائدة. وفي هذا مشهد من مشاهد التطور التشريعي، ودليل على تأصل تعاطي الخمر وشيوعه والانتفاع به اقتصادياً حتى اقتضت حكمة التنزيل هذا التدرج^(١). فإن حكمة الاكتفاء في صدر الإسلام بذكر المحرمات الأربعة - أعني الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به - الواقعة في بعض السور المكية وترك تفصيل ما يندرج فيها مما كرهه الإسلام للمسلمين من سائر ما ذكر في هذه الآية إلى ما بعد فتح مكة إنما هي التدرج في تحريم هذه الخبائث والتشديد فيها كما كان التدرج في تحريم الخمر لئلا ينفر العرب من الإسلام، ولا يروا فيه حرجاً يرجون به رجوع من آمن من فقرائهم وهم أكثر السابقين الأولين^(٢).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

ترى أنّ المفسرين ذهبوا إلى الجمع بين آيات الخمر الثلاثة بأسلوب تربوي علمي، ولم يطرحوا حالة التعارض بين الآيات لكي يبحث المفسر عن طريق الجمع العرفي والتأويل، بل اعتمد المفسرون أصل التدرج في التربية الإلهية للمسلمين في فهم الآيات وشرحها، وهو المطلوب، فلولا

(١) عزت، دروزة محمد، التفسير الحديث، ج ٨، ص: ١٢٥.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير

القرآن، ج ٥، ص: ١٧٢.

أصل التدرج لكانت الآيات متعارضة فيما بينها إذا يبيح بعضها ويحرّم أخرى.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

نتعرف على طريقة أو أسلوب تربوي مستنبط من مجموعة هذه الآيات (النهى عن الخمر)، وهي طريقة التدرج وأسلوب التدريج في التربية، أو المرحلية في التمرين والتهذيب والتربية، وصيانة المجتمع وهدايته.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل السابع: الإنسان متكون من بعدين الجسد والروح

أولاً: المقصود منه

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:
١- في اللغة:

الروح في اللغة: الرُّوحُ والرُّوحُ في الأصل واحد^(١)، روح: أصل كبير مطرد يدلّ على سعة وفسحة واطّراد^(٢).
٢. المقصود من هذا البحث:

كما لابدّ أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

الروح في الاصطلاح:
لقد وردت كلمة (الروح) في القرآن الكريم على سبعة أوجه^(٣):

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات، مادة (روح) .

(٢) الرازي، أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة (روح) .

(٣) عاشور، قاسم، ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن، ص:

١. بمعنى الرحمة : ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (١) .
٢. بمعنى الملك العظيم الذي يَكُونُ فِي إِزَاءِ جَمِيعِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ (٢) .
٣. بمعنى جبريل : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ (٣) .
٤. بمعنى الوحي والقرآن : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ (٤) .
٥. بمعنى عيسى % : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ آَلَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (٥) .
٦. بمعنى اللطيفة التي فيها مدد الحياة : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦) .
٧. بمعنى القوة والثبات والنصرة التي يؤيد الله بها من شاء من عباده المؤمنين ،

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) النبأ : ٣٨ .

(٣) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٤) الشورى : ٥٢ .

(٥) النساء : ١٧١ .

(٦) الإسراء : ٨٥ .

قال ابن القيم: كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (١).

ولكي نلخص المراد من (الروح) في هذا البحث:

لابد أن نراجع مراحل الخلق في القرآن الكريم، وبعد أن لاحظنا القرآن ومراحل خلق الإنسان فيه نستطيع أن نستند إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سُوِّيَتْهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٢)، من

أجل تحديد معنى الروح الإنسانية. فنرى أن الإنسان صار بشراً سوياً حياً في مرحلة من مراحل الخلق، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان، وأضاف الروح إلى نفسه تبارك وتعالى تشریفاً (٣). فللمفسرين في الروح المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (٤)، أقوال أظهرها: أن المراد

منه الروح الذي هو سبب الحياة (٥). فإن الروح هي حقيقة من حقائق ما وراء الطبيعة - أي ميتافيزيقية - حيث إن تركيبها وفعاليتها تختلف عن تركيب وفاعلية عالم المادة صحيح أنها مرتبطة

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) الحجر، ٢٩.

(٣) البغوي، حسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧.

(٤) الاسراء، ٨٥.

(٥) الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب،

ج ٢١، ص: ٣٩٢.

مع عالم المادة، إلا أنها ليست مادة ولا تملك خواص المادة^(١).

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ - عنوان الدليل: القرآن الكريم

إنّ الدليل على وجود الروح هو قوله تعالى: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي^(٢).

ب - بيانه:

لقد أحيا الله الإنسان بهذه الروح التي نفخها فيه^(٣)، إذ ورد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله % في قوله: «فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي» قال: «خلق خلقاً وخلق روحاً، ثم أمر الملك فنفخ وليست بالتي نقصت من الله شيئاً، هي من قدرته تبارك وتعالى عنه». وفي رواية سماعة عنه: «خلق آدم فنفخ فيه، وسألته عن الروح؟ قال: هي من قدرته من الملكوت^(٤)، ولما كان الروح أولاً يتعلق بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض

(١) الشيخ مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير

كتاب الله المنزل، ج ٩، ص: ١١٥.

(٢) الحجر، ٢٩.

(٣) الأبياري، إبراهيم، الموسوعة القرآنية، ج ١٠، ص:

١٨٠

(٤) العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور

الثقلين، ج ٣، ص: ١٢

عليه القوة الحيوانية فيسري حاملاً في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن، جعل تعليقه بالبدن نفخاً»^(١).

ج - وجه الاستدلال:

الآية والروايات صريحة بأن هناك موجود ما أسماه القرآن الروح ونسبه الله إلى نفسه فقال تعالى: ﴿مِنْ رُوحِي﴾^(٢)، وهذا الوجود داخل في تركيب الإنسان، فقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾^(٣)، أي إذا أتممت خلقته وأجريت الروح فيه، إذ هو معنى النفخ^(٤).

د - تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل

نرى أنّ جملة: (الإنسان متكون من بعدين الجسد والروح) تنطبق عليها منطقات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في

(١) شبر، السيد عبد الله، الجوهر الثمين في تفسير

الكتاب المبين، ج ٣، ص: ٣٨١.

(٢) الحجر، ٢٩.

(٣) الحجر، ٢٩.

(٤) السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، إرشاد

الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٦٨.

تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. (الإنسان متكون من بعدين الجسد والروح) جملة خبرية.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أنَّ الإنسان متكون من بعدين الجسد والروح).

٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إنَّ الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنىً، بل معنىً صحيحاً، وإلاَّ فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.

٤. كما أنَّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنَّها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنَّها تشير إلى التفسير التربوي، أو أنَّ التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي.

(١) كما مرَّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(١).

٢: التفسير:

أنّ الرؤيا هي إحدى الطرق للاتصال بالغيب^(٢)، و«الأحاديث» هي الرؤيا، لأنها من أحاديث الملك وإخباره للإنسان في منامه أن كانت الرؤيا صادقة، ومن أحاديث الشيطان والنفس أن كانت كاذبة^(٣)، ويقتنص من هذه الآيات عنوان الرؤيا والحسد.

الرؤيا: مصدر رأى في النوم والرؤية مصدر رأى البصرية ولا شك أنّ الإنسان في غيبوبة حواسه بالنوم أحيانا تعرض له صور يحصل بعضها نتيجة لاستعراض ذلك في اليقظة وبعضها يدل من نفسه على نفسه أنّه تخبيط ووهم وجملة منه يستدل به على أنّه تكهرب بالواقع، ولا دليل عليه إلاّ إشعاع الروح وذلك من الأدلة على وجود الروح المجردة في الإنسان فإنّها بخفوت

(١) يوسف، ٦.

(٢) قرائتي، محسن، تفسير نور، ج٦، ص: ٣٢.

(٣) الحسيني الشيرازي، السيد محمد، تقريب القرآن

إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦٦٣.

الحواس يظهر لها تلؤلؤ وامتياز عن المادة^(١).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

يمكننا أن نتوصل إلي أن معنى الأحاديث هي الرؤيا المنامية وأنها مفتاح على الغيب والمستقبل والمعارف، فيما لو سلمنا بوجود الروح في الإنسان، أي إذا سلمنا أن الإنسان ذو بعدين مادي ومعنوي، وبهذا يتصل بعالم المعنى وبالغيب، وإلا فلو نفي وجود الروح لم يكن بالمستطاع التوصل إلى التفسير المذكور أعلاه من قبل مفسري المسلمين.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

نستفيد من الآية أن الله تبارك وتعالى هو المعلم الكبير للأنبياء - وللإنسان - وهو بالتالي من المرابين لهم وعليه نستظهر من الآية الكريمة أن الله تبارك وتقدس هو من عوامل التربية الإسلامية لما له من تدخل في التعليم الإنساني وبث المعارف في ذات الإنسان وتنويعها. وهذه المعلومة تعد تفسيراً تربوياً لآية لأننا منها نسلط الضوء على النظام التربوي الإسلامي لنكتشف عناصره من القرآن، وقد لاحظنا هنا وجود العوامل التربوية الإسلامية حاضرة.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف عامل من عوامل التربية وهو مبتني على أصل من

(١) التفسير لكتاب الله المنير، ج ٤، ص: ٣٠٠.

أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم،
وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير
التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن
عامل من عوامل التربية وتوقف على أصل
من أصول التفسير التربوي للقرآن
الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه
التفسير التربوي الجديد.

الأصل الثامن: الإنسان مخلوق مكرم من الله تعالى

أولاً: المقصود منه:

لابد أن نبيّن المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

. كرم: أصل صحيح له بابان: أحدهما - شرف في الشيء نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق^(١).

٢. المقصود من هذا البحث:

لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:
. تكريم الإنسان: وعندما بحثنا في المراد من التكريم الإلهي للإنسان وجدنا أبعاد عدّة لهذا التكريم، نذكر منها ما يلي:

١. قد تجلّى [تكريم الإنسان] هذا في القدرة على اختيار الامتحان المثمر والاختبار النافع، وهذا يعني إمكانية تعدد المواقف وفق الاختيار الاختباري^(٢).

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس اللغة، مادة (كرم).

(٢) حمدان، نذير، حكمة القرآن والحضارة، ص: ١٧٩.

٢. من آيات تكريم الإنسان ما يقرره القرآن الكريم من أنّ الله سبحانه وتعالى جعله خليفة له سبحانه في الأرض^(١).
 ٣. كرامة الإنسان، وتكريمه بالعقل^(٢).
 ٤. بالعقل والتّطيق واعتدال الخلق وتسخير الأشياء له^(٣).
 ولكن بأيّ شيء كرم الله الإنسان عند أهل التفسير؟

بيّن المفسّرين كلام كثير عن مصداق هذا التكريم، فالبعض يعز والسبب لقوّة العقل والمنطق والاستعدادات المختلفة وحرية الإرادة. أمّا البعض الآخر فيعز وذلك إلى الجسم المتزن والجسد العمودي، والبعض يربط ذلك بالأصابع التي يستطيع الإنسان القيام بواسطتها بمختلف الأعمال الدقيقة، وأيضا تمنحه القدرة على الكتابة. والبعض يعتقد أنّ التكريم يعود إلى أنّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يأكل طعامه بيده. وهناك من يقول: أنّ السبب يعود إلى سلطة الإنسان على جميع الكائنات الأرضية. وهناك من المفسّرين من يعزو التكريم إلى قدرة الإنسان على معرفة الله، والقدرة أيضاً على إطاعة أوامره. لكن من الواضح أنّ جميع هذه

(١) نوفل، يوسف حسن، من المكتبة القرآنية، ص ١٢١.

(٢) ابو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن، ص ١١٧.

(٣) السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، إرشاد

الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٢٩٣.

المواهب موجودة في الإنسان ولا يوجد تضاد بينها، لذا فإن تكريم الخالق لهذا المخلوق الكريم يتجلى من خلال جميع هذه المواهب وغيرها.
 وخلاصة القول: أن الإنسان له امتيازات كثيرة على باقي المخلوقات، وهذه الامتيازات الواحدة منها أعظم من الأخرى، فمضافاً إلى الامتيازات الجسمية، فإن روح الإنسان لها مجموعة واسعة من الاستعدادات والقدرات الكبيرة التي تؤهله لطي مسيرة التكامل بشكل غير محدود^(١).

ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لابد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ - عنوان الدليل القرآن الكريم

إنّ الدليل على أصل تكريم الإنسان نجده واضحاً في القرآن الكريم، وفي آيات كثيرة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(٢).

ب - بيانه:

لقد صرح القرآن الكريم في هذه الآية

(١) الشيخ مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير

كتاب الله المنزل، ج ٩، ص: ٦٤.

(٢) الإسراء، ٧٠.

بتكريمه للإنسان بشكل واضح جداً، بل وذكر بعض النعم التي منّ الله بها على الإنسان كحمله في وسائل النقل والرزق من الطيبات والتفضيل^(١).

ج - وجه الاستدلال:

إنّ التصريح بتكريم الإنسان في نص القرآن وتفسيره من قبل المفسرين بذلك يعني أننا لابد أن نأخذه كأصل مسلم في الحياة والتربية وكذلك في التفسير

د - تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل

نرى أنّ جملة: (الإنسان مخلوق مكرم من الله تعالى) تنطبق عليها مناسبات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(٢).

فهي:

١. (الإنسان مخلوق مكرم من الله تعالى) جملة خبرية.

(١) انظر: الشيخ مكارم الشيرازي، ناصر الشيرازي،

تفسير الامثل، ج ٩، ص ٦٣.

(٢) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

الفصل الاول.

٢. تحكي عن امر واقعي بالخارج وهو: (أنَّ الإنسان مخلوق مكرم من الله تعالى).
 ٣. وتعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إنَّ الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلاّ فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.
 ٤. كما أنَّها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.
- ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير.

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبيين: الأول: أنَّها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنَّها تشير إلى التفسير التربوي أو أنَّ التفسير الذي ننقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

٢: التفسير:

حيث يفسر السجود بغير السجود التعبدية، فقد أجمع المسلمون على أنَّ ذلك

(١) البقرة، ٣٤.

السجود ليس سجود عبادة؛ لأنَّ سجود العبادة لغير الله كفر^(١)، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَخْرَأْ لَهُ سَجْدًا﴾^(٢).

والسجود يجوز أن يكون لآدم ابتداءً بعنوان التكريم لا العبادة. فإنَّ السجود الذي يختص بالله ويمنع العقل والشرع أن يؤتى به لغيره إنما هو ما كان بعنوان العبادة والخضوع بعنوان الإلهية^(٣).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

لقد فسر المفسرون السجود على أنه سجود تكريم للإنسان وليس بسجود عبادة، وهذا التفسير لا يمكن بدون أن نعتمده أصلاً تفسيرياً يجوز لنا ذلك، وهو أن الإنسان مخلوق مكرم من الله تعالى، لا مألّه ولا محرق مهان.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

أشارت الآيات إلى قاعدة تربوية مهمة وهي التواضع، فقد أمر الملائكة بذلك السجود لإثبات طاعتهم وفشل إبليس لعنه الله في أن يكسر غروره، فلم يستجب للأمر الإلهي، فقد أشارت الآية إلى قاعدة

(١) الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب،

ج ٢، ص: ٤٢٧.

(٢) يوسف، ١٠٠.

(٣) البلاغي النجفي، محمد جواد، آلاء الرحمن في

تفسير القرآن، ج ١، ص: ٨٥.

تربوية مهمة وهي التواضع والذي هو سلّم للترقي الروحي والمعنوي الإنساني، كما أشارت الآية إلى أسلوب وطريقة لتحقيق تلك القاعدة التربوية وهو السجود.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف قاعدة تربوية وأسلوب من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل التاسع: الإنسان مخير غير مجبور

أولاً: المقصود منه

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:

١. في اللغة:

أ - مخير: من الاختيار وهو من (خير)، والأصل الواحد في هذه المادة: هو انتخاب شيء واصطفاؤه وتفضيله على غيره، ففيه قيّدان الانتخاب والاختيار، والتفضيل، وهذان القيّدان ملحوظان في جميع صيغ اشتقاقها^(١).

ب - مجبور: من جبر، وهو بالأصل واحد وهو جنس من العظمة والعلو والاستقامة. فالجبار الذي طال وفات اليد، يقال فرس جبار ونخلة جبارة وذو الجبورة وذو الجبروت^(٢)، والجبر: الاسم، وهو أن تجبر

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، مادة

(خير).

(٢) الرازي، أحمد بن فارس زكريا معجم مقاييس

اللغة، مادة (جبر).

إنسانا على ما لا يريد وتكرهه جبرية على كذا^(١).

٢. المقصود من هذا البحث

لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:
أ - التخيير: لا نقصد به التفويض الذي هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الأعمال^(٢)، بل نقصد ما جاء عن الامام علي بن موسى الرضا، حيث يسأله الراوي بمرو قال: ... «فقلت له يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد ع أنه قال لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين ما معناه؟ فقال من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حجه ع فقد قال بالتفويض والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت يا ابن رسول الله فما أمر بين الأمرين؟ فقال وجود السبيل إلى إثبات ما أمروا به وترك ما نهوا عنه قلت وهل لله مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال أما الطاعات فإرادة الله ومشيتته فيها الأمر بها - والرضا لها والمعاونة عليها وإرادته ومشيتته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والخذلان عليها قلت فلله عز وجل فيها القضاء؟ قال نعم ما من فعل يفعله

(١) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، مادة)

جبر).

(٢) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول ج ٢ ص: ١٩٥.

الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ قَضَاءٌ قُلْتُ مَا مَعْنَى هَذَا الْقَضَاءِ؟ قَالَ الْحَكْمُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿١﴾ .

ب - الجبر هو الحمل على الفعل والاضطرار إليه بالقسر والغلبة، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون لهم قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه (٢) .

ثانياً: الدليل عليه:

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

(أ) عنوان الدليل: العقل والنقل

(ب) بيانه:

أولاً: أمّا العقل فمبطل للمذهبيين (الجبر والتفويض)

من جهة استلزام الجبر كونه تعالى ظالماً في تعذيب من يحمّله على المعاصي كالقتل والزنى والشرك وغير ذلك، واستلزام التفويض - مضافاً إلى وهن السلطنة - صيرورة الممكن واجباً بالنسبة إلى الوجود بعد الوجود، الذي يكون البقاء عبارة عنه، وهو محال؛ من جهة استحالة انقلاب الماهية، وامتناع تعدد الواجب، وكون الامتياز هو الإمكان الذي

(١) الطبرسي، احمد بن علي، الإحتجاج، ج ٢، ص: ٣٩٦

(٢) شبر، سيد عبد الله، حق اليقين في معرفة أصول

هو علّة الافتقار، فيكون العبد فاعلاً للفعل بالمباشرة والعلّة القريبة، ولكن بواسطة إقدار الله وإبقائه ونحو ذلك، فلا يكون مخلوقاً لله، ولا مفوضاً إلى العبد، بل يكون الأمر بين الأمرين، بمعنى أن المجموع - المركّب من فعل الله التكويني بإيجاد العبد وإحيائه وإعطائه الأسباب كالقدرة ونحوها وإبقائها، ومن فعل العبد بالمباشرة ونحوها من باب الجعل للمصلحة - علّة لحصول الفعل الاختياري للعبد وإن كانت الإرادة التكوينية على خلاف الإرادة التكوينية، فالتركيب اعتباري في مقام الفعل، لا في مقام الذات حتّى يلزم نحو الوحدة أو الاتحاد^(١).

ثانياً: وأما النقل فمثبت للأمر بين الأمرين.

قوله تعالى: ﴿أَنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ

سَبِيلًا﴾^(٢).

فقد فسرت هذه الآية كما يلي: أنّ علينا إيضاح الطريق، لا إجباركم على اختيار الطريق، وعليكم تمييز الحق من الباطل بما لديكم من العقل والإدراك، واتخاذ القرار بإرادتكم واختياركم، وهذا في الحقيقة تأكيداً على ما جاء في صدر

(١) استر آبادي، محمد جعفر، البراهين القاطعة في

شرح تجريد العقائد الساطعة، ج ٢، ص: ٤١٤.

(٢) الإنسان، ٢٩.

السورة في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١).

و قد يتوهم بعض السذج من العبارة أعلاه أنها تعني التفويض المطلق للعباد، فجاءت الآية التالية لتنفي هذا التصور وتضيف: ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢).

و هذا في الحقيقة إثبات لأصل مشهور هو (الأمر بين الأمرين)، إذ يقول من جهة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ فعليكم أن تختاروا ما تريدون، ويضيف من جهة أخرى: ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي ليس لكم الاستقلال الكامل، بل أن قدرتكم واستطاعتكم وحریتكم لا تخرج عن دائرة المشيئة الإلهية، وهو قادر على أن يسلب هذه القدرة والحرية متى شاء.

من هذا يتضح أنه لا جبر ولا تفويض في الأوامر، بل إنها حقيقة دقيقة وظريفة بين الأمرين، أو بعبارة أخرى: أنها نوع من الحرية المرتبطة بالمشيئة الإلهية، إذ يمكن سلبها متى يشاء ليتسنى للعباد تحمل ثقل المسؤولية الذي يعتبر رمزاً للتكامل من جهة، ومن جهة أخرى إلا يتوهموا استغنائهم عن الله تعالى^(٣).

(١) الإنسان، ٣.

(٢) الإنسان، ٣٠.

(٣) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله

المنزل، ج ١٩، ص: ٢٨١.

(ج) وجه الاستدلال

أولاً: الإبطال (للجبر والتفويض): بما أن اللازم باطل وهو (كونه تعالى ظالماً في تعذيب من يحملة على المعاصي) عند الجبر، و(صيرورة الممكن واجبا) بالنسبة للتفويض، يثبت أن المسلكين باطلان. ثانياً: الإثبات للأمر بين الأمرين: القرآن الكريم ظاهر في كثير من آياته في صحة مذهب الأمر بين الأمرين. و أن هذه الآية تدعو الإنسان إلى إلا يتوهم أنه مستغن عن رعاية الله وتوفيقه. وفي نفس الوقت تؤكد حرية في أعماله وسلوكه ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا. وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١)، وهو المطلوب.

(د) تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل

نرى أن جملة: (الإنسان مخير غير مجبور) تنطبق عليها مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البنائات التي لا يتجاوزها المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره،

(١) الإنسان، ٢٩-٣٠.

وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١).

فهي:

١. (الإنسان مخير غير مجبور) جملة خبرية.

٢. تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو (أن الإنسان مخير غير مجبور).

٣. تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه.

٤. كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله.

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

٢: التفسير:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني قسماً خاصاً ممن ينتحل الكفر والمعهودين عند الرسول أو هم مطلق الطواغيت الذين يعلم الله أنهم من تمردهم يموتون على التمادي على ضلال الشرك والكفر بالله ورسوله وكتابه وما جاء به في دعوة الحق مع الحجج القيمة والدالة الواضحة. هؤلاء ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولا يختارون الإيمان لأنهم بطغيانهم وانهماكهم بضلال الكفر قد ارتجوا قلوبهم وأسماعهم وأحكموا سدها عن أن يلجها شيء من دعوة الإيمان ودلائل آياتها ولا شيء من نور الحق وشافي البيان فاستحقوا بذلك حرمانهم من توفيق الله وتسديده لهم. وإن توفيقه وتسديده جلّت آلاؤه من أقوى ما يعين العبد في اختياره للطاعة والإيمان، إذ يرفع عنه من طريقهما ما يعرقله ويذل أقدامه من نزغات الشيطان وهفوات الهوى وطموح النفس الأمارة إلى شهواتها ونزغاتها الرديئة ومألوفاتها. فكان حرمان

(١) البقرة، ٦-٧.

المتمردين من التوفيق والتسديد بمنزلة الختم على ما سدوه بسوء اختيارهم وطغيانهم. ولأجل أن ذلك الحرمان من الله لخروجهم عن الأهلية نسب الختم الذي سمّي به إلى الله عز وجل؛ لأن الله هو الذي بيده أمر التوفيق منحة وحرماناً^(١).

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال يدور حول مسألة الجبر، التي قد تتبادر إلى الأذهان من قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾... فهذا الختم يفيد بقاء هؤلاء في الكفر إجباراً، دون أن يكون لهم اختيار في الخروج من حالتهم هذه. أليس هذا بجبر؟ وإذا كان جبراً فلماذا العقاب؟

القرآن الكريم يجيب على هذه التساؤلات ويقول: أن هذا الختم وهذا الحجاب هما نتيجة إصرار هؤلاء ولجاجهم وتعنتهم أمام الحق، واستمرارهم في الظلم والطغيان والكفر. يقول تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^(٢)، ويقول: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٣)،

(١) البلاغي النجفي، محمد جواد، آلاء الرحمن في

تفسير القرآن، ج ١، ص: ٦٦.

(٢) النساء، ١٥٥.

(٣) المؤمن، ٣٥.

ويقول أيضاً: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبَهُ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ (١).

كل هذه الآيات تقرر أن السبب في سلب قدرة التشخيص، وتوقف أجهزة الإدراك عن العمل يعود إلى الكفر والتكبر والتجبر واتباع الهوى واللجاج والعناد أمام الحق، هذه الحالة التي تصيب الإنسان، هي في الحقيقة رد فعل لأعمال الإنسان نفسه (٢).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

إنّ القول بالجبر لا يفضي إلى النتائج التفسيرية التي أفاد بها العلماء، والتفسير بالتبرير لسوء عاقبتهم وانحرافهم بنتائج الأعمال التي اقترفوها وردة فعل سلبية له، أي أنّ سوء العاقبة الذي حل بهم إنّما هو أثر رجعي بسبب ما كسبوه من سيئات.

وبالتالي فالتفسير المختار والصحيح متوقف على القول بالأصل هذا، أي بـ (الإنسان مخير غير مجبور).

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

الكفر من موانع التربية، فالتربية التي هي قوام عملية تطويرية للمتربّي على يدي المربي وإرشاداته، لها موانع

(١) الجاثية، ٢٣.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله

المنزل، ج ١، ص: ٨٧.

ومعوقات تحول دون تحقيق التطور الذاتي والتكامل الإنساني وتمنع من أن تستخرج مكامن قدرات الإنسان وتحويل طاقاته من القوة إلى الفعل، ومن تلك الموانع التربوية الكفر بالله تعالى، فهو يحول الإنسان إلى معاند لا يتفاعل مع الفكر المفيد والجديد الباعث على الهداية والصلاح والإيمان، إذ بالانفتاح على الحقيقة يرفع عنه ما يعرقله ويزل أقدامه من نزغات الشيطان وهفوات الهوى وطموح النفس الأمارة إلى شهواتها ونزغاتها الرديئة.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف مانع من موانع التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن مانع من موانع التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

الأصل العاشر: كل مخلوق يعبد الله

أولاً: المقصود منه

لابد أن نبين المقصود من عنوان هذا الأصل، وذلك عبر مرحلتين، هما:
١. العبادة في اللغة:

من التعبد، والأصل الواحد في المادة: هو غاية التذلل في قبال مولى مع الإطاعة^(١).

٢. المقصود من هذا البحث

لابد أن نحدد الاصطلاح المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي: لقد ذكر المفسرون معاني للعبادة، نذكر بعضها لاختيار المراد: العبادة: هي الخضوع والتذلل^(٢)، بل «العبادة»، هي أقصى غاية الخضوع والتذلل. ومنه طريق معبد، أي: مذلل^(٣)، والعبادة هي التذلل

(١) المصطفوي، حسن، مادة (عبد).

(٢) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج٣، ص: ٥٠٨.

(٣) القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج١، ص: ٥٨.

والخضوع للمعبود على غاية ما يكون^(١)، العباداة هي الطاعة والانقياد والخضوع^(٢)، فحقيقة العباداة: نصب العبد نفسه في مقام الذلة والعبودية وتوجيه وجهه إلى مقام ربه، وهذا هو مراد من فسّر العباداة بالمعرفة يعني المعرفة الحاصلة بالعبادة^(٣)، أي هي نصب العبد نفسه في مقام العبودية وإتيان ما يثبت ويستثبت به ذلك، فالفعل العبادي يجب أن يكون فيه صلاحية إظهار مولوية المولى أو عبودية العبد^(٤).

ثانياً: الدليل عليه

من أجل إكمال البحث من الجهة الفنية والاستدلالية لا بد أن نسلط الضوء على فقرات في مرحلة الاستدلال وهي عبارة عن:

أ - عنوان الدليل القرآن الكريم

إنّ الدليل على أنّ القرآن يربّي جميع أبعاد الإنسان، هو قوله تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ

(١) الرازي، فخرالدين، مفاتيح الغيب، ج ٣٢، ص: ٢٩٨.

(٢) الآلوسي، السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج ١٣، ص: ٢١٤.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص: ٣٨٨.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص: ١٢٣.

السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴿١﴾ .

ب - بيانه

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ﴾ عبودية حيث تعرف ربّها، فليس فقط كونياً بدلالة الذوات، إذ ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فقه العيان والبيان، والتسبيح كونياً هو مأمور بمعرفته، نظراً إلى الكون، حيث يدل بكونه وكيانه على مكوّنه، فالكل - إذاً - تسبح عن شعور، وتاركة إنّما يتركه بسوء اختياره، وليس شيئاً مخلوقاً لله، بل هو مخلوق، فكيف تتركون أنتم تسبيحه عن شعور تكليف (٢).

وتفصيل قوله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي ليس شيء من الموجودات إلاّ يسبح بحمد الله، يعني كلّ شيء يسبح بحمده، من جهة خلقته، أو معنى صفته، إذ كلّ موجود سوى القديم تعالى حادث، يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع، صنعه أو صنع من صنعه، فهو يدعو إلى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه، لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، وما عداه الحوادث يدل على تعظيمه بمعنى حدثه من معدوم لا يصح إلاّ به، لدخوله في مقدوره أو مقدور مقدوره ومما سبّحه من يسبح بحمده من

(١) الاسراء، ٤٤ .

(٢) صادقي طهراني، محمد، البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٨٦ .

جهته، معنى صفة في قوله، فهو على العموم في كل شيء.
 وقال بعضهم: سل الأرض من شق أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فان لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً.
 وقال الحسن: المعنى وإن من شيء من الأحياء إلا يسبح بحمده. وقال علي بن ابراهيم وغيره من أهل العلم: كل شيء على العموم يسبح بحمده حتى صرير الباب.
 وقوله ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي لستم تفقهون تسبيح هذه الأشياء، من حيث لم تنظروا فيها، فتعلموا كيفية دلالتها على توحيده^(١).

ج - وجه الاستدلال:

فقد صرح المفسرون أن ﴿وَأَنْ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ﴾ ينزّهه عن النقص حامداً له لكماله^(٢)، ومعناه أن كل شيء يعبد الله ويذكره، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فلزم لذلك أن يعبده كل شيء^(٣). فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلقة وهي أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كل شيء ويذكر ربه

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص: ٤٨٣.

(٢) الحسيني الشيرازي، السيد محمد، تبين القرآن، ص: ٢٩٨.

(٣) القرطبي، احمد بن محمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص: ٣٠٤.

(١) . والعبادة هي المقصود من خلق الأشياء كما قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سواء فسرت العبادة بالمعرفة أم لا، إذ لا تكون المعرفة الحقيقية إلا من طريق العبادة (٢).

فجاء عن أبي عبد الله % قال: «قال رسول الله -: لا تضربوا الدواب على وجوها فإنها تسبح بحمد الله»، وعن أبي عبد الله % قال: «للدابة على صاحبها ستة حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، ولا يتخذ ظهرها مجلساً يتحدث عليها، ويبدأ بعلفها إذا نزل، ولا يسمها في وجهها، ولا يضربها فإنها تسبح، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به» (٣).

د - تطبيق التعريف والدليل على هذا الأصل:

نرى أنّ جملة: (كل مخلوق يعبد الله) تنطبق عليها مناطات أو معايير الأصول التفسيرية للقرآن الكريم، ويصدق على هذه الجملة أنّها من الأصول التفسيرية التي هي: القضايا الخبرية الحاكية عن واقعات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير وصحة الفهم القرآني بنحو ما، وتعتبر هي الأسس أو البناءات التي لا يتجاوزها

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص: ٣٨٨.

(٢) حقي البروسوي، إسماعيل، تفسير روح البيان، ج ٨، ص: ٧٦.

(٣) البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٨.

المفسر، بل ويعتمد عليها في تفسيره ، وهي من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله^(١) .

فهي:

- ١ . (كل مخلوق يعبد الله) جملة خبرية .
- ٢ . تحكي عن أمر واقعي بالخارج وهو: (أن كل مخلوق يعبد الله) .
- ٣ . تعتبر هي من الأسس المؤثرة على صحة عملية التفسير، إذ إن الاعتقاد بها وبصحتها يعطي للتفسير معنى، بل معنى صحيحاً، وإلا فلا داعي لهذا الاهتمام الكبير بالقرآن والتدقيق في فهمه والعمل على نهجه .
- ٤ - كما أنها من مقدمات علم التفسير وليست من مسأله .

ثالثاً: تطبيق لهذا الأصل من خلال التفسير

تمهيد:

نحاول الآن أن نأتي بآية قرآنية قد تعرض لها المفسرون في كتب التفسير، تمتاز بجانبين: الأول: أنها تشير إلى الأصل التفسيري الذي طرحناه هنا، والثاني: أنها تشير إلى التفسير التربوي أو أن التفسير الذي نقله عن المفسرين يدل على التفسير التربوي. فهذه المرحلة تتكون من محاور وهي كما يلي:

(١) كما مرّ اختياره كتعريف للأصول التفسيرية في

١: الآيات:

قال تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾^(١).

٢: التفسير:

قرئ (أوبي) بتشديد الواو من التأويد وبسكونها وضم الهمزة، أوبي من الأوب: وهو الرجوع والتأويد الترجيع، وقيل بأن معناه سيرى معه^(٢)، ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أي رجعى معه التسبيح، أو رجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه، لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه. و معنى تسبيح الجبال: أن يخلق الله تعالى فيها تسبيحاً، فيسمع منها ما يسمع من المسبِّح^(٣). فى ذلك تنفيس فى وقت حزنه [%] [وبكائه^(٤)، وتذكر الروايا أن داود [%] أوتي صوتاً جميلاً خارقاً فى الجمال كان يرتل به مزاميره، وهى تسابيح دينية، ورد منها فى كتاب «العهد القديم» ما الله أعلم بصحته^(٥).

(١) سبأ، ١٠.

(٢) الرازى، فخر الدين، مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص:

١٩٦.

(٣) الابيارى، ابراهيم، الموسوعة القرآنية، ج ١١، ص:

٨

(٤) القشيري، عبدالكريم بن هوازن، لطائف الإشارات،

ج ٣، ص: ١٧٧.

(٥) الشاذلى، السيد بن قطب بن ابراهيم، فى ظلال

القرآن، ج ٥، ص: ٢٨٩٧.

و الآلية تصور من فضل الله على داود % أنه قد بلغ من الشفافية والتجرد في تسابيحہ أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات فاتصلت حقيقتها بحقيقته، في تسبيح بارئها وبارئيه ورجعت معه الجبال والطير، إذ لم يعد بين وجوده ووجودها فاصل ولا حاجز، حين اتصلت كلها بالله صلة واحدة مباشرة تنزاح معها الفوارق بين نوع من خلق الله ونوع، وبين كائن من خلق الله وكائن وترتد كلها إلى حقيقتها اللدنية الواحدة، التي كانت تغطي عليها الفواصل والفوارق فإذا هي تتجاوب في تسبيحها للخالق، وتتلاقى في نعمة واحدة، وهي درجة من الإشراق والصفاء والتجرد لا يبلغها أحد إلا بفضل من الله، يزيج عنه حجاب كيانه المادي، ويرده إلى كينونته اللدنية التي يلتقي فيها بهذا الوجود، وكل ما فيه وكل من فيه بلا حواجز ولا سدود^(١).

وهذا يدل على كلام الموجودات وتعقلها وعبادتها لله تعالى ذكره، كما هو الحال وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢)، ففي تفسير علي بن إبراهيم وقد سئل أبو الحسن الرضا % عن كلم الله لا من الجن ولا

(١) الشاذلي، السيد بن قطب بن إبراهيم، في ظلال

القرآن، ج ٥، ص: ٢٨٩٧.

(٢) فصلت، ١١.

من الإنس؟ فقال: «السموات والأرض في قوله: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾»^(١).

كما ورد عن الإمام علي % في نهج البلاغة أنه قال: «فمن شواهد خلقه خلق السموات وموطدات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهن فأجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطيات، ولولا إقرارهن له بالربوبية وإذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعاً لعرشه، ولا مسكناً لملائكته ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه»^(٢).

٣: محور الارتباط بين الآيات والأصل التفسيري

نلاحظ أنّ المفسّر لم يتخرج في تفسيره أنّ الجبال تعبد الله وتكرر التسبيح ولم يلجأ إلى التأويل، لعدّ الاضطرار ولعدم الدليل المانع من الظهور الأولي، بل لانعقاد الظهور ولوجود النص والأصل التفسيري الذي هو كذلك من أهم القرائن وأدلة التفسير، فالآية حتى وإن أولها بعض المفسرين فقال: يا جبال الأعضاء ﴿أُوبِي﴾ أي: سبّحي معهُ بالتسبيحات المخصوصة بك من الانقياد والتمرن في الطاعات

(١) العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص: ٥٤١.

(٢) الامام علي %، نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٨٢ عن الامالي للشيخ الصدوق، ص ٣٦٢.

بالحركات والسكنات والأفعال والانفعالات التي أمرناك بها^(١)، لكن المعنى ما زال هو أنّ الموجودات تعبد الله وتكلمه لأنّ الأعضاء غير الإنسان.

٤: نموذج للتفسير التربوي من الآية

التسبيح من طرق التربية، ومعرفة أنّ العالم كله يسبح من عوامل التربية، لكن الأظهر من الآية هو أن أسلوب التسبيح أحد طرق التربية، أو احد طرق التربية الدينية على الأقل.

وهذا الكلام عبارة عن اكتشاف أسلوب وطريقة من أساليب التربية وهو مبتني على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

وبعبارة أخرى: هذا الكلام عبارة عن أسلوب من أساليب التربية وتوقف على أصل من أصول التفسير التربوي للقرآن الكريم، وهو ما يبحث عنه في اتجاه التفسير التربوي الجديد.

(١) ابن عربي، أبو عبدالله محيي الدين محمد، تفسير

ابن عربي، ج ٢، ص: ١٦١

خلاصة الفصل الرابع

احتوى الفصل الرابع على المقدمة، حيث أردنا أن نقدم للفصل الرابع بما يناسب أن يمهد الطريق لمباحثه، فارتأينا أن تكون المقدمة عبارة عن: تمهيد، وبيان الأهداف المتوخاة من هذا الفصل وبيان للمنهج التطبيقي بحث الأصول الخاصة، أي الخطوات التي يمر بها البحث في كل أصل. وكانت نتائج هذا الفصل أنّ الأصول الخاصة في التفسير التربوي هي كما يلي:

١. القرآن كتاب تربوي.
٢. القرآن هادف وهاد.
٣. اللغة القرآنية لغة تربوية.
٤. القرآن منسجم مع فطرة الإنسان.
٥. القرآن يربي جميع ابعاد الإنسان.
٦. التربية القرآنية تدريجية.
٧. الإنسان متكون من بعدين الجسد والروح.
٨. الإنسان مخلوق مكرم من الله تعالى.
٩. كل مخلوق يعبد الله.

فهرس المصادر

أولاً: مصادر متنوعة

(المصادر اللغوية، علوم القرآن،
التربوية، وغيرها)
* القرآن الكريم.

* نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره
الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب %، شرح
الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي
الديار المصرية سابقا، الناشر: دار
المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

١. جمال، ابتسام بنت أحمد، القياس
ومكانته في المنطق اليونان، جامعة أم
القرى، نسخة برنامج المكتبة الشاملة.

٢. ود، ابراهيم عبدالله ناصر، عاطف
عمر بن طريف، مدخل إلى التربية، ط١،
٢٠٠٩م، الاردن.

٣. العسكري، ابو هلال، الفروق
اللغوية، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي،
ط١، ١٤١٢ق.

٤. البيلي، احمد، الاختلاف بين
القراءات، دار الجيل، بيروت.

٥. بن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مقدمة في أصول التفسير، ط١، دار ابن حزم، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت.
٦. الشافعي الحفيان، احمد محمود عبد السميع، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠١.
٧. القدسي، احمد، أنوار الأصول، تقرير لمباحث الأصول، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، جزاءن [نسخة المكتبة الشاملة] الاصدار الثالث.
٨. الباز، أنور، التفسير التربوي للقرآن الكريم، دار النشر للجامعات، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٩. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه
١٠. الصفار، محمد بن حسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، تحقيق وتصحيح: كوچه باغي، محسن بن عباسعلي، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط٢، ١٤٠٤هـ ايران، قم.
١١. البيضاني، قاسم، مباني نقد الحديث، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط١٤٢٧، ١هـ، قم.
١٢. الرازي الشافعي، محمد بن عمر بن الحسين، مفاتيح الغيب من القرآن

- الكريم. دار النشر / دار إحياء التراث العربي.
١٣. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٢١ / ٢٠٠١، بيروت.
١٤. زرزور، عدنان، الحاكم الجمشي ومنهجه في تفسير القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٨.
١٥. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الطبعة الأولى- طهران - ١٣٩٣ هـ . ق.
١٦. اللاحم، خالد بن عبد الكريم، الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان، (نسخة برنامج المكتبة الشاملة).
١٧. الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، ط٣، ١٤١٧، قم.
١٨. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الناشر: دار الفكر، ط١، ١٤٢٠ هـ، دمشق.
١٩. الشنتوت، خالد أحمد، خطر المربيات، ذو الحجة ١٤١١ هـ، المدينة المنورة (نسخة برنامج المكتبة الشاملة).
٢٠. الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، ط١ هـ ١٤٢٠، ٢٠٠٠ م دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية.
٢١. الموسوي الصافي، السيد حسين، دروس موجزة في علوم القرآن، دار السيدة

- رقية للقرآن الكريم، ايران، ط١، ١٤٣٣هـ.
٢٢. الشيخ، رأفت غنيمي، فلسفة التاريخ، دارالثقافة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، القاهرة.
٢٣. الزبيدي الحسيني، سيد محمد مرتضي، تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت، داراحياء التراث العربي، ١٣٩٢ ق.
٢٤. الموصلي، سامي، احمد الأعجاز العلمي في القرآن، ط١، دارالنفائس، ١٤٢٢ / ٢٠٠١، بيروت.
٢٥. شنوقة، السعيد، التأويل والتفسير بين المعتزلة والسنة، ناشر: المكتبة الازهري، القاهرة.
٢٦. زرندي، السيد ابو الفضل مير محمدي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، ١٤٢٠، قم.
٢٧. الهندي، السيد رضا، الميزان العادل بين الحق والباطل، تحقيق: الشيخ حميد البغدادي، [نسخة بر نامج المكتبة الشاملة].
٢٨. داراني، سيد علي موسوي، نصوص في علوم القرآن، الناشر: آستان قدس، ١٣٨٠ / ١٤٢٢، مشهد.
٢٩. فاني اصفهاني، سيد علي علامة، آراء حول القرآن، دار الهادي، ط١، ١٤١١ / ١٩٩١، بيروت.
٣٠. الحيدري، السيد كمال، منطق فهم القرآن الاسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي، بقلم الدكتور طلال

- الحسن، ط١، دار فراق للطباعة والنشر، قم، ١٤٣٣ق-٢٠١٢م.
٣١. الصدر، السيد محمد باقر، دروس تمهيدية في علم الأصول (المعالم الجديدة)، (نسخة برنامج المكتبة الشاملة).
٣٢. الحكيم، السيد محمد، سعيد المحكم في أصول الفقه، المطبعة: جاويد، ط١، مؤسسة المنار، ١٤١٤.
٣٣. ايازي، السيد محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، وزارة الثقافة والارشاد، طهران، ١٣٨٦ ش.
٣٤. شبر، سيد عبد الله، حق اليقين في معرفة أصول الدين، الناشر: أنوار الهدى، ط٢، ١٤٢٤ ق، قم.
٣٥. السبحاني، الشيخ جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مؤسسة الامام الصادق، ط٣، ايران، ١٤٢٦هـ.
٣٦. المظفر، الشيخ محمد رضا، أصول الفقه، الغدير، طه الناشر مكتبة بصيرتي، ١٤٠٨ ق، قم.
٣٧. معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الناشر الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ط١، مشهد، ١٩٩٧م.
٣٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، الإحتجاج، الناشر: نشر المرتضى، ط١، ١٤٠٣ ق، مشهد.
٣٩. الشريف، عدنان، من علم الفلك القرآني، الناشر: دارالعلم للملايين، طه، ٢٠٠١ م، بيروت.

٤٠. الشريف، عدنان، من علوم الأرض القرآنية، الناشر: دارالعلم للملإين، ط٣، ٢٠٠٠م، بيروت.
٤١. العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر، الألفين، الناشر: المؤسسة الإسلامية، ط١، ١٤٢٣ق، قم.
٤٢. مازندراني، علي أكبر سيفي، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤٢٨، قم.
٤٣. شريعةمداري، علي، التربيئة والتعليم في الإسلام، تعريب: علي هاشم (نسخة برنامج المكتبة الشاملة).
٤٤. عبدالسميع، عماد، علي التيسير إلى أصول التفسير، دار الايمان، الاسكندرية، ٢٠٠٦م.
٤٥. غفاري، علي أكبر، دراسات في علم الدراية، (نسخة برنامج المكتبة الشاملة).
٤٦. الأنصاري، مرتضى، فرائد الأصول، مجمع الفكر الإسلامي، أربعة مجلدات، ١٤١٩ق، قم.
٤٧. الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، ج٣، ط١، السعودية، ١٤٠٧هـ.
٤٨. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، (نسخة برنامج المكتبة الشاملة).

٤٩. عاشور، قاسم، ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن، الناشر: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠١ م، بيروت.
٥٠. الحسيني الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، كتاب الكليات، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري عدد الأجزاء / ١.
٥١. الاغر، كريم نجيب، إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام الناشر: دار المعرفة، ١٤٢٥ / ٢٠٠٥، بيروت.
٥٢. الخراساني، محمد كاظم، كفاية الأصول، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ق، قم.
٥٣. المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول، ناشر: دار الكتب الإسلامية، تحقيق: سيد هاشم رسولي، ط٢، ١٤٠٤ ق، طهران.
٥٤. ابو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، طبعة جديدة، ١٤١٨ / ١٩٩٨، القاهرة.
٥٥. خلف الله، محمد احمد / خليل عبد الكريم، الفن القصصي في القرآن، الناشر: سينا / الانتشار العربي، ط٤، ١٩٩٩ م، لندن.
٥٦. الغرناطي، محمد بن أحمد ابن جزي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، التحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط١، ١٤١٦ هـ، بيروت.

٥٧. محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، ط١، ١٩٩٠.
٥٨. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، ط١، ١٤١٠ / ١٩٩٠، بيروت.
٥٩. استر آبادي، محمد جعفر، البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة، الناشر: مكتب الأعلام الإسلامي، تحقيق مركز مطالعات وتحقيقات إسلامي، ط١، ١٣٨٢ ش، قم.
٦٠. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٦١. الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، الناشر: دارالكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦ / ٢٠٠٥، بيروت.
٦٢. البيوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٩ / ١٤٢٠، بيروت.
٦٣. حقي، محمد صفاء شيخ ابراهيم، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤، بيروت.
٦٤. الأصفهاني، محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب: قاسم البيضاني، ط١، قم، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٤٢٦ هـ.

٦٥. التسخيري، محمد علي، محاضرات في علوم القرآن، الناشر: سازمان مدارس خارج از کشور، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ قم.
٦٦. شاكر، محمد كاظم، مبانى وروشهاى تفسيرى، نشر: مركز جهانى علوم اسلامى، ط١، ١٣٨٢، قم.
٦٧. ابو ليلة، محمد محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقى، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٢٣ / ٢٠٠٢، القاهرة.
٦٨. معرفة، محمد هادى، شبهات وردود حول القرآن، موسسه التمهيد، ط١، ١٤٢٣ / ٢٠٠٢، قم.
٦٩. معرفة، محمد هادى، صيانة القرآن من التحريف، وزارت امور خارجه، ط١، ١٣٨٦ / ١٤٢٨، طهران.
٧٠. معرفة، محمد هادى، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة النشر الاسلامى، ط١، ١٣٨٦ / ١٤٢٨، قم.
٧١. معرفة، محمد هادى، تلخيص التمهيد، ط١، منشورات ذوى القربى، ٢٠٠٨، قم.
٧٢. محمود بن عبد الرحيم الصافى، الجدول في إعراب القرآن، الناشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان، ط٤، ١٤١٨، هـ، دمشق-بيروت.
٧٣. مركز الثقافة والمعارف القرآنية، علوم القرآن عند المفسرين، مكتب الاعلام الاسلامى، ط١، ١٣٧٥ / ١٤١٧، قم.

٧٤. الحسيني البهسودي، السيد محمد سرور، **مصباح الأصول**، تقارير بحوث السيد ابوالقاسم الخوئي، الناشر: منشورات داوري، طه، ١٤١٧ ق. ايران.
٧٥. العسكري، معجم الفروق اللغوي الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نورالدين الجزائري أ تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجامعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، ١٤١٢، قم.
٧٦. يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الاساسية، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، السعودية.
٧٧. الموسوعة العربية العالمية، عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزاءه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International، شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، مترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية (نسخة برنامج المكتبة الشاملة).
٧٨. القمي، الميرزا ابوالقاسم، قوانين الأصول، نسخة برنامج المعجم الفقهي، الطبعة حجرية طبعت على نفقة صاحب المكتبة العلمية الإسلامية بطهران، ١٣٧٨هـ. ق.
٧٩. ميرزائي آشتياني، بحر الفوائد، الناشر: مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٣ هـ، قم.

٨٠. النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن ط١، ٢٠٠٥، حلب.
٨١. حمدان، نذير، حكمة القرآن والحضارة، دارالكلم الطيب/دار ابن كثير، ط١، ١٤١٦ / ١٩٩٥، بيروت - دمشق.
٨٢. عتر، نور الدين، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، ط٦، ١٤١٦ / ١٩٩٦، دمشق.
٨٣. ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي للقرآن الكريم (المباني والاتجاه)، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، ط١، قم، ١٤٣٢هـ.
٨٤. الهروي، محمد بن يوسف، بحر الجواهر (معجم الطب الطبيعي)، الناشر: جلال الدين، ط١، ١٤٢٩ هـ، قم.
٨٥. نوفل، يوسف حسن، من المكتبة القرآنية، دار الشروق، ط١، ١٤٢٢/٢٠٠١، القاهرة.
٨٦. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الناشر: دار الفكر، ط١، ١٤٢٠ هـ، دمشق.
٨٧. الشريف، عدنان، من علم الفلك القرآني، الناشر: دارالعلم للملايين، ط٥، ٢٠٠١م، بيروت.
٨٨. الشريف، عدنان، من علوم الأرض القرآنية، الناشر: دارالعلم للملايين، ط٣، ٢٠٠٠م، بيروت.
٨٩. الهروي، محمد بن يوسف، بحر الجواهر (معجم الطب الطبيعي)، الناشر: جلال الدين، ط١، ١٤٢٩ هـ، قم.

٩٠. خلف الله، محمد احمد / عبد الكريم، خليل، الفن القصصي في القرآن، الناشر: سينا / الانتشار العربي، ط٤، ١٩٩٩ م، لندن.
٩١. ابن بابويه، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق وتصحيح: غفاري، علي اكبر ناشر: دفتر انتشارات اسلامي، ط١٤١٣، ٢ق، قم.
٩٢. الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح: مؤسسة دار الحديث، ط١٤٢٩، ١هـ، قم.
٩٣. السبحاني، جعفر، العلامة الحلبي - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد قسم الالهيات، الناشر: مؤسسة الامام الصادق ع، ط١، ١٣٨٢ ش، قم.
٩٤. رجبى، محمود، روش تفسير قرآن، الناشر: پژوهشكده حوزه ودانشگاه، ١٣٨٣، قم.
٩٥. بابايي، علي اكبر، و غلامعلي عزيزي كيا، ومجتبى روحاني رد، تحت اشراف: محمود رجبى، روش شناسي تفسير قرآن، بزوهشگاه حوزه ودانشگاه، ط١٣٨٨، ٤ش، قم.
٩٦. البحراني، ابن ميثم، قواعد المرام في علم الكلام، تحقيق السيد احمد الحسيني، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٦ ق، قم.
٩٧. المؤيدي، ابراهيم بن محمد بن احمد ي، الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح، الناشر: مؤسسة الإمام زيد

بن علي، تحقيق: عبد الرحمن شايم، ط١، ١٤٢٢ ق، صنعاء.

ثانياً: التفاسير

١. ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير والتنوير، طبعة منقحة وجديدة، مؤسسة التاريخ.

٢. ابن عربي، أبو عبدالله محيي الدين محمد، تفسير ابن عربي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، التحقيق: سمير مصطفى رباب، ط١، ١٤٢٢ هـ، بيروت.

٣. ابن كثير الدمشقي اسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، ١٤١٩ ق، بيروت.

٤. الثعلبي النيشابوري، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ، بيروت.

٥. الأبياري، إبراهيم، الموسوعة القرآنية، الناشر: مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ. ق.

٦. الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، التحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ، بيروت.

٧. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة نشر تراث الامام الخوئي، قم.

٨. الحائري الطهراني، السيد علي، مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ١٤١٩ هـ، طهران.
٩. البغوي، حسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، التحقيق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ط١، ١٤٢٠ هـ، بيروت.
١٠. حقي البروسوي، إسماعيل، تفسير روح البيان، الناشر: دار الفكر، بيروت.
١١. الخميني، السيد مصطفى تفسير القرآن الكريم، الناشر: مؤسسة نشر تراث الإمام الخميني(ره)، التحقيق: مؤسسة نشر تراث الإمام الخميني(ره)، تاريخ الطبع: ١٤١٨ هـ، ط١، قم.
١٢. دروزة محمد عزت، التفسير الحديث، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣ هـ، القاهرة.
١٣. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، تفسير الوسيط، الناشر: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢ هـ، دمشق.
١٤. سيد بن قطب بن ابراهيم شاذلي، في ظلال القرآن، ط١٧، دار الشروق ١٤١٢ ق، بيروت- القاهرة.
١٥. العاملي، السيد جعفر مرتضى، دروس في تفسير القرآن تفسير سورة الفاتحة، المركز الإسلامي للدراسات، ط٢، ١٤٢٠ هـ. ق. ١٩٩٩ م، بيروت (نسخة برنامج المكتبة الشاملة).

١٦. القنوجي، السيد محمد صديق، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام.
١٧. الشيرازي، السيد محمد الحسيني، تقریب القرآن إلى الأذهان، ط١، دار العلوم، ١٤٢٤ هـ، بيروت.
١٨. الآلوسی، سيد محمود، روح المعانی فی تفسير القرآن العظيم، دارالکتب العلمیة، تحقیق: علی عبدالباری عطیة، ط١، ١٤١٥ ق، بيروت.
١٩. شبر، السيد عبد الله، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، الناشر: مكتبة الألفين، ط١، التحقيق: مع مقدمة السيد محمد بحر العلوم، ١٤٠٧ هـ، الكويت.
٢٠. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤ هـ، دمشق، بيروت.
٢١. الشيخ المفيد، محمد بن محمد، تفسير القرآن المجيد، التحقيق: السيد محمد علي الأيازي، الناشر: دار النشر في مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٢٤ هـ، قم.
٢٢. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ط: الخامسة، تاريخ الطبع: ١٤١٧ هـ، قم.
٢٣. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب قصير، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩، ايران.

٢٤. مكارم الشيرازي، الشيخ ناصر،
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر:
مدرسة الامام علي بن ابي طالب، ط١، ١٤٢١
ق، قم.
٢٥. الصادقي الطهراني، محمد، البلاغ
في تفسير القرآن بالقرآن، الناشر:
المؤلف، ط١، ١٤١٩هـ، قم.
٢٦. الخطيب، عبد الكريم، التفسير
القرآني للقرآن، عدد الاجزاء ١٦ (لا يوجد
اسم الناشر).
٢٧. العروسي الحويزي، عبد علي بن
جمعة، تفسير نور الثقلين، التحقيق:
السيد هاشم رسولي محلاتي، منشورات
إسماعيليان، ط٤، الطبع: ١٤١٥ هـ، قم.
٢٨. القشيري، عبدالكريم بن هوازن،
لطايف الإشارات الهيئة المصرية العامة
للكتاب، التحقيق: إبراهيم البسيوني،
ط١، مصر.
٢٩. البغدادي، علاء الدين علي بن
محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل،
التحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، ط١،
دار الكتب العلمية، : ١٤١٥ هـ، بيروت.
٣٠. فضل الله، السيد محمد حسين، تفسير
من وحي القرآن، الناشر: دار الملك
للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٩ هـ، بيروت.
٣١. الطبرسي، الفضل بن الحسن،
تفسير جوامع الجامع منشورات جامعة
طهران وإدارة الحوزة العلمية بقم، ط١،
١٤١٨ هـ، طهران.

٣٢. قرائتي، محسن تفسير نور، مركز دروس من القرآن الثقافي، ط ١١، ١٤٢٥ هـ، طهران.
٣٣. الكاشاني، المولى فتح الله، زبدة التفاسير، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، التحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط ١، ١٤٢٣ هـ، قم.
٣٤. الكاظمي، جواد بن سعيد، مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام الناشر: مكتبة المرتضوي، ط ٢، ١٤٠٧ هـ، طهران.
٣٥. كنبادي، السلطان محمد، تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، ١٤٠٨ هـ، بيروت.
٣٦. المحلي، جلال الدين والسيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، الناشر: مؤسسة النور للمطبوعات، ط ١، ١٤١٦ هـ، بيروت.
٣٧. الكرمي الحويزي، محمد، التفسير لكتاب الله المنير، المطبعة العلمية ط ١، ١٤٠٢ هـ. قم.
٣٨. البغدادي، محمد الهويدي، التفسير المعين للواعظين والمتعظين، منشورات ذوي القربى، ط ١، قم.
٣٩. الحكيم، محمد باقر، تفسير سورة الحمد، المطبعة: شريعت - قم، الناشر مجمع الفكر الاسلامي، ط ١، ١٤٢٠ هـ، قم.
٤٠. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، منشورات ناصر خسرو، ط ١، ١٤٠٦ هـ، طهران.

٤١. السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، دار التعارف للمطبوعات، ط١، ١٤١٩ هـ، بيروت.
٤٢. السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ط١، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٦ هـ، بيروت.
٤٣. القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، التحقيق: حسين درگاهي الناشر: مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، ط١، ١٤١٠ هـ، طهران.
٤٤. الكاشاني، محمد بن مرتضى، تفسير المعين، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، التحقيق: حسين درگاهي، ط١، ١٤١٠ هـ: قم
٤٥. مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف، دار الكتب الإسلامية، ط١، ١٤٢٤ هـ، طهران.
٤٦. رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، مصر.
٤٧. صادقي طهراني، محمد، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، منشورات الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٧ هـ، قم.
٤٨. فاضل لنكراني، محمد، مدخل التفسير، مطبعة الحيدري، ط١، ١٣٩٦، طهران.

٤٩. الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، ط١٠، ١٤١٣ هـ، بيروت.
٥٠. معرفة، محمد هادي، التفسير الاثري الجامع، مؤسسة التمهيدي، ط١، توزيع منشورات ذوي القربى، ٢٠٠٤م، قم المقدسة.
٥١. الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٧ هـ، بيروت.
٥٢. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٣. آل غازي، ملا حويش، عبدالقادر، بيان المعاني، الناشر: مطبعة الترقى، ط١، ١٣٨٢ هـ، دمشق.
٥٤. الفيض الكاشاني، المولى محسن، تفسير الصافي، التحقيق: حسين الأعلمي منشورات الصدر، ط٢، ١٤١٥ هـ، طهران.
٥٥. النخجواني، نعمة الله بن محمود، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، الناشر: دار ركابي للنشر، ط١، ١٤١٩ هـ، مصر.
٥٦. المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، الناشر: مكتبة الرشدية، التحقيق: غلام نبي التونسي.
٥٧. الاندلسي ابوحيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، التحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ، بيروت.

٥٨. البلاغي النجفي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، التحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، الناشر: مؤسسة البعثة، ط ١٤٢٠هـ، ١ هـ، قم.

٥٩. الموسوي السبزواري، السيد عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة أهل البيت، ط ١٤٠٩هـ، ٢ هـ، بيروت.

٦٠. البغوي، الحسين بن مسعود (٥١٦ هـ)، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

ثالثاً: المصادر الفارسية

١. سعيدى روشن، محمد باقر، زبان قرآن، الناشر: پژوهشگاه فرهنگ و اندیشه اسلامی / موسسه پژوهشى حوزه ودانشگاه، ط ١، ١٣٨٣ ش، طهران.
٢. الاميني، ابراهيم، تعليم وتربيت در اسلام، منشورات آگاه، طهران، ١٣٧٦ ش.
٣. بابايي، على اكبر، مكاتب تفسيرى، الناشر: سمت/پژوهشكده حوزه ودانشگاه، ط ١، ١٣٨٦ هـ. ش، طهران.
٤. رضائي اصفهاني، محمدعلي، منطق تفسير قرآن ١ (مباني وقواعد تفسير قرآن)، نشر، جامعة المصطفى العالمية، ط ١، قم، صيف ١٣٨٧ هـ. ش.
٥. مؤدب، سيد رضا، مباني تفسير قرآن، منشورات جامعة قم، ط ١، ١٣٨٦.

٦. بناري، علي همت، نركش برتعامل فقه وتربيت، منشورات موسسه آموزشي وبزوهشي امام خميني، قم، ١٣٨٣ ش
٧. خسروي الحسيني، غلام رضا، ترجمة وتحقيق مفردات الفاظ قرآن، راغب اصفهاني، حسين بن محمد، الناشر المرتضوي، ط٢، ١٣٧٤ ش، طهران.
٨. كمالي دزفولي، سيد علي، تاريخ تفسير، ناشر: صدر، طهران.
٩. مجلة قران وعلم، مدير التحرير: د. محمد علي الرضائي الأصفهاني: ع ٣، خريف ١٤٣٠، ١٣٨٧ ش.
١٠. هوشيار، محمد باقر، أصول آموزش وبرورش، منشورات جامعة طهران، طهران، ١٣٧٢ ش.
١١. رضائي اصفهاني، محمد علي، در آمد بر تفسير علمي قرآن، منشورات اسوه، ط١، ١٣٧٥ ش.
١٢. رضائي اصفهاني، محمد علي مباني، وقواعد تفسير قران، نشر جامعة المصطفى العالمية، ط١، قم، ١٣٨٧.
١٣. شاكر، محمد كاظم، مباني وروشهای تفسیری، نشر: مركز جهانی علوم اسلامي، ط١، ١٣٨٢، قم.
١٤. المطهري، مرتضى، اسلام وتعليم وتربيت، ط٢٧، منشورات صدرا، طهران ١٣٧٥ ش.
١٥. فراستخواه، مقصود، زبان قرآن الناشر: علمی وفرهنگی، ط١، ١٣٧٦، طهران.

١٦. امام خمينى، روح الله، آداب الصلاة (آداب نماز)، ناشر: مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خمينى، ط ١، ربيع ١٣٧٠ هـ. ش.

رابعاً: البرامج الالكترونية

- ١- نور٢، جامع التفاسير ٣، مؤسسة الابحاث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية.
- ٢- مشكاة الانوار، مؤسسة الابحاث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية.
- ٣- برنامج المكتبة الشاملة، الاصدار الثالث.
- ٤- مكتبة النور، أصول الفقه، مؤسسة الابحاث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية.
- ٥- جامع الاحاديث ٣، مؤسسة الابحاث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية.
- ٦- مكتبة الكلامه الاسلامي نور، مؤسسة الابحاث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية.
- ٧- المعجم الفقهي.
- ٨- مكتبة أهل البيت.
- ٩- برنامج قاموس النور ٢، مؤسسة الابحاث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية.